kurt
vonnegut

مهد القطة

مكتبة بغداد

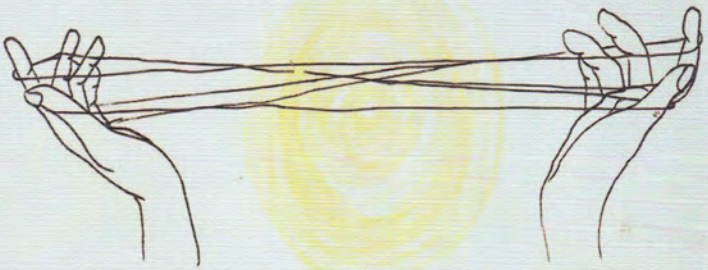

ترجمة:
يونس بن عمارة
غازي القبلاوي

KALEMAT

مـهــد القـطـة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- مهد القطة
- كورت فونيغوت
- دار كلمات للنشر والتوزيع
- الطبعة الأولى ٢٠١٦

دولة الكويت / محافظة العاصمة

تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤

تويتر : @Dar_kalemat

إنستجرام : Dar_kalemat

Dar_Kalemat@hotmail.com

* This translation published by arrangement with Delacorte Press an imprint of Random House, a division Penguin Random House LLC

- **جميع الحقوق محفوظة للناشر** : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

* All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

رقم الإيداع : (0999/2016)

ردمك : ISBN: 978-99966-92-54-3

مهـد القطـة

Cat's Cradle

رواية

كورت فونيغوت
Kurt Vonnegut

ترجمة:
يونس بن عمارة
غازي القبلاوي

٢٠١٦

KALEMAT
للنشر والتوزيع

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«إن دار كلمات للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب ، وتعبّر هذه النصوص عن آراء وأفكار مؤلفها ولا تعبّر بالضرورة عن آراء وتوجهات الدار» .

لا شيء في هذا الكتاب حقيقي .

«التزم في حياتك بالفوما(*) والتي ستجعلك شجاعًا وكريمًا وصحيح الجسم وسعيداً .»

أسفار بوكونون . ١ : ٥

(*) الفوما = الكذب البريء .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

١. يوم نهاية العالم

أُدعوني (جونا) ، كما فعل والديّ ، أو بالكاد . فقد كانا يناديانني (جون) .

جونا - جون - حتى وإن كان اسمي سام كنتُ سأدعى جون ، ليس لأنني كنتُ نذير شؤم للآخرين ، ولكن لأن شخصاً ما أو شيئاً ما أجبرني ؛ دون أن يفشل في ذلك ، على أن أكون في أماكن وأوقات محددة ، وهكذا تم توفير كل وسائل المواصلات والحوافز ، التقليدية والغريبة . وبحسب الخطة ، في كل ثانية محددة ، ومكانٍ محدد كان هذا الجونا هناك .

أنصت إليّ :

عندما كنت شاباً - قبل زوجتين و٢٥٠,٠٠٠ سيجارة ، و٣٠٠٠ ربعية من الخمر . .

عندما كنت رجلاً أكثر شبابًا ، بدأت في جمع مواد لإعداد كتاب بعنوان (يوم نهاية العالم) .

كان الكتاب سيكون واقعياً .

وكان ليتناول ما قامت به شخصيات أمريكية هامة في اليوم الذي أُلقيت فيه أول قنبلة ذرية على هيروشيما باليابان .

كان سيكون كتاباً مسيحياً ، فقد كنت مسيحياً حينها .

أما الآن فأنا بوكونوني .

كنت سأكون بوكونونيًا حينها ، لو وجدت من علمني الأكاذيب المرة الحلوة للبوكونون ، ولكن البوكونونية لم تكن معروفة وراء شواطئ الحصى والشعاب المرجانية الحادة التي تحيط هذه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الجزيرة الصغيرة في البحر الكاريبي ، المسماة جمهورية سان لورينزو .

نؤمن . . نحن البوكونونيين أن البشرية منظمة حسب فِرق ، هذه الفرق تنفذ مشيئة الله دون أن تعرف ذلك ، يطلق بوكونون على كل فريق منها اسم (كاراسّ) ، والأداة أو (الكان-كان) ، التي أرشدتني إلى كاراسّي الخاص بي كان هذا الكتاب الذي لم أُكمله أبدا ، الكتاب الذي كان سيسمى (يوم نهاية العالم) .

٢. جميل، جميل، جميل جداً

يقول بوكونون : «إذا وجدت أن حياتك أصبحت متشابكة مع حياة شخص آخر بدون سبب منطقي ، فإن ذلك الشخص قد يكون عضواً في كاراسّك .»

وفي جزء آخر من (أسفار بوكونون) يقول لنا : «لقد اخترع الإنسان رقعة الشطرنج ، وخلق الله الكاراسّ» وبذلك فهو يقصد أن الكاراسّ يتجاهل الحدود الوطنية ، المؤسساتية ، المهنية ، العائلية ، والطبقية .

إنه حر الشكل كما هي الأميبا .

يدعونا بوكونون في الكاليبسو الثالث والخمسين للغناء معه :

آه ، مخمورٌ نائم
في سينترال بارك
وصائدُ سباع
في الأدغال المظلمة
وطبيبُ أسنان صيني
وملكةٌ بريطانيةً
جُمعوا كلهم
في نفس الآلة

جميلٌ ، جميلٌ ، جميلٌ جداً ،
جميلٌ ، جميلٌ ، جميلٌ جداً ،
جميلٌ ، جميلٌ ، جميلٌ جداً -
العديد من الأشخاص المختلفين
في نفس الجهاز .

٣. حماقة

لا يُذكر أن بوكونون نهى أن يحاول أي شخص البحث عن حدود كاراسه ، أو أن يحاول معرفة كنه الوظيفة التي أرادها الله سبحانه للكاراس ؛ ما يذكره بوكونون أن هذا البحث مقدّر له أن يكون ناقصاً .

في الجزء المتعلق بالسيرة من (أسفار بوكونون) ، يرِد مثالٌ رمزي عن حماقة إدعاء الاكتشاف أو الفهم :

«كنت أعرف سيدة من مدينة نيوبورت بولاية روود أيلاند تنتمي للكنيسة الأسقفية ، وحين طلبت مني أن أصمم وأبني بيتاً لكلبها من فصلية الداين الكبيرة . زعمت السيدة أنها تفهم الله وحكمته بشكل كامل . وكيف أنها لا تفهم لماذا يصاب أي شخص بالحيرة حول أي شيء حدث في الماضي أو سيحدث في المستقبل .

ولكنها أخبرتني عندما عرضت عليها مخططات بيت الكلب الذي اقترحت بناءه «المعذرة ، ولكنني لا أستطيع فهم مثل هذه الأشياء .»

أجبتها : «بإمكانك عرضها على زوجك أو على القسيس لكي يحيلها إلى الله ، وحين يجد الله دقيقة من وقته ، فإنه حتماً سيشرح بيت الكلب هذا بطريقة يمكنك حتى أنت من فهمها .»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قامت على إثرها بطردي ، لن أنساها أبداً فقد كانت تؤمن بأن الله يفضّل البشر في الزوارق الشراعية عن أولئك الذين في الزوارق الآلية ، لم تكن تحتمل النظر إلى دودة ، كانت تصرخ عندما ترى دودةً .

كانت حمقاء ، وكذلك أنا ، وكذلك كل من يظن أنه يعرف حكمة الله ، (هكذا كتَبَ بوكونون) .

٤. تشابكٌ متردد للأغصان

فَليكُن ما يكون ، فقد قررت أن أضم في هذا الكتاب أكبر عدد ممكن من أعضاء كاراسي ، كما أسعى إلى دراسة كل الإشارات القوية لما نقوم به معًا .

لا أنوي جعل هذا الكتاب دراسة دعائية لصالح البوكونونية ، ولكنني أود أن أقدم قبل كل شيء ، تحذيرًا بوكونونيًا ، إن أول عبارة في أسفار بوكونون هي : «جميع الحقائق التي سأخبرك بها هي أكاذيب وقحة .»

أما تحذيري البوكونوني فهو كالتالي :

«إن أي شخص لا يستطيع استيعاب أن ديانة مفيدة يمكن أن تُؤسس على الأكاذيب ، لن يستطيع استيعاب هذا الكتاب كذلك .»

لذا فليكن ما يكون .

إذن سأخبركم عن كاراسي .

إنه يضم بالتأكيد أبناء د . فيلكس هوينيكر الثلاثة ، أحد الذين أُطلق عليهم لقب «آباء» القنبلة الذرية الأولى ، ود . هوينيكر نفسه بلا شك عضو في كاراسي ، إلا أنه توفي قبل (سينوكاسي) ، قبل أن تتشابك أغصاني مع أغصان أبنائه .

كان أول من لامسه (سينوكاسي) من ورثته هو أصغر الأبناء الثلاثة ، نيوتن هوينيكر ، وهو أصغر الولدين . ولقد علمت من خلال مطبوعة أخويتّي ، فصلية (ديلتا ايبسلون) ، أن نيوتن هوينيكر ، إبن فيلكس هوينيكر الفائز بجائزة نوبل للفيزياء ، تمت كفالته من قبل جماعتي المحلية ، جماعة كورنيل .

لذا فقد كتبت لنيوت هذه الرسالة :

«عزيزي السيد هوينيكر :

هل يجدر بي القول ، عزيزي الأخ هوينيكر؟

أنا الآن عضو في أخوية ديلتا ايبسلون ، فرع كورنيل ، وأكسب قوتي بالعمل ككاتب حر ، وأنا أعكف منذ مدة على جمع مصادر كتاب أعدّه عن القنبلة الذرية الأولى ، وسيتركز محتواه على الأحداث التي جرت في يوم ٦ أغسطس العام ١٩٤٥ ، يوم أُسقطت القنبلة على هيروشيما .

وحيث أن والدك الراحل عُرف كأحد المخترعين الأساسيين للقنبلة ، فإنني سأكون ممتناً بسردك لأي حكايات تراها مناسبة حول الحياة في بيت والدك يوم إسقاط القنبلة .

يؤسفني أن أقول بأنني لا أعرف الكثير حول عائلتك المشهورة كما ينبغي ، لذا فإنني لا أعرف إن كان لديك إخوة أو أخوات . في حال كان لك إخوة أو أخوات ، فإنني أود الحصول على عناوينهم حتى أتمكن من إرسال طلبات مشابهة لهم .

أعلم بأنك كنت صغيرًا جدًا يوم أُسقطت القنبلة ، وهذا سيكون مفيدًا . حيث سيركّز كتابي على الجانب الإنساني ، لا الجانب التقني للقنبلة ، لذا فإن ذكريات ذلك اليوم من خلال عيني «طفل» ، إذا سمحت لي ، سيكون مناسبًا جدًا .

لا تشغل بالك بالأسلوب والشكل ، دع ذلك لي ، امنحني

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الهيكل العام للقصة فقط .

وبالطبع ، سأعرض عليك النسخة النهائية من الكتاب للموافقة عليه قبل نشره» .

«لك أُخوّتي»

٥. رسالة من طالب طب مبتدئ

وكان رد نيوت كالتالي :

«أعتذر على تأخري في الرد على رسالتك . يبدو أن الكتاب الذي تعكف على إعداده سيكون ممتعًا ، لقد كنت صغيراً جداً حين أسقطت القنبلة مما يجعلني غير قادر على تقديم العون بشكل كافي . أقترح أن تتحدث مع أخي وأختي الأكبر سناً مني ؛ أختي هي السيدة هاريسون سي كونرز ، ٤٩١٨ شارع ميريديان ، انديانا بوليس ، انديانا . . وهو عنوان بيتي الآن ، كما أعتقد أنها ستكون سعيدة بتقديم العون لك ، لا أحد يعرف مكان أخي فرانك ، لقد اختفى مباشرة بعد جنازة والدنا قبل سنتين ، ومنذ ذلك الحين لم يسمع أحد أخباره . أقصى ما نعرفه ، أنه قد يكون ميتاً الآن .

«كنتُ في السادسة من العمر حين أسقطت القنبلة الذرية على هيروشيما ، لذا فإن كل ما أتذكره من ذلك اليوم قد ساعدني آخرون على تذكره .

«أتذكر أنني كنت ألعب فوق البساط بغرفة المعيشة المجاورة لمكتب والدي في مدينة (ايليوم) بولاية نيويورك . كان باب المكتب مواربا ، لمحت والدي مرتدياً بيجامته وروب الحمام وهو يدخن سيجاراً . كان يلعب بخيط معقود ، بعد أن عاد للبيت من المختبر وبقي مرتديا بيجامته اليوم كله . كان يبقى بالبيت قدر ما يشاء .

«كان والدي ، كما قد تعرف ، قد قضى معظم حياته المهنية

يعمل بمختبر الأبحاث التابع للشركة العامة لصياغة وسبك المعادن بمدينة (ايليوم) . وعندما انطلق مشروع مانهاتن ، مشروع القنبلة ، لم يشأ والدي ترك (ايليوم) للعمل بالمشروع . لقد قال أنه لن يعمل لديهم إلا في حال السماح له بالعمل حيث يشاء . وهو ما كان يعني العمل بالبيت . المكان الوحيد الذي أحبه خارج (ايليوم) كان منزلنا في مدينة (كيب كود) . وهو نفس المكان الذي توفي به ، عشية عيد الميلاد . وهو ما أعتقد أنك تعرفه كذلك .

«على أية حال ، كنت ألعب على البساط قرب مكتبه يوم إسقاط القنبلة . لقد أخبرتني أختي (أنجيلا) أنني اعتدت اللعب بشاحنات صغيرة لعدة ساعات ، مقلدًا صوت المحرك ، «بورتن ، بورتن ، بورتن» كل الوقت . . لذا أظن أنني كنت أقول «بورتن ، بورتن ، بورتن» يوم إسقاط القنبلة ، بينما كان والدي بمكتبه يلعب بالخيط المعقود .

«كما أنني أعرف مصدر هذا الخيط المعقود الذي كان يلهو به ، ربما تستطيع استعمال هذه المعلومة في كتابك ، لقد نزع أبي هذا الخيط من مسودة مخطوط لرواية أُرسلت له من قبل رجل في السجن ، كانت الرواية تتحدث عن نهاية العالم في العام ٢٠٠٠ ، وكان اسم الكتاب (٢٠٠٠ بعد الميلاد) وهي تحكي عن كيف صنع علماء أشرار قنبلة مرعبة قضت على العالم بأسره . كانت هناك حفلة جنس جماعية عندما علم الجميع بأن العالم سينتهي ، ثم ظهر يسوع المسيح بنفسه قبل انفجار القنبلة بعشر ثواني ، كان اسم المؤلف مارفن شارب هولدرنيس ، ولقد أخبر والدي في الرسالة المرفقة أنه في السجن لأنه قتل شقيقه ، لقد أرسل بالمخطوط إلى والدي لأنه لم يكن يعرف نوع المتفجرات التي يجب أن توضع في القنبلة ، كان يعتقد أن والدي سيقدم له بعض المقترحات .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«لا أستطيع أن أدّعي أنني قرأت الكتاب في السادسة من عمري ، فلقد بقي الكتاب في بيتنا لسنوات عديدة ، لقد اتخذه شقيقي فرانك كجزء من مقتنياته الشخصية ، على خلفية الأجزاء البذيئة فيه . لقد خبأه فرانك فيما كان يطلق عليها «خزانة الحائط» في حجرة نومه ، وفي الحقيقة لم تكن خزانةً بالمرة ، فقط كانت مجرد مدخنة موقد قديم بغطاء من الصفيح . لقد قرأت وفرانك الجزء الخاص بالجنس الجماعي آلاف المرات عندما كنا صغاراً . لقد ظل في حوزتنا لسنوات حتى اكتشفته شقيقتي أنجيلا ، وعندما اطلعت عليه قالت أنه ليس سوى قطعة من البذاءة القذرة المتعفنة . لقد أحرقت الكتاب مع الخيط المعقود ، كانت مثل الأم بالنسبة لي ولفرانك لأن أمنا الحقيقية ماتت حين ولدتُ .

«أكاد أجزم بأن والدي لم يقرأ الكتاب بالمرة ، لا أعتقد أنه قرأ رواية أو قصة قصيرة في حياته كلها ، أو على الأقل منذ أن كان ولداً صغيراً . فلم يكن يقرأ البريد الذي يصل إليه أو الصحف والمجلات ، لكني أعتقد أنه كان يقرأ الكثير من الدوريات التقنية ، ولكن حتى أكون صادقاً ، فإنني لا أتذكر والدي وهو يقرأ أي شيء .

«كما ذكرت ، كل ما أراده من المخطوط هو ذلك الخيط ، هكذا كان هو ، لا أحد يستطيع التكهن بما سيثير اهتمامه في المرة القادمة ، أما في يوم القنبلة فقد كان ذلك الخيط .

«هل اطلعت على الخطاب الذي ألقاه في حفل استلامه لجائزة نوبل؟ هذا هو الخطاب كله : «السيدات والسادة ؛ أقف أمامكم الآن لأنني لم أتوقف عن التلكؤ مثل ولد في الثامنة من العمر بطريقه للمدرسة في صباح ربيعي . أي شيء سيجعلني أتوقف للتأمل والتساؤل ، وفي بعض الأحيان التعلم ، أنا رجل سعيد جدًا ، شكرًا لكم .»

«على أية حال ، استمر والدي في فحص الخيط المعقود لعدة لحظات ، ثم بدأت أصابعه في التسلي به ، لقد صنعت أصابعه الشكل الذي يطلق عليه «مهد القطة» لا أعرف أين تعلم والدي ذلك ، ربما من والده . . لقد كان والده خياطاً ، إذن لا بد أن خيطاً ما كان حوله دائماً في صغره .

«أعتقد أن قيام والدي بصنع مهد القطة بأصابعه كانت المرة الوحيدة التي رأيته يقوم بما قد يطلق عليه أي أحد اسم «لعبة» . فهو لم يكن يستطيع استيعاب كل الخدع والقوانين التي صنعها أشخاص آخرون . أتذكر أن أختي أنجيلا كانت تحتفظ في دفتر قصاصاتها الصحفية بجزء من مجلة (تايم) حيث سئل والدي عن اللعبة التي يمارسها في أوقات فراغه ، وأجاب «لماذا علي الاهتمام بلعبة مصطنعة بينما هناك العديد من الألعاب الواقعية من حولنا؟»

«لا بد أنه فاجأ نفسه حين صنع مهد القطة بالخيط المعقود ، وربما ذكرته بطفولته . فقد خرج بشكل مفاجئ من مكتبه وقام بشيء لم يفعله من قبل ، لقد حاول اللعب معي ، فهو لم يسبق له اللعب معي فحسب بل إنه بالكاد كان يحدثني .

«بل إنه جلس على ركبتيه بجانبي ، وأراني أسنانه ، ثم لوح بالخيط المتشابك أمام وجهي : «انظر؟ انظر؟ انظر؟ ، مهد القطة؟ انظر إنه مهد القطة؟ انظر إلى حيث تنام القطة اللطيفة؟ مياو . . مياو»

«بدت مسامات جلده ضخمة مثل الحفر على القمر . بينما كانت أذنيه وفتحتا أنفه محشوة بالشعر . كما أن رائحة دخان السيجار جعلته مثل مدخل الجحيم ، بدا والدي عن قرب أقبح شيء رأيته في حياتي ، ومازالت صورته حتى الآن تقض مضجعي دائماً .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ثم بدأ يغني أغنيـــة الأطفـــال «هدهد قُطيطتي ، في أعلى الشجرة» وواصل الغناء «عندما يهب الريح ، سيتأرجح المهد ، لو انكسرت الأغصان فسوف يسقط المهد . . سيسقط المهد والقطيطة وكل شيء .»

«انفجرت بالبكاء ، وقفزت هارباً خارج البيت بأسرع ما يمكن .

«يجب علي أن أخـتـتم رسـالتي هنا ، إنهـا تتـجـاوز الثـانيـة صباحًا ، ولقد استيقظ زميلي في الحجرة واشتكى من صوت الآلة الكاتبة .»

٦. صراع الحشرات

تابع نيوت كتابة رسالته صباحاً . كالتالي :

«في الصباح التالي . ها أنا أعود مجدداً ، منتعشاً كزهرة أقحوان بعد ثماني ساعات من النوم ، بيت الأخوية هادئ الآن ، الجميع سواي في المحاضرات . فأنا شخص محظوظ . فلست ملزما بحضور المحاضرات بعد الآن ، بعدما تم طردي من الجامعة الأسبوع الماضي . كنت بسنة الإعداد بكلية الطب . لقد أحسنوا صنعاً بطردي فقد كنت سأكون طبيباً سيئاً على أية حال .

«أعتقد بأنني بعد إنهاء هذه الرسالة سأذهب للسينما . أو في حال كان الطقس مشمسًا ، فقد أذهب للتمشية بين أحد الأودية ، ألا تعتقد أن الأودية جميلة؟ سمعت أن فتاتين قفزتا معاً في إحداها هذه السنة . لقد رُفض انضمامهما لنادي الطالبات الذي اختارتاه . كانتا تريدان الانضمام لنادي تراي-ديلت .

«وعودةً ليوم السادس من أغسطس ١٩٤٥ ، أخبرتني شقيقتي أنجيلا أنني آذيت مشاعر والدي في ذلك اليوم عندما لم أبدِ إعجابي بمهد القطة ، عندما لم أبقى في مكاني فوق البساط بجانب

والدي لأستمع لغنائه . ربما آذيته ، ولكنني أشك بتأثره . فلقد كانت مشاعره صلبة . ولم يستطع أحد إيذاؤه بأي شكل ، لأنه لم يكن يهتم بالآخرين من حوله . أتذكر في أحد المرات ، قبل حوالي سنة من وفاته ، أنني حاولت حثه على الحديث عن والدتي إلا أنه لم يستطع تذكر أي شيء عنها .

«هل سمعت عن القصة الشهيرة حول إفطار اليوم الذي كان سيسافر فيه أمي وأبي إلى السويد لتسلم جائزة نوبل؟ لقد تم نشرها في صحيفة (ساتيردي ايفنينغ بوست) . لقد جهزت أمي إفطاراً كبيراً . وبعد الانتهاء وتنظيف الطاولة عثرت والدتي على دايماً وثلاث بنسات بالقرب من قدح قهوة والدي ، لقد ترك لها بقشيشاً .

«بعد جرحي بشدة مشاعر والدي ، إذا سلمنا بأن هذا ما قمت به ، أسرعت بالخروج إلى الفناء . لم أكن أعرف إلى أين سأذهب حتى عثرت على شقيقي فرانك تحت شجيرة السبيريا الضخمة . لقد كان فرانك في الثانية عشر حينها ، ولم أندهش من وجوده تحت الشجيرة . لقد كان يمضي الكثير من الوقت تحت الشجيرة في الأيام الحارة . لقد كان مثل الكلب ، حيث يصنع حفرة في الأرض الباردة حول الجذور . ولا يمكنك معرفة ماذا يخبئ فرانك معه تحت الشجيرة . في أحد المرات رأيت كتاباً خليعاً . وفي مرة أخرى زجاجة من الشيري ، وفي اليوم الذي أسقطوا القنبلة كان لدى فرانك ملعقة كبيرة وبرطماناً زجاجياً . لقد كان يرفع أنواعاً مختلفة من الحشرات بالملعقة ويلقي بها داخل البرطمان لكي تتعارك .

«أثار عراك الحشرات اهتمامي حتى أنني توقفت عن البكاء ، ونسيت كل شيء عن الرجل العجوز . لا أتذكر كل الحشرات التي وضعها فرانك في البرطمان للعراك في ذلك اليوم ، ولكني أتذكر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حشرات أخرى أعدت للعراك في وقت لاحق : خنفساء مقرنة ضد مائة من النمل الأحمر ، أم أربع وأربعين ضد ثلاث عناكب ، نمل أحمر ضد نمل أسود . عادة لا تتعارك الحشرات إلا بعد رج البرطمان ، وهو ما كان يقوم به فرانك ، يرج ويرج البرطمان .

«جاءت أنجيلا بعد مرور بعض الوقت للبحث عني ، رفعت جانباً من الشجيرة وقالت : «إذن أنت هنا!» وسألت فرانك عن ما يفعل ، وأجابها : «أجري بعض التجارب» تلك كانت إجابة فرانك في كل مرة يسأله أحدهم عما يفعله تحت الشجيرة ، كان دائماً يقول : «أجري بعض التجارب»

«لقد كانت أنجيلا في الثانية والعشرين حينها ، لقد كانت الرب الحقيقي للعائلة مذ كانت في السادسة عشر ، أي منذ وفاة والدتنا ، ومنذ ولادتي . لقد اعتادت القول أن لديها ثلاث أطفال : فرانك ، والدي وأنا . ولم تكن تبالغ ؛ كنا نقف صفًا واحدًا في الصباحات الباردة وحبات البرد تتساقط من السماء لتقوم أنجيلا بالتأكد من ارتدائنا المعاطف ، لقد كانت تعامل ثلاثتنا بشكل متساوي . على الرغم من أنني كنت أذهب إلى الروضة ، وفرانك إلى المدرسة الإعدادية ، ووالدي إلى العمل على القنبلة الذرية . أتذكر ذلك الصباح عندما توقفت المدفأة الزيتية ، وتجمدت الأنابيب ، وتوقفت السيارة عن العمل ، جلسنا جميعاً في السيارة بينما كانت أنجيلا تحاول تشغيل السيارة حتى فرغت البطارية ، حينها تكلم والدي وقال : «أتدرون ؛ السلاحف تثير التساؤل» ، «ما هو التساؤل الذي تثيره السلاحف» سألته أنجيلا . «عندما تقوم بإدخال رؤوسها» أجاب . «هل تلتوي فقراتها أم تنكمش؟»

«لقد كانت أنجيلا بالمصادفة أحد الأبطال المجهولين للقنبلة الذرية ، ولا أعتقد أن هذه القصة قد ذُكرت من قبل ، وبإمكانك

تضمينها كتابك . . فبعد حادثة السلحفاة ، أصبح والدي مهتماً بالسلاحف حتى أنه توقف عن العمل على القنبلة الذرية ، مما جعل بعض الأشخاص من مشروع مانهاتن يزورن بيتنا ليستشيروا أنجيلا عن الحل ، لتخبرهم بأن يتخلصوا من سلاحف والدي . تسللوا بعدها في أحد الليالي إلى مختبره وقاموا بسرقة السلاحف من الحوض المخصص لها . لم ينبس والدي بكلمة حول اختفاء السلاحف . فقد عاد للعمل في اليوم التالي ليبحث عن أشياء أخرى ليلهو ويشغل وقته بها ، وكل الأشياء المتاحة للهو كانت متعلقة بالقنبلة .

«عندما أخرجتني أنجيلا من تحت الشجيرة ، سألتني عما حدث بيني وبين والدي ، صرت أقول وأكرر كم كان والدي قبيحاً ، وكم أنني أكرهه ، حينها صفعتني وصاحت «كيف تجرؤ على قول ذلك عن والدك؟ ، إنه أحد أعظم الرجال في التاريخ! لقد جعلنا ننتصر في الحرب اليوم! هل تدرك ذلك؟ لقد انتصر في الحرب!» وصفعتني مرة أخرى .

«لا ألوم أنجيلا على صفعي . لقد كان والدي كل ما تبقى لها . فلم يكن لديها رجلًا يحبها ، ولم يكن لديها أصدقاء بالمرة . كانت لديها هواية واحدة فقط ، وهي العزف على الكلارنيت .

«أخبرتها مجدداً كم أكره والدي ، فصفعتني مرة أخرى ، ثم خرج فرانك من تحت الشجيرة ولكمها في بطنها ، لقد آلمها ذلك كثيراً حتى أنها سقطت على الأرض وصارت تتلوى . وعندما استرجعت أنفاسها ، صارت تبكي وتستنجد بوالدنا .

«إنه لن يأتي» قال فرانك وهو يضحك عليها ، لقد كان فرانك محقًا أخرج والدي رأسه من النافذة ونظر لأنجيلا وهي تصرخ وتتلوى على الأرض ، وفرانك يقف فوقنا وهو يضحك ، عاد والدي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إلى الداخل ، ولم يسألنا أبداً عما كان يحدث ، فلم يكن يهتم بالبشر من حوله .

«هل سيكون هذا كافياً؟ هل سيساعدك ما سردته في إنجاز كتابك؟ فعلى الرغم من أنك حددت الحديث بيوم القنبلة . إلا أن هناك حكايات أخرى جيدة حول القنبلة حدثت في أيام أخرى . على سبيل المثال ، هل تعرف قصة والدي في اليوم الذي تم فيه اختبار القنبلة في (ألموغوردو)؟ فعندما انفجر ذلك الشيء ، وبعد أن تأكد من قدرة أميركا على مسح مدينة كاملة بواسطة قنبلة واحدة ، التفت أحد العلماء إلى والدي وقال ، «الآن ، لدى العلم خطيئة يُعرف بها» هل تعلم ماذا كان رد والدي؟ «ما هي الخطيئة؟»

«مع تمنياتي بالتوفيق :

«نيوتن هوينيكر»

٧. عائلة هوينيكر الشهيرة

أضاف نيوت هذه الملاحظات على رسالته :

«**ملاحظة** : لا أستطيع التوقيع بعبارة «لك أخوّتي» لأنهم لا يسمحون لي بأن أكون أخوك على خلفية درجاتي الأكاديمية ، لقد كنت مجرد طالب بمنحة ، والآن يريدون أن ينتزعوا حتى ذلك مني .

«**ملاحظة** : لقد أطلقت على عائلتنا لقب «الشهيرة» أعتقد أنك بذلك ترتكب خطأً إن استعملت ذلك في كتابك . فأنا مثلاً ، قزم - طولي أربع أقدام فقط . وآخر خبر وصلنا عن فرانك أنه مُلاحق من قبل شرطة فلوريدا ، والأف بي آي ، ووزارة المالية لتهريبه سيارات مسروقة إلى كوبا باستخدام قوارب عسكرية مدرعة . لذا فإنني متأكد من أن لقب «الشهيرة» ليست الكلمة

المناسبة . ربما كلمة «الباهرة» هي الأقرب للحقيقة .

«**ملاحظة** : بعد مرور أربع وعشرين ساعة ، أعدت قراءة الرسالة للمرة الأخيرة ، وأستطيع أن أرى الانطباع الذي قد يخرج به أحدهم من قراءة الرسالة وهو أنني لا أقوم بأي شيء سوى الجلوس وتذكر الأشياء المحزنة والإشفاق على نفسي . والحقيقة هي أنني أعلم كم أنا محظوظ جداً ، لأنني سأتزوج قريباً بفتاة رائعة ، هناك ما يكفي من الحب في العالم للجميع ؛ فقط لو تأمل الناس حولهم . وأنا مثلاً إثباتٌ حيّ على ذلك .»

٨. علاقة نيوت بزينكا

لم يخبرني نيوت عن صديقته التي سيخطبها ، إلا أنه بعد أسبوعين من كتابته للرسالة ، عرفت البلاد كلها أن اسمها (زينكا) ، زينكا فقط . يبدو أنه لم يكن لديها لقبًا .

كانت (زينكا) قزمة من أوكرانيا ، وتعمل راقصة مع فرقة (بورزوي) للرقص . ويبدو أن نيوت شاهدها في أحد عروض الفرقة في مدينة انديانابولس ، قبل ذهابه إلى كورنيل . لتذهب الفرقة للرقص في كورنيل ، وبعد انتهاء العرض هناك ، وقف نيوت الصغير خارج باب المسرح وفي يده دَزِّينة من الورود الأمريكية الجميلة طويلة الساق .

قامت إحدى الصحف بعرض القصة عندما طلبت زينكا الصغيرة اللجوء السياسي للولايات المتحدة ، لتختفي بعدها مع نيوت الصغير .

وبعد مرور أسبوع واحد ، لجأت زينكا للسفارة الروسية ، وقالت بأن الأمريكيين شعب ماديٌ كثيرًا . وأبدت رغبتها في العودة لوطنها .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لجأ نيوت لمنزل أخته باندايانا بولس . وقدم تصريحاً مقتضباً للصحافة . قائلاً : «إنها مسألة شخصية وخاصة ، لقد كانت شأناً عاطفياً . ولست نادماً . إن ما حدث لا يخص أحداً سواي أنا وزينكا .»

لكن أحد المراسلين الأمريكيين المغامرين في موسكو اكتشف ، بعد قيامه بالتحري عن زينكا بين محترفي الرقص هناك ، أن زينكا لم تكن في الثالثة والعشرين من العمر كما ادعت سابقاً ، وإنما في الثانية والأربعين من العمر ، وهو ما يكفي أن تكون والدة نيوت .

٩. نائب الرئيس المسئول عن البراكين

قضيتُ بعض الوقت في ترتيب كتابي حول يوم القنبلة .

بعد حوالي سنة ، وقبل يومين من الكريسماس ، أخذتني قصة أخرى خلال مدينة إيليوم بولاية نيويورك ، حيث أنجز الدكتور فيلكس هوينيكر معظم أعماله ، وحيث قضى كلاً من نيوت الصغير وفرانك وأنجيلا سنين حياتهم الأولى .

توقفت بإيليوم ، حتى استشف ما يمكنني رؤيته هناك .

لم يعد هناك أي من عائلة هوينيكر الأحياء بالمدينة ، ولكن كان هناك الكثير من الأشخاص الذين ادّعوا معرفتهم الجيدة بالرجل العجوز وأطفاله غريبي الأطوار .

قمت بحجز موعد لمقابلة الدكتور (آسا بريد) ، نائب الرئيس المسئول عن مختبر الأبحاث بالشركة العامة لصياغة وسبك المعادن . أعتقد أن د . بريد كان عضواً في كاراسي كذلك ، إلا أنه أظهر نفوره مني منذ البداية .

«لا علاقة بالإعجاب وبالنفور بهذا» يقول بوكونون - تحذير بسيط للنسيان .

«ما أعلمه أنك كنت مشرفاً على د . هوينيكر خلال معظم حياته المهنية ،» قلت للدكتور بريد عبر الهاتف .

«على الورق فقط» أجابني .

«لم أفهم قصدك» سألته .

«لو كنت حقاً مشرفاً على فيلكس ، لكنت مستعدًا الآن للإشراف على البراكين والمد والجزر ، وهجرة الطيور والقوارض ؛ لقد كان الرجل أحد قوى الطبيعة التي يستحيل لكائن فاني السيطرة عليها .»

١٠. العميل السري اكس-٩

قام د . بريد بترتيب موعدي معه صباح اليوم التالي . قال أنه سيمر لاصطحابي من الفندق الذي أنزل به وهو في طريقه للعمل ، لتسهيل دخولي إلى مختبر الأبحاث شديد الحراسة .

لذا فقد كان أمامي ليلة كاملة لإضاعتها في مدينة إيليوم . خرجت مع بداية ونهاية حياة الليل في إيليوم ، كانت خانة (كيب كود روم) الملحقة بفندق (ديل برادو) مرتعاً للعاهرات .

وحدث - أو «كما يجب أن يحدث» سيقول بوكونون - أن العاهرة الجالسة بجانبي على طاولة البار ، والنادل الذي يعمل هناك قد رافقا في المدرسة الثانوية فرانكلين هوينيكر ، معذب الحشرات ، والابن الأوسط ، الابن المفقود .

قالت العاهرة أن اسمها ساندرا ، وعرضت علي ملذات لا يمكن الحصول عليها خارج (بلايس بيغال) ، و(بور سعيد) . أخبرتها أنني لا أشتهيها ، وكانت فطنة لترد أنها لا تشتهيني هي كذلك ؛ وكما اتضح ، فقد بالغ كلانا في اللامبالاة ، ولكن ليس كثيرًا .

إلا أننا وقبل أن ننجرف مع شهوتنا ، تحدثنا عن فرانك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هوينيكر ، تحدثنا عن الرجل العجوز ، تحدثنا قليلاً عن (آسا بريد) ، تحدثنا عن الشركة العامة لصياغة وسبك المعادن ، تحدثنا عن بابا الفاتيكان وموانع الحمل ، عن هتلر واليهود ، تحدثنا عن الدجالين ، تحدثنا عن الحقيقة ، تحدثنا عن رجال العصابات ، تحدثنا عن العمل ، تحدثنا عن الأشخاص الفقراء الطيبين الذين أعدموا بالكرسي الكهربائي ، وتحدثنا عن الأغنياء الأوغاد الذين لم يعدموا بالكرسي الكهربائي ، تحدثنا عن المتدينين الفاسدين ، تحدثنا عن أشياء أخرى كثيرة .

شربنا حتى الثمالة .

لقد كان النادل يحسن معاملة ساندرا . كان يحترمها . قال لي أن ساندرا ترأست لجنة ألوان الفصول الدراسية في ثانوية إيليوم حيث يختار كل فصل في المدرسة ألواناً مميزة له في السنة الدراسية الأولى ، كي يرتدونها بكل فخر .

«ما هي الألوان التي اخترتِها؟» سألتها .

«البرتقالي والأسود .»

«إنهما لونان جيدان .»

«هذا ما اعتقدته .»

«هل كان فرانك هوينيكر عضواً في لجنة ألوان الفصول أيضًا؟»

«لم يكن عضوًا في أي شيء» أجابت ساندرا بازدراء : «لم يكن عضوًا في أي لجنة ، ولم يمارس أي لعبة رياضية ، ولم يخرج مع أي فتاة ، لا أعتقد أنه تحدث مع أي فتاة بالمرة ؛ كنا نطلق عليه لقب العميل السري اكس - ٩ .»

«اكس - ٩؟»

«كما تعلم : لقد كان دائماً يمثل دور شخص في طريقه إلى مكانين سريين ، لم يكن يتحدث مع أحد أبداً .»

«ربما كانت يعيش حياة غنية بالأسرار حقاً» قلت مبررًا .

«كلا .»

«كلا» أردف نادل الحانة ساخرًا : «لقد كان أحد أولئك الأولاد الذين شغلوا وقتهم كله في صنع نماذج الطائرات والاستمناء .»

١١. البروتين

«كان يفترض أن يلقي خطاب حفل التخرج» قالت ساندرا

«من هو؟» سألتها .

«الرجل العجوز د . هوينيكر»

«ماذا قال؟»

«لقد تغيب عن الحفل .»

«معنى ذلك أنكم لم تستمعوا لخطاب التخرج؟»

«أوه ، بلى لقد استمعنا لخطاب من د . بريد ، الرجل الذي ستلتقي به غداً ، لقد حضر الحفل لاهثًا ، وقدم خطابًا ما .»

«ماذا قال؟»

«قال أنه يتمنى رؤية العديد منا في مهن علمية» قالت ساندرا التي لم تكن ترى غرابة في ذلك . بدت وكأنها تتذكر درسًا طُبع في ذهنها ، كانت تعيده بدقة وإخلاص . «قال ، إن مشكلة العالم هي . . .» توقفت برهة للتفكير .

«مشكلة العالم هي . .» تاب ، «بتردد : «أن البشر مازالوا يؤمنون بالخرافات بدلًا من العلم ؛ قال أنه لو درس الجميع العلم أكثر ، فإنه لن تكون هناك أي من المشاكل التي نعيشها الآن .»

«قال أن العلم سيكتشف يوماً ما سر الحياة الأساسي ،» تدخل نادل الحانة ، وتابع مقطبًا وهو يحك رأسه : «أصحيح ما قرأته ذلك اليوم في الصحيفة أنهم اكتشفوا أخيرًا سر الحياة؟»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«لقد فاتني الاطلاع عليه ،» أجبته مغمغمًا .
«لقد قرأت ذلك» قالت ساندرا . «قبل يومين تقريباً .»
«نعم لقد أصبت» قال نادل الحانة .
«ما سر الحياة؟» قلت متسائلاً .
«لقد نسيت» قالت ساندرا .
«البروتين» أعلن النادل . «لقد اكتشفوا شيئاً عن البروتين .»
«نعم» قالت ساندرا «لقد أصبت .»

١٢. لذة نهاية العالم

انضم إلى حوارنا في حانة (كيب كود روم) بفندق (ديل برادو) ، نادل آخر أكبر سناً . وعندما علم بأنني أعد كتابًا حول يوم إسقاط القنبلة الذرية ، أخبرني انطباعه عن ذلك اليوم ، في الحانة ذاتها التي نجلس بها . كان في صوته غنة وأنفه كان يشبه حبة فراولة .

«لم يكن اسم الحانة حينها كيب كود روم» تابع قائلاً . «لم يكن هناك أيّ من هذه الشباك والأصداف السخيفة . كان اسم الحانة في تلك الأيام (خيمة النافاهو) . وكان لدينا أغطية هندية وجماجم أبقار معلقة على الجدران ؛ كما كان لدينا طبول توم توم هندية صغيرة فوق جميع الطاولات ، وكان على الزبائن قرع التوم توم لتقديم طلباتهم ، حاولوا إجباري على ارتداء قلنسوة حرب هندية ، إلا أنني لم أوافق على ذلك ؛ زار المكان يوماً ما هندي أحمر حقيقي من قبيلة النافاهو ، وأخبرني أن النافاهو لم يسكنوا خيام التيبي . «يا للعار!» قلت له . قبل ذلك كان المكان اسمه «حجرة بومبي» ، ومزيناً بالجبس المنحوت ، ولكن مهما تغير اسم المكان فإنهم لم يغيروا الإضاءة السخيفة ؛ ولم يتغير الزبائن

السخفاء الذين يرتادون المكان ولم تتغير حتى المدينة السخيفة بالخارج . وفي اليوم الذي أسقطوا قنبلة هوينيكر السخيفة على اليابانيين ، دخل متشرد الحانة وحاول أن يتسول شرابًا . كان يريدني أن أقدم له شرابًا بالمجان لأن العالم يقترب من نهايته . لذا فقد صنعت له خليطاً أسميته «لذة نهاية العالم» يتكون من نصف لتر من كريم دي مينت (شراب النعناع الكحولي) في داخل قطعة أناناس مجوفة مع الكِريمة وحبة كرز فوقها . قلت له يومها «اشرب هذا ، أيها الوغد المزري ، ولا تعد إلى هنا لتخبرني أنني لم أقدم لك شيئًا في السابق» ثم دخل رجل آخر ، وأخبرني أنه استقال من عمله في مختبر الأبحاث ، قال أنه أصبح متأكدًا اليوم أن أي اكتشاف يتوصل إليه أي عالم سينتهي به المطاف بطريقة أو أخرى ليُستخدم كسلاح . قال إنه لا يريد مساعدة السياسيين في حروبهم السخيفة بعد اليوم ؛ ذكر أن اسمه بِريد . سألته هل يقرب لمدير مختبر الأبحاث السخيف؟ وأجابني نعم بالتأكيد ، وأضاف أنه ابن مدير مختبر الأبحاث السخيف .»

١٣. منصة الانطلاق

يا إلهي ، كم هي قبيحة مدينة إيليوم!

«يا إلهي» يقول بوكونون «كم هي قبيحة مدينة كل مدينة!»

يتساقط المطر المتجمد خلال الغطاء الساكن من الدخان والضباب . كان الصباح في أوله وأنا أجلس في سيارة الدكتور (آسا بِريد) الليلكولن سيدان . كنت متوعكًا وما أزال ثملاً من ليلة البارحة ؛ كان د .بِريد يقود السيارة بينما العجلات تعلق في سكة الترام المهملة منذ زمن طويل .

كان بِريد رجلاً متورد اللون ، بدت عليه علامات الثراء بملابسه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأنيقة ؛ كان مهذباً ، متفائلاً ، واثقًا ، وهادئًا . أما أنا فكنت بخلافه ، خشنًا ، مريضًا ، ومتشائمًا ؛ كنت قد قضيت الليلة مع ساندرا .

بدت روحي كريهة مثل الدخان المتصاعد من فرو قط يحترق .

كنت أتوقع الأسوأ من الجميع ، وكنت أعلم بعض الأشياء القذرة جداً عن د . آسا بريد ، أشياء أخبرتني بها ساندرا .

أخبرتني ساندرا أن الجميع في إيليوم متأكد من أن د . بريد كان على علاقة عشق مع زوجة فيليكس هوينيكر . أخبرتني أن معظم الناس يعتقدون أن بريد هو الأب الحقيقي لأطفال هوينيكر الثلاثة .

«ما الذي تعرفه عن إيليوم؟» سألني د . بريد فجأة .

«إنها زيارتي الأولى للمدينة .»

«إنها مدينة عائلية .»

«عفوًا سيدي؟»

«لا توجد هناك مساحة كبيرة لحياة اللهو الليلية هنا ؛ حياة الجميع ترتكز حول العائلة والبيت .»

«هذا يبدو صحياً جداً .»

«إنه كذلك ؛ لا توجد لدينا سوى القليل جداً من حالات جنوح الأحداث .»

«جيد .»

«هل تعلم أن إيليوم تملك تاريخاً مثيرًا للاهتمام .»

«أحقاً ذلك؟ ذلك أمر مثير للاهتمام .»

«هل تعلم أنها كانت تعتبر منصة الانطلاق .»

«عفوًا سيدي؟»

«منصة الانطلاق للهجرة الغربية .»

«حقاً»

«كان الناس يتجهزون للهجرة هنا .»

«ذلك مثير للاهتمام حقاً .»

«في منطقة بالقرب من مختبر الأبحاث حالياً كان يقع الحصن القديم ، حيث كانت تنفذ الإعدامات العامة بالشنق الخاصة بالمقاطعة .»

«لا أعتقد أن حياة الجريمة كانت مربحة في ذلك الزمن بخلاف ما هو عليه اليوم .»

«كان هناك رجل أعدم شنقاً هنا العام ١٧٨٢ لقتله ستة وعشرين شخصاً ؛ كثيراً ما فكرت أن شخصاً ما عليه إعداد كتاب حوله يوماً ما ، كان اسمه (جورج ماينور موكلي) ؛ يقال أنه أنشد أغنية تحت حبل المشنقة ؛ لقد أنشد أغنية قام بتأليفها بمناسبة شنقه .»

«عن ماذا تحدثت الأغنية؟»

«بإمكانك الحصول على كلمات الأغنية من الجمعية التاريخية ، إن كنت حقاً مهتماً بذلك .»

«إنني مهتم فقط بالطابع العام للأغنية .»

«لم يكن نادماً عن أي شيء .»

«بعض الأشخاص هم كذلك .»

«فكر في الأمر قليلاً!» قال د . بريد . «كان هناك ستة وعشرين شخصاً في عقله!»

«العقل دائماً يترنح «أردفت قائلاً .

١٤. عندما كانت السيارات تحوي مزهريات زجاجية

كان رأسي السقيم يتمايل فوق عنقي المتيبس . لقد علقت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سيارة د . بريد اللينكولن بين قضبان السكة الحديدية مجدداً .

سألت د . بريد عن عدد الأشخاص الذين يحاولون الوصول إلى الشركة العامة للسبك والمعادن مع الساعة الثامنة ، وأخبرني أنهم ثلاثون ألفاً .

كان هناك شرطي يرتدي واقي المطر الأصفر يقف عند كل تقاطع طرق ، متعارضاً مع أيديهم بقفازاتها البيضاء ما تعنيه علامات المرور .

بدت علامات المرور ، أشباحاً متوهجة في البرد المتساقط ، وراحت تتلاحق بشكل فوضوي وسخيف ، وهي تأمر نهر العربات المتجمد ما عليها فعله . الأخضر يعني التحرك ، الأحمر يعني التوقف ، والبرتقالي يعني التغيير والتنبيه .

أخبرني د . بريد أنه عندما كان د . هوينيكر شاباً يافعاً ترك سيارته ببساطة في صباح أحد الأيام في وسط الطريق بإيليوم .

«وعندما جاء الشرطي لمعرفة ما الذي يعرقل حركة المرور ،» تابع قائلاً ، «وجد سيارة فيليكس في وسط كل شيء ، كان محركها يدور ، والسيجار يحترق في المنفضة ، وزهور يانعة في المزهريات . . .»

«المزهريات؟»

«كانت السيارة من نوع (مارمون) ، في حجم القاطرة ؛ كانت تحوي مزهريات زجاجية صغيرة مثبتة في عضادة الباب ، واعتادت زوجة فيليكس وضع أزهار يانعة في المزهريات كل صباح ؛ لقد كانت السيارة في وسط حركة المرور» .

«مثل سفينة الماري سيليست» أردفت قائلاً .

«قام مركز الشرطة بركن السيارة جانبًا ، كانوا يعرفون لمن هي ، لذا فقد اتصلوا بفيليكس ، وأخبروه بأسلوب مهذب أين يمكن أن

يأخذ سيارته ؛ أخبرهم فيليكس أنه بإمكانهم الاحتفاظ بها ، وأنه لم يعد يريدها .»

«وهل احتفظوا بها؟»

«كلا . لقد اتصلوا بزوجته ، وأتت لكي تأخذ المارمون .»

«على فكرة ، ما هو اسمها؟»

«إميلي» مطّ الدكتور بِريد شفتيه ، ونظر في البعد ، نطق اسم المرأة مرة أخرى ، المرأة التي توفيت منذ زمن . «إميلي .»

«هل تعتقد أن أحدًا سيعترض إن ذكرت هذه الحادثة عن المارمون في كتابي؟» قلت متسائلاً .

«لا مانع مادمت لن تذكر نهايتها .»

«نهايتها؟»

«لم تكن إميلي معتادة على قيادة المارمون ؛ لذا فقد تعرضت لحادث مريع في طريقها للبيت . أصيبت في مكان ما في الحوض . . .» كانت حركة المرور متوقفة في ذلك الحين . أغلق د . بِريد عينيه وشدّ بقوة على المقود .

«ونتيجة لهذه الإصابة ، توفيت عندما وُلد نيوت الصغير .»

١٥. عيد ميلاد مجيد

يقع مختبر أبحاث الشركة العامة للسبك والمعادن بالقرب من البوابة الرئيسة لأعمال الشركة في إيليوم ، وعلى بعد بناية من محطة السيارات التي يركن فيها د . بِريد سيارته .

سألت د . بِريد عن عدد العاملين في مختبر الأبحاث . فأجاب : «سبعمائة ، أقل من مائة منهم يعملون في مجال الأبحاث بشكل فعلي ، والستمائة الباقون يعملون بشكل أو بآخر في الإدارة ، وأنا رئيسهم جميعًا» .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عندما انضممنا للتيار العام للبشرية في داخل أجنحة الشركة ، سمعنا امرأة تتمنى عيد ميلاد مجيدًا للدكتور بريد ، التفت د . بريد ليمعن النظر بلطف في بحر الفطائر الشاحبة ، وعرف أن المرحّبة كانت الآنسة فرانسين بيفكو . كانت الآنسة بيفكو في العشرين من العمر ، جميلة ببلاهة ، وبصحة جيدة ؛ كانت عادية ببلادة .

وبمناسبة روح أعياد الميلاد الدافئة ، فقد دعا د . بريد ، الآنسة بيفكو لتنضم إلينا في جولتنا ، وقدمها لي كسكرتيرة الدكتور (نيلساك هورفاث) . ثم أخبرني من يكون هورفاث . «إنه عالم كيمياء السطوح المشهور ،» وتابع قوله «إنه الشخص الذي يقوم بأشياء رائعة مع الأفلام» .

«ما الجديد في عالم كيمياء السطوح؟» سألت الآنسة بيفكو . «يا الله» ردت بانفعال : «لا تسألني . فأنا أطبع ما يأمرني بطباعته» ثم اعتذرت لأنها ذكرت «الله»

«أعتقد أنك تعرفين أكثر مما تظنين» قال الدكتور بريد .

«ليس أنا على الإطلاق .» ردت الآنسة بيفكو التي لم تكن معتادة على الحديث مع شخص في أهمية د . بريد ، لقد كانت محرجة ، وأصبحت مشيتها متشنجة مثل مشية الدجاجة . صارت ابتسامتها شاحبة ، وراحت تبحث في عقلها عن أي شيء لقوله ، فلم تجد سوى قطع من المحارم الورقية المستعملة والمجوهرات الرخيصة .

«إذن . . .» زمجر الدكتور بريد ، «ما رأيك بنا الآن ، بعد أن أمضيت بيننا - كم من الوقت؟ ما يقرب العام على ما أعتقد؟»

«أنتم العلماء تفكرون كثيراً ،» ردت الآنسة بيفكو . وضحكت ببلاهة . يبدو أن لطف الدكتور بريد قد فجرت جميع (فيوزات) جهازها العصبي . لقد أصبحت عديمة المسؤولية . «إنكم جميعاً تفكرون كثيراً .»

في هذه الأثناء مرت بجانبنا امرأة بدينة تسير بتثاقل ، ترتدي مئزرًا قذرًا ، توقفت للحظة عندما سمعت ما قالته الآنسة بيفكو ونظرت بتمعن للدكتور بريد ، وأرسلت نظرة ملؤها التوبيخ اليائس ، كانت تكره كل من يفكّر كثيراً ، في تلك اللحظة ، بدت لي وكأنها التمثيل المناسب للبشرية جمعاء .

كانت تعابير المرأة البدينة توحي أنها ستصاب بالجنون في الحال لو قام أحد ما بالتفكير أكثر .

«أعتقد أنك ستجدين ، أن الجميع يقوم بنفس القدر من التفكير ؛ العلماء ببساطة يفكرون في الأشياء بطريقة معينة ، والآخرون يفكرون في الأشياء بطرق أخرى» . قال الدكتور بريد .

«آخ» دمدمت الآنسة بيفكو ببلاهة . «إنني أتلقى ما يمليه الدكتور هورفاث وهو يبدو لي مثل لغة أجنبية ، لا أظن أنني سأفهمها ؛ حتى وإن دخلت للدراسة بالجامعة . . ولربما يتحدث عن شيء ما سيغير كل شيء رأساً على عقب مثل القنبلة الذرية .

«عندما كنت في المدرسة اعتادت أمي أن تسألني عما حدث خلال ذلك اليوم ، وكنت أخبرها عن كل شيء» تابعت الآنسة بيفكو قولها «أما الآن فإنني أعود للبيت من العمل لتسألني نفس السؤال ، وكل ما أستطيع قوله هو . . .» راحت الآنسة بيفكو تهز رأسها وتركت شفتيها القرمزيتين تمطان بلامبالاة : «لا أدري ، لا أدري ، لا أدري .»

«إذا لم تفهمي شيئاً ما» ألح الدكتور بريد : «فعليك بسؤال الدكتور هورفاث لشرحه لك . إنه متمكن في الشرح .» ثم التفت تجاهي وقال «لقد كان الدكتور هوينيكر يقول إن أي عالم لا يستطيع شرح وتفسير ما يقوم به لطفل في الثامنة من العمر فهو دجّال .»

«في هذه الحالة فإنني أغبى من طفل في الثامنة من العمر»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت الآنسة بيفكو بحزن : «حتى أنني لا أعرف ما هو الدجال»

١٦. العودة لروضة الأطفال

ارتقينا الدرجات الحجرية الأربعة قبل الدخول إلى مختبر الأبحاث . كان المبنى يتكوّن من الطوب البسيط ويرتفع لستّ طبقات ، تجاوزنا حارسين مدججين بالسلاح في المدخل .

أظهرت الآنسة بيفكو للحارس على اليسار بطاقتها الوردية الخاصة والمثبتة على صدرها الأيسر .

أظهر الدكتور بريد للحارس على اليمين بطاقته السوداء السرية للغاية والمثبتة في طية السترة . وبطريقة احتفالية ، وضع الدكتور بريد ذراعه حولي دون أن يلمسني مباشرة ، ليبين للحراس أنني تحت حمايته وسيطرته العظمى .

ابتسمتُ لأحد الحراس ، إلا أنه لم يبتسم ، لم يكن هناك ما يُضحك في مسائل الأمن القومي ، لا شيء البتة .

تحركنا أنا والدكتور بريد والآنسة بيفكو بشكل مدروس خلال البهو الكبير للمختبر باتجاه المصاعد .

«اسألي د . هورفاث ليشرح لك شيئاً يوماً ما» قال د . بريد للآنسة بيفكو «وانظري بنفسك إن كنت ستحصلين على جواب جيد وواضح .»

«عليه أن يعود ويبدأ من الصف الأول وربما حتى الروضة» تابعت قائلة «لقد فاتني الكثير»

«جميعنا فاتنا الكثير» أردف الدكتور بريد موافقاً . «سنستفيد كثيراً في حال بدأنا مجدداً ويفضل منذ روضة الأطفال»

كنا نشاهد موظفة الاستقبال في المختبر وهي تشغل العديد من الوسائل التعليمية المعلقة على طول البهو ، كانت موظفة الاستقبال

طويلة ، نحيفة ، وشاحبة . وبواسطة لمساتها الدقيقة أصبحت الأضواء تتلألأ ، والعجلات تدور ، والدوارق تغلي ، والأجراس ترن .

«إنه سحر ،» قالت الآنسة بيفكو .

«كم هو مؤسف أن أسمع أحد أعضاء عائلة المختبر يستخدم تلك الكلمة القروسطية الغثة» قال الدكتور بِريد «كل واحد من تلك المعروضات تشرح نفسها لوحدها ؛ إنها مصممة لكي لا تكون محيرة ، إنها الطباق المباشر للسحر .»

«إنها ماذا المباشر للسحر؟»

«الشيء المعاكس تماماً للسحر .»

«لا تستطيع إثبات ذلك من خلالي .»

بدا الدكتور بِريد منزعجاً قليلاً ، وتابع قائلاً : «حسناً ، امنحينا على الأقل حسنة أننا لا نريد أن نحيّر أحداً .»

١٧. بِركة البنات

كانت سكرتيرة الدكتور بِريد تقف فوق مقعدها المجاور لمكتبه وهي تربط كرة زينة عيد الميلاد في السقف .

«انتبهي يا ناعومي» صاح الدكتور بِريد «لقد مرت ستة أشهر دون أن نتعرض لحادث قاتل ، لا تفسدي ذلك بسقوطك من فوق المكتب!»

كانت الآنسة ناعومي فاوست سيدة مسنة ومرحة ؛ أظنها قد عملت لصالح الدكتور بِريد طيلة حياته تقريباً ، وحياتها أيضاً . ردت ضاحكة : «إنني غير قابلة للتدمير ، وحتى إن سقطت فإن ملائكة الميلاد ستمسكني .»

«من المعروف عنها أنها تخطئ .»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت هناك خيوطٌ ورقية مزينة لولبية مثبتة من كرة الزينة ، سحبت الآنسة فاوست إحداها ، لتفرد الورقة الملتصقة وتصبح شعارًا طويلاً كتبت عليه عبارة ما ، قالت مخاطبة الدكتور بِريد وهي تمد بطرف ورقة الزينة : «أمسك الطرف واسحبه حتى النهاية وثبته على لوحة الإعلانات .»

أطاع الدكتور بِريد التعليمات ، ووقف بعيداً بضع خطوات ليقرأ العبارة المكتوبة على الشعار الورقي : «على الأرض السلام!» قرأها بصوت جهوري .

نزلت الآنسة فاوست من على المكتب وفردت قطعة الورق المزينة الأخرى والتي كُتبت عليها «وفي الناس المسرة»

ضحك الدكتور بِريد وقال «يا إلهي ، لقد أصابوا عيد الميلاد بالجفاف! المكان يبدو بهيجًا ، بهيجًا جدًا .»

«كما أنني لم أنسى قطع الشيكولاتة المخصصة لبركة البنات ، أيضاً ، هل أنت فخور بي» قالت الآنسة فاوست .

مسح الدكتور بِريد جبهته ، مبديًا قلقه من نسيانه للأمر «الحمد لله على ذلك! لقد فاتني الأمر بالمرة .»

ردت الآنسة فاوست قائلة : «علينا أن لا ننسى ذلك أبدًا ، إنه تقليد أرساه الدكتور بِريد بتقديمه الشيكولاتة لبركة البنات في عيد الميلاد .» وشرحت لي أن حوض البنات هو قسم الطباعة الواقع في قبو المختبر «جميع البنات هناك يتبعن أي أحد لديه مسجل صوتي .»

قالت أن الفتيات في بركة البنات يقضون العام كله في الاستماع لأصوات العلماء على آلات التسجيل والتي تجلبها ساعيات البريد ؛ تخرج البنات مرة واحدة في السنة من صندوقهن الإسمنتي للإنشاد بمناسبة عيد الميلاد ولكي تحصلن على قطع

الشيكولاتة من الدكتور آسا بريد .

«إنهن يخدمن العلم ، أيضاً» أردف الدكتور بريد «على الرغم من أنهن لا يفهمن كلمة واحدة مما يقال ، ليباركهن الله جميعاً ؛ كل واحدة منهن!»

١٨ . أغلى سلعة على الأرض

عندما دخلت مكتب د . بريد الداخلي ، حاولت أن أرتب أفكاري لكي أجري لقاءً متزنًا ، إلا أنني وجدت أن صحتي العقلية لم تتحسن بعد ، وعندما بدأت بسؤال د . بريد حول يوم القنبلة ، اكتشفت أن مراكز العلاقات العامة في دماغي قد اختنقت نتيجة الشراب وفرو القط المحترق ، فكان كل سؤال أطرحه عليه يوحي أن مخترعي القنبلة الذرية كانوا متورطين جنائيًا في أبشع جريمة قتل .

بدا د . بريد مندهشًا ، ثم متألمًا جداً . ابتعد بقدر الإمكان عني وغمغم قائلاً : «أفهم من كلامك أنك لا تحب العلماء كثيرًا .»

أجبت قائلًا «لا أستطيع قول ذلك ، سيدي .»

«ولكن يبدو أن جميع أسئلتك موجهة لكي أعترف أن العلماء بلا رحمة ، بلا ضمير ، مغفلون ، غير مبالون بمصير النوع البشري ، أو أنهم ربما ليسوا جزءاً من النوع البشري بالمرّة .»

«هذا تفسير مجحف للغاية .»

«ليس مجحف بقدر ما سيضمنه كتابك على ما يبدو . كنت أظنك تبحث عن سيرة منصفة وموضوعية لفيليكس هوينيكر ، وهو عمل ذو أهمية بالغة ليقوم به كاتب شاب مثلك في هذا الزمن . ولكن يبدو أن لديك أحكامًا وأفكارًا مسبقة عن العلماء الأشرار . من أين أتيت بهذه الأفكار؟ من الرسوم الصحفية الساخرة؟»

«بل من ابن الدكتور هوينيكر ، وهو أحد المصادر .»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«أيّهم من الأبناء؟»

«نيوتن» أجبته قائلاً ، بينما أخرجت رسالة نيوت الصغير ليطلع عليها «على فكرة ، كم هو طول نيوت؟»

«إنه ليس أطول من وعاء المظلات ،» أجاب د . بِريد عابسًا بينما كان يقرأ رسالة نيوت .

«هل الطفلين الآخرين طبيعيين؟»

«بالطبع! أكره أن أخيب أملك ، ولكن للعلماء أطفال طبيعيون مثل أطفال أي أحد في الدنيا» .

حاولت بقدر المستطاع أن أُطمئِن د . بِريد وأقنعه بأنني مهتم حقًا بكتابة تصوير دقيق عن د . هوينيكر . «لقد جئت إلى هذه المدينة بلا هدف سوى أن أسجل تمامًا ما تخبرني به عن د . هوينيكر . لقد كانت رسالة نيوت مجرد البداية ، وسأوازنها مقابل أي شيء تخبرني به» .

«إنني مستاء من الذين يسيئون فهم من هو العالم ، وما يقوم به» .

«سأبذل ما في وسعي لكي أصلح سوء الفهم هذا» .

«أغلب الناس في هذا البلد لا يفهمون حتى ماهية البحث العلمي المحض» .

«سأكون ممتنًا إن أخبرتني عن ذلك» .

«ليساعدنا الله ، إنه ليس البحث عن مصفي أفضل للسجائر ، أو محارم وجه أكثر نعومة ، أو طلاء منزلي أطول عمرًا ؛ الجميع يتحدث عن البحث العلمي ولكن لا أحد عمليًا في هذا البلد يقوم به ؛ إننا من الشركات القليلة التي توظف رجالًا للقيام بالبحث العلمي المحض ؛ وعندما تتبجح الشركات الأخرى عن أبحاثها ، فإنهم يتحدثون عن فنيين صناعيين يرتدون المعاطف البيضاء ،

ويعملون بواسطة كتب الطبخ ، لينتجوا ماسحة أفضل للزجاج الأمامي لسيارة العام القادم .»

«ولكنكم هنا . . .؟»

«ولكننا هنا ، وفي أماكن قليلة أخرى في هذا البلد ، ندفع مقابلاً لرجال يقوموا بزيادة حجم المعرفة ، ليعملوا في هذا الاتجاه وحسب .»

«إن ذلك سخاء للشركة العامة للسبك والمعادن» .

«لا سخاء ولا كرم في ذلك ، المعرفة الجديدة هي أغلى سلعة على الأرض ؛ كلما تحصلنا على المزيد من الحقيقة في عملنا ، أصبحنا أكثر ثراءً» .

لو كنت بوكونونيًا حينها ، لجعلتني هذه العبارة أصرخ مُوَلوِلاً .

١٩. لا مزيد من الوحل

قلت للدكتور بِريد «هل تقصد أنه لا أحد في هذا المختبر قد أطلع الآخرين على ما يقوم به؟ وأنه لا أحد قد اقترح عليهم ما يجب أن يقوموا به؟»

«الجميع يقترح الكثير من الأشياء في كل وقت ، ولكنه ليس من طبيعة المتخصص في البحوث المحضة أن يلتفت لهذه المقترحات . فرأسه مليئة بمشاريعه الخاصة ، وهذه هي الطريقة التي نحبذها .»

«هل حاول أي شخص اقتراح بعض المشاريع على الدكتور هوينيكر؟»

«بالتأكيد ، لقد حاول جنرالات وأدميرالات بشكل خاص ، لقد كانوا ينظرون إليه كأحد السحرة والذي بإمكانه جعل أمريكا لا تُقهر بتلويحة من عصاه السحرية ؛ لقد قاموا ، ولايزالون يقومون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بجميع أنواع المشاريع الغبية ؛ الخلل الوحيد في هذه المشاريع أنه ، وبالنظر لحالة المعرفة التي لدينا اليوم ، لا يمكن تنفيذها ؛ إن العلماء من أمثال الدكتور هوينيكر ينتظر منهم أن يملئوا الفراغات ؛ أتذكر وقبل وفاة فيليكس بفترة قصيرة ، أن أحد جنرالات المارينز كان يطارده لكي يقوم بشيء عن الوحل .»

«الوحل؟»

«نعم ، يبدو أن مشاة البحرية وبعد ما يقارب المائتي عام من التمرغ في الوحل ، قد فقدوا صبرهم» تابع الدكتور بريد قائلاً «يبدو أن الجنرال ، بالنيابة عن مشاة البحرية ، رأى أن أحد جوانب التطوير هي ألا يُجبر المارينز على القتال في الوحل» .

«وما الذي كان يفكر فيه الجنرال؟»

«اختفاء الوحل ؛ لا مزيد من الوحل» .

أردفت محاولاً التفسير : «أعتقد أن ذلك قد يكون ممكناً بواسطة جبال من أحد أنواع المواد الكيميائية ، أو أطنان من أحد أنواع الآليات . . .»

«ما كان يفكر فيه الجنرال هو اختراع حبة دقيقة ، أو آلة صغيرة . فلم يكن المارينز مستائين من الوحل ، ولكنهم كانوا مستائين من حمل معداتهم الثقيلة على ظهورهم . كانوا يريدون شيئًا - صغيرًا- لحمله من أجل التغيير .»

«وماذا كان رد الدكتور هوينيكر؟»

«لقد اقترح فيليكس بأسلوب هزلي ، وكل أساليبه كانت هزلية بشكل ما ، أنه من الممكن وجود حبيبة واحدة من شيء ما ومن الممكن أن تكون حبيبة ميكروسكوبية بإمكانها تحويل مساحات لانهائية من الطين ، والمستنقعات والجداول وأحواض المياه والرمال المتحركة والوحل إلى شيء بصلابة هذا المقعد» .

وطرق د . بريد المقعد بقبضته المتغضنة ؛ كان المقعد المعدني يشبه الكلية في شكله ومطلي بالأخضر الباهت «سيمكن لجندي واحد من المارينز أن يحمل ما يكفي من هذه المادة لتحرير كتيبة مدرعة علقت في أحد المستنقعات ؛ وبحسب فيليكس ، فإن جنديًا بحريًا واحدًا بإمكانه حمل ما يكفي من هذه المادة تحت ظفر إصبعه الأصغر» .

«هذا مستحيل!»

«بإمكاننا جميعًا قول ذلك ؛ ولكن بالنسبة لفيليكس ، وبأسلوبه الهزلي ، لقد كان الأمر ممكنًا بالكامل ، إن معجزة فيليكس -وإنني أرجو أن تذكر ذلك في موضع ما من كتابك- تكمن أنه كان دائماً يقارب المعضلات القديمة وكأنها جديدة بالمرة» .

«أشعر الآن وكأنني مثل فرانسين بيفكو» أردفت قائلاً : «وجميع الفتيات في حوض الفتيات أيضًا ، لا أعتقد أنه كان بإمكان د . هوينيكر أن يفسر كيف أن شيئًا يمكن حمله تحت ظفر الإصبع سيحول مستنقعًا ما إلى شيء صلب مثل مقعدك» .

«لقد أخبرتك سابقًا كيف كان فيليكس مفسرًا جيدًا . . .»

«وإن يكن . . .»

«لقد استطاع شرح الموضوع لي» تابع د . بريد قائلاً : «وأنا على ثقة أنه كان سيشرحه لك أيضًا ؛ معضلة تحرير مشاة البحرية من الوحل - أليس كذلك؟»

٢٠. الجليد - تسعة

«هناك عدة طرق ، لتحول سوائل معينة إلى بلورات - أي تتجمد - عدة طرق لكي تتراكم ذراتها وتنغلق بطريقة مرتبة وصلبة» . تابع د . بريد قوله .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

دعاني الرجل العجوز بيديه المرقطتين لكي أفكر في الطرق العديدة التي تترتب فيها كرات المدفعية فوق بعضها في حديقة المحكمة ، والطرق العديدة لترتيب البرتقال فوق بعضه في صندوق .

«وكذلك الحال مع ذرات البلورات أيضاً ، فقد يكون للمادة نفسها نوعين مختلفين من البلورات التي تتميز بخواص فيزيائية مختلفة .»

أخبرني عن المصنع الذي يقوم بتنمية بلورات ضخمة من مادة الإيثيلين دايامين تارتريت . وذكر أن البلورات كانت مفيدة في بعض العمليات الصناعية المحددة . ولكن المصنع اكتشف في أحد الأيام أن البلوراتَ التي يقوم بتنميتها لم تعد تُظهر الخواص المرغوبة . لقد بدأت الذرات في الترتب والانغلاق - والتجمد - بأشكال مختلفة . فبينما لم يتغير السائل الذي يتبلور ، فإن البلورات التي تكونت ، كانت بالمفهوم الصناعي العملي محض نفايات .

ما حدث ما يزال يعتبر سرًا غامضًا . إلا أن الشيء الخبيث نظريًا ، هو ما أطلق عليه د . بريد اسم «البذرة» وما يعنيه هنا ، هو تلك الحبة الدقيقة من التصميم البلوري غير المرغوب . أن البذرة ، التي الله وحده يعلم من أين جاءت ، علّمت الذرات طريقة جديدة للتراكم والإتحاد ، للتبلور والتجمد .

«والآن فكّر مجددًا بكرات المدفعية على حديقة المحكمة أو بالبرتقال في الصندوق ،» قال مقترحاً . وساعدني في تخيل أن نمط ترتيب الطبقة السفلية من كرات المدفعية أو من البرتقال يحدد كيف ترتبت واتحدت كل طبقة أعلى منها . «الطبقة السفلى هي البذرة التي تترتب فوقها كل كرة مدفع أو برتقالة تأتي بعدها ، حتى عدد لا نهائي من كرات المدفعية والبرتقال .»

وتابع د . بِريد شرحه باستمتاع ، «والآن تخيل أن هناك طرق عديدة يمكن للماء أن يتبلور أو أن يتجمد بها . تخيل أن نوع الجليد الذي نتزحلق عليه ونضعه في الشراب - وهو ما يمكن أن نطلق عليه الجليد-واحد - وأنه أحد أنواع الجليد المتعددة ، ولنفترض أن الماء يتجمد دائماً على الأرض في شكل الجليد-واحد لأنه لم يكن لديه بذرة لتعلمه كيف يكون الجليد-اثنين ، الجليد-ثلاثة ، الجليد-أربعة . . .؟ «ولنفترض أن» تابع قوله وهو يضرب المقعد بيديه المتغضنتين مجددًا» هناك شكل آخر ، والذي سنطلق عليه اسم الجليد-تسعة ، وأنه عبارة عن بلورة صلبة مثل صلابة هذا المقعد- ويمتلك خاصية الذوبان عند نقطة ، لنفترض ، مائة درجة فهرينهايت ، أو ربما أفضل من ذلك ، نقطة ذوبان عند مائة وثلاثون درجة .»

«حسناً ، مازلت معك» قلت موضحاً .

إلا أن الهمس في مكتبه الخارجي قاطع شرح د . بِريد ، كانت الهمسات عالية وعجيبة . كانت أصوات بنات الحوض . كانت الفتيات يتجهزن للغناء في المكتب الخارجي .

وما أن ظهرنا أنا ود . بِريد من خلال الباب حتى بدأت الفتيات بالغناء . كل واحدة من الفتيات المائة صنعت ياقة كنسية من قطعة من الورق الأبيض المثبتة بمشبك ورقي ليصبحن كفتيات الكورس . كان غناؤهن جميلاً .

لقد أصبتُ بالدهشة والحزن . لطالما كانت يحركني هذا الكنز المستعمل بقلة ، الرقة التي تغني بها معظم الفتيات .

لقد غنت الفتيات ترنيمة «أيتها المدينة الصغرى بيت لحم .» ولن أنسى أدائهن للمقطع القائل :

«الآمال والمخاوف من كل السنوات معنا هنا هذا المساء .»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٢١. المارينز يواصلون المسير

عدنا إلى مكتب د . بِريد ، بعد أن قام بمساعدة الآنسة فاوست بتوزيع قطع شيكولاتة أعياد الميلاد على الفتيات .

وتابع قوله «إذن أين توقفنا في الحديث؟ آه نعم تذكرت!» وطلب الرجل العجوز مني أن أتخيل مشاة بحرية الولايات المتحدة في مستنقع كريه .

«بينما شاحناتهم ودباباتهم ومدافعهم تتخبط وتغوص في مستنقع ووحل كريه الرائحة .

رفع إصبعًا وغمزني متابعاً حديثه . «ولكن لنفترض ، أيها الشاب ، أن أحد الجنود كان لديه كبسولة تحوي بذرة من مادة الجليد-تسعة ، طريقة جديدة لترتيب واتحاد وتجمد ذرات الماء . فلو ألقى هذا الجندي تلك البذرة في أقرب نقيع . . .»

«سيتجمد النقيع؟!» خمنت قائلاً

«وجميع الوحل حول النقيع؟»

«سيتجمد؟!»

«وجميع الأنقع في الوحل المتجمد؟»

«ستتجمد؟!»

«والبحيرات والجداول في الوحل المتجمد؟»

«ستتجمد؟!»

«أراهنك أنها جميعاً ستتجمد» صاح الدكتور بِريد «وسينهض جنود مشاة بحرية الولايات المتحدة من المستنقع ويواصلون المسير!»

٢٢. عضو في الصحافة الصفراء

«هل هناك فعلا مثل هذا الشيء؟» سألته قائلاً .

«كلا ، كلا ، كلا ، كلا ،» أجاب د . بِريد ، بعد أن فقد صبره

معي مرة أخرى . «لقد أخبرتك كل هذا حتى أمنحك تصوراً للطرق الخارقة والحداثية التي قد يستخدمها فيليكس لمقاربة مشكلة قديمة . ما قلته لك قبل قليل هو ما قاله فيليكس لجنرال المارينز الذي كان يطارده بخصوص الوحل .

«لقد كان فيليكس يأكل وحيداً في الكافيتيريا كل يوم . كانت القاعدة ألا يجلس أحد معه ، كي لا يقطع حبل أفكاره . لكن جنرال المارينز اندفع وسحب كرسياً بجانبه وبدأ في الحديث معه عن الوحل . ما ذكرته لك هو رد فيليكس الارتجالي .»

«هل تعني أنه لا يوجد شيء مثل ذلك؟»

«لقد أخبرتك أنه لا يوجد شيء مثل ذلك!» صاح د . بريد بحدّة . «لقد توفي فيليكس بعد ذلك الحدث بقليل! ولو كنت منتبهاً لما كنت أحاول ذكره لك حول رجال البحث العلمي المحض ، لما طرحت مثل هذا السؤال! رجال البحث العلمي المحض يشتغلون على ما يسحرهم ، لا ما يسحر الآخرين .»

«مازلت أفكر في المستنقع . . .»

«بإمكانك التوقف عن التفكير فيه! لقد أردت إثبات وجهة نظر وحيدة من المستنقع» .

«لو أن الجداول المنسابة في المستنقع تجمدت كما الجليد - تسعة ، ماذا سيحدث للأنهار والبحيرات التي تغذيها الجداول؟»

«ستتجمد . ولكن لا يوجد شيء ما كالجليد -تسعة .»

«والمحيطات التي تغذيها الأنهار؟»

أجاب د . بريد بغضب «ستتجمد ، بالطبع ، ويبدو أنك ستسرع الآن للسوق بقصتك المثيرة حول الجليد-تسعة . أكرر قولي لك ، هذه المادة لا وجود لها!»

«والينابيع التي تغذي البحيرات والجداول المتجمدة ، وكل المياه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تحت الأرض التي تغذي الينابيع؟»

«سحقاً ، ستتجمد هي الأخرى!» صاح قائلاً ، وتابع وهو يقف «لو كنت أعرف أنك عضو في الصحافة الصفراء ، لما أضعت دقيقة واحدة معك!»

«والأمطار؟!»

«عندما تسقط ، ستتجمد على شكل مسامير صغيرة صلبة من الجليد-تسعة ، وذلك سيكون نهاية العالم! ونهاية هذه المقابلة أيضًا! وداعًا!» .

٢٣. آخر دفعة من الكعك

لقد كان د . بريد مخطئًا بشأن شيء واحد على الأقل : هناك شيء اسمه الجليد-تسعة . والجليد-تسعة موجود على الأرض .

كان الجليد-تسعة آخر هدية أبدعها فيليكس هوينيكر للبشرية قبل أن ينال جزاءه العادل .

لقد صنعه دون أن يدري أحد ما الذي كان يقوم به . صنعه دون أن يترك وثائق تدل على ما قام به .

لقد احتاج إلى استعمال أدوات دقيقة لتنفيذ اختراعه ، ولكنها كانت متوفرة في مختبر الأبحاث . كان على د . هوينيكر أن يمر على جيرانه المختبريين - لاستعارة هذا وذاك ، كان عليه إزعاج جيرانه بابتهاج ـ حتى استطاع ، إن جاز التعبير ، خَبز الدفعة الأخيرة من الكعك .

لقد صنع شظية (رقاقة ، كسرة) من الجليد-تسعة . كانت زرقاء-بيضاء اللون . وكانت لديها درجة ذوبان تصل إلى مائة وأربعة عشر فاصلة أربعة درجة فهرنهايت .

وضع فيليكس هوينيكر الشظية في زجاجة صغيرة ، ووضع

الزجاجة في سترته . وذهب لكوخه في منطقة (كيب كود) مع أبنائه الثلاث ، وفي نيته أن يحتفلوا بأعياد الميلاد هناك .

كانت أنجيلا في الرابعة والثلاثين . وفرانك في الرابعة والعشرين . ونيوت الصغير في الثامنة عشر .

توفي الرجل العجوز عشية عيد الميلاد ، بعد أن أخبر أبناءه عن الجليد-تسعة .

وقام أبناؤه بتقسيم الجليد-تسعة بينهم .

٢٤. ما هو الـ (وامبيتير)

وهو ما يجعلني أصل إلى المفهوم البوكونوني المعروف باسم الـ(وامبيتير) .

الوامبيتير هو أساس الكاراس . يذكّرنا بوكونون أن لا كاراس بدون وامبيتير ، كما لا توجد عجلة بدون محور .

أي شيء يمكنه أن يكون وامبيتير : شجرة ، صخرة ، حيوان ، فكرة ، كتاب ، لحن موسيقي ، الكأس المقدسة . وأي كان ، فإن أعضاء كاراسه يطوفون حوله في الفوضى المهيبة لسديم ملولب . وبطبيعة الحال فإن مدارات أعضاء أي كاراس يطوفون حول الوامبيتير المشترك ، وهي مدارات روحانية . إنها الأرواح لا الأجساد التي تطوف . كما يدعونا بوكونون للغناء :

ندور وندور وندور حوله ،

بأقدام من رصاص وأجنحة من قصدير .

ويأتي وامبيتير ، ويمضي وامبيتير ، كما يذكر بوكونون .

وفي أي وقت ما ، فإن للكاراس وامبيتيرين ، واحد يزداد وآخر يتناقص في الأهمية .

وأكاد أجزم أنني بينما كنت أتحدث مع د . بريد في إيليوم ،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فإن وامبيتير كاراسي البادئ في التفتح هو ذلك النوع البلوري من الماء ، تلك الجوهرة الزرقاء-البيضاء ، بذرة الهلاك تلك ، المسماة الجليد-تسعة .

بينما كنت أتحدث مع د . بريد في إيليوم ، كان في حوزة أنجيلا ، فرانكلين ، ونيوت هوينيكر بذوراً من الجليد-تسعة ، بذورًا نمت من بذرة والدهم شظايا ، بشكل ما ، أُخذت من الكتلة القديمة .

كنت جازمًا ، أن ما سيحدث لتلك البذور الثلاث ، سيكون مصدر قلق رئيسي لكاراسي .

٢٥. الشيء الأساسي حول د. هوينيكر

دعنا حاليا من التحدث عن وامبيتير كاراسي .

فبعد مقابلتي غير السارة مع د . بريد في مختبر الأبحاث التابع للشركة العامة للسبك والمعادن ، سُلِّمت إلى الآنسة فاوست ، التي كانت لديها تعليمات بأن تقودني إلى الباب الخارجي . إلا أنني استطعت إقناعها بأن تجعلني أزور قبل ذلك معمل الراحل د . هوينيكر .

في الطريق إلى المعمل ، سألتها ما مدى معرفتها بالدكتور هوينيكر . لتقدم لي إجابة صريحةً ومثيرة ، مصحوبة بابتسامة لاذعة .

«لا أعتقد أنه كان قابلاً للمعرفة . أعني أن معظم الناس عندما تتحدث عن معرفة شخص ما بشكل كبير أو قليل ، فإنها تتحدث عن أسرار قيلت أو لم تقل لهم . إنهم يتحدثون عن أشياء حميمة ، عن الأسرة ، الحب» وتابعت السيدة اللطيفة قولها : «لقد كان لدى د . هوينيكر جميع هذه الأشياء في حياته ، مثلما هو الحال مع كل

شخص حي ، ولكنها لم تكن أشياءً أساسية في حياته» .

«ماذا كانت الأشياء الأساسية؟» سألتها .

«كثيرًا ما يقول لي د . بِريد بأن الشيء الأساسي للدكتور هوينيكر هو الحقيقة» .

«يبدو أنك لا توافقينه الرأي!»

«لا أدري إن كنت أوافقه أم لا . أنَّني فقط أجد صعوبة في استيعاب كيف تكون الحقيقة ، لوحدها فقط ، كافية لأي شخص» .

لقد كانت الآنسة فاوست جاهزة لتلقي الرسالة البوكونونية .

٢٦. ما هو الله؟

«هل سبق أن تحدثتِ للدكتور هوينيكر؟» سألتُ الآنسة فاوست .

«أوه ، بالطبع . لقد تحدثتُ معه كثيراً .»

«وهل علِقت في ذهنك أي من تلك الأحاديث؟»

«أتذكر فِي أحد المرات عندما راهنني أنه لا يمكنني أن أذكر أي حقيقة مطلقة . لذا فقد قلت له ، «الله هو الحب» .

«وبماذا أجابك؟»

«قال لي ، «ما هو الله؟ ما هو الحب؟»

«اممممم .»

«ولكن ، أَتدري أن الله هو الحب حقاً؟» قالت الآنسة فاوست «بغضِّ النظر عمّا قاله د . هوينيكر» .

٢٧ الرجال من المريخ.

كانت الغرفة التي استعملها د . فيليكس هوينيكر كمختبر في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الطابق السادس ، أعلى طوابق المبنى .

كان هناك شريط بنفسجي يقطع مدخله ، وعُلقت لوحة نحاسية على الجدار توضح سبب تقديس هذه الغرفة :

في هذه الغرفة ، قضى ، د . فيليكس هوينيكر الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء ، السنوات الثماني والعشرين الأخيرة من حياته .

«حيثما كان ، وُجِدت حدود المعرفة» .

لا يمكن قياس أهمية هذا الرجل الفريد في تاريخ البشرية .

عرضت الآنسة فاوست أن تُزيل الشريط البنفسجي لأجلي حتى أتمكن من الدخول والسير بشكل حميمي مع أي من الأشباح بالداخل ، فوافقت على ذلك .

«إنه كما تركه تمامًا» أردفت قائلة «سوى أن هناك الكثير من الأربطة المطاطية المبعثرة فوق المنضدة» .

«أربطة مطاطية؟!»

«لا تسألني لماذا . لا تسألني لما كل هذا .»

لقد ترك الرجل العجوز المختبر في حالة فوضى . ولكن ما استرعى انتباهي مباشرة هو كمية اللُعب الرخيصة الملقاة في كل مكان . كان هناك طائرة ورقية مكسورة . كان هناك لعبة بلبل بخيط ملفوف في حالة استعداد لأن يدور محافظاً على توازنه ، وكان هناك أنبوب لنفخ الفقاقيع ، كان هناك حوض للأسماك يحوي قصراً صغيراً وسلحفاتين .

«كان يحب محلات (العشر سنتات) الرخيصة ،» قالت الآنسة فاوست .

«أستطيع تخمين ذلك» .

«بعض من أشهر تجاربه أجريت باستخدام أدوات تكلف أقل من دولار واحد» .

«قرش تدَّخره هو قرش تكسبه» .

بالطبع كان هناك العديد من الأدوات المختبرية التقليدية أيضًا ، ولكنها بدت مثل الكماليات الباهتة بجانب اللعب الرخيصة والمرحة .

كان هناك كومة من الرسائل على مكتب د . هوينيكر .

«لا أعتقد أنه قام بالإجابة على أي رسالة ، كان عليهم أن يتحدثوا معه إما على الهاتف أو يأتوا لرؤيته شخصيًا إن أرادوا الحصول على أجوبة» .

كانت هناك صورة مؤطرة على المكتب . كانت خلفيتها تواجهني لذا فقد حاولت تخمين لمن تكون الصورة . «هل هي لزوجته؟»

«كلا» .

«أحد أطفاله؟»

«كلا» .

«صورة له شخصيًا؟»

«كلا» .

لذا فقد نظرت إليها ، لأجد أن الصورة كانت لنصب تذكاري متواضع أمام مبنى محكمة لمدينة صغيرة . كان جزء من النصب يُظهر لوحة احتوت على أسماء القرويين الذين قتلوا في الحروب المتعددة ، وخمنت أن اللوحة لا بد أن تكون السبب وراء الصورة . كان بإمكاني قراءة الأسماء ، وظننت أنني سأجد اسم عائلة هوينيكر بينها . ولكنه لم يكن ضمنها .

«كانت تلك إحدى هواياته ،» قالت الآنسة فاوست .

«وما هي؟»

«تصوير كيف يتم ترتيب كرات المدفعية فوق بعضها أمام

https://telegram.me/maktabatbaghdad

شرفات المحاكم المختلفة . وعلى ما يبدو أن طريقة ترتيبها في هذه الصورة غير عادية» .

«حسنًا ، يمكنني رؤية ذلك» .

«لقد كان رجلاً غير عادي» .

«أتفق معك» .

«ربما بعد مليون سنة سيصبح الجميع ذكيًا مثله ويفهمون الأشياء بنفس طريقته . ولكن بالمقارنة مع الشخص العادي اليوم ، فقد كان مختلفًا كاختلاف رجل من المريخ» .

«ربما كان مريخيًا ،» اقترحتُ قائلاً .

«ربما ، هذا بالتأكيد ما يفسر بشكل واضح غرابة أطفاله الثلاثة» .

٢٨. مايونيز

بينما كنت أنتظر قدوم المصعد مع الآنسة فاوست ليقلنا إلى الطابق الأول ، قالت الآنسة فاوست أنها تأمل أن لا يكون المصعد القادم هو الرقم خمسة . وقبل أن أسألها لماذا تتمنى ذلك ، كان المصعد رقم خمسة قد جاء .

كان مُشغل المصعد رجلاً زنجيًا صغيرًا وهرمًا اسمه (لايمن انديرس نولز) . لقد كان نولز مجنونًا ، أكاد أجزم بذلك ، حيث كان يمسك مؤخرته ويصرخ «نعم ، نعم!» كلما أحس أنه قد أكد وجهة نظره .

«مرحبًا ، بزملائي البشر ، وأوراق الزنبق المائي ، وعجلات التجديف» قال يخاطبني أنا والآنسة فاوست . «نعم ، نعم!»

«الطابق الأول من فضلك ،» قالت الآنسة فاوست ببرود .

كل ما يجب على نولز فعله لإغلاق الباب وإيصالنا إلى الطابق

الأول هو الضغط على الزر . ولكنه لم يكن ينوِ القيام بذلك بعد . وربما لم يكن يريد القيام بذلك لعدة سنوات .

ثم تابع قائلاً «لقد أخبرني أحد الرجال أن هذه المصاعد صممت بمعمار المايا . لم أكن أعرف ذلك حتى اليوم . وقد قلت له ، «هل يعني ذلك أنني مايونيز؟» نعم ، نعم! وبينما كنت أفكر في ذلك ، ألقيت عليه سؤالاً جعله يستفيق ويفكر مرتين بشدة! نعم ، نعم!»

«هل من الممكن أن توصلنا للأسفل يا سيد نولز؟» قالت الآنسة فاوست متوسلة .

تابع نولز قوله «قلت له إن في هذا المكان يوجد مختبر للبحث . والبحث يعني إعادة النظر أليس كذلك؟ يعني أنهم يبحثون عن شيء عثروا عليه مرة واحدة ولكنهم أضاعوه بطريقة ما ، والآن عليهم إعادة البحث عليه؟ إذن كيف يمكنهم إنشاء مثل هذا المبنى بهذا الشكل ، بما فيها مصاعد المايونيز وكل شيء ، وملؤها بكل هؤلاء المجانين؟ ما الذي يسعون للعثور عليه مجدداً؟ من أضاع ماذا؟» نعم . نعم!»

«ذلك شيء مثير للاهتمام» زفرت الآنسة فاوست وتابعت «والآن هل من الممكن أن ننزل؟»

صرخ نولز قائلاً : «الاتجاه الوحيد الممكن هو النزول للأسفل ، فنحن في الأعلى . فلو طلبت أن نصعد للأعلى فإنني لا أستطيع القيام بذلك . نعم ، نعم!»

«إذن لننزل للأسفل ،» قالت الآنسة فاوست .

«قريبًا جدًا . هل كان هذا الرجل يؤبّن الدكتور هوينيكر؟»

«نعم» أجبته قائلاً «هل كنت تعرفه؟»

«بحميمية» أجاب قائلاً «هل تعرف ما قلته حين توفي؟»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«كلا» .

«قلت «الدكتور هوينيكر ليس ميتًا .»

«أوه؟»

«لقد انتقل إلى بعد آخر . نعم ، نعم!» ولكز الزر ، ورحنا ننزل للأسفل .

«هل كنت تعرف أطفال هوينيكر؟» سألته قائلاً .

أجاب قائلاً «الأطفال ممتلئون بالسُعار . نعم ، نعم!»

٢٩. رحل، لكنه لن ينسى!

كنت أريد القيام بشيء آخر في)إيليوم(قبل مغادرتها . أردت أن ألتقط صورة لضريح الرجل العجوز . لذا عدت لغرفتي في الفندق ، حيث لم أجد ساندرا ، أخذت آلة التصوير ، وطلبت سيارة أجرة .

كان الثلج الخفيف ما يزال يتساقط ، لاذعًا ورماديًا . خُيل إليّ أن شاهد ضريح الرجل العجوز سيظهر بشكل مؤثر في الصورة مع هذا الثلج ، وقد تصلح لأن تكون صورة جيدة لغلاف كتابي - يوم نهاية العالم .

دلني الحارس عند بوابة المقبرة على الطريق للوصول لمدافن عائلة هوينيكر . قال «لا يمكنك أن تخطئها ، ففيها أكبر معلم في المكان» .

لم يكن كاذبًا . فالشاهد الحجري كان عمودا مرمريا بارتفاع عشرين قدمًا وعرض ثلاث أقدام . لقد كان مزدانًا بالثلج .

«يا إلهي!» صحت بينما كنت أنزل من السيارة وآلة التصوير بيدي «ألا يليق هذا النصب التذكاري بوالد القنبلة الذرية؟» قلت ضاحكًا .

طلبت من السائق الوقوف بجانب النصب لكي يظهر حجمه بالمقارنة به . ثم طلبت منه أن يمسح الثلج عنه لكي يظهر اسم الميت .

قام بذلك .

وهناك على العمود ظهرت أحرف بحجم ستة بوصات ، الله المستعان ، ظهرت كلمة :

«الأم»

٣٠. نائمة فقط

«الأم؟» تساءل السائق بريبة .

أزلت المزيد من الثلج لكي تظهر هذه القصيدة :

«أمي ، أمي ، كم أصلي

من أجل أن تحرسينا كل يوم» .

- أنجيلا هوينيكر

وتحت هذه القصيدة كُتبت واحدة أخرى ،

«أنت لست ميتة ،

ولكنكِ نائمة فقط .

علينا أنَ نبتسم

ونكفّ نحيبنا» .

- فرانكلين هوينيكر

وتحت ذلك ، كان هناك مربع من الأسمنت يظهر عليه بصمة يد طفل صغير . وتحت البصمة كانت هناك الكلمات التالية :

الطفل نيوت .

«إذا كانت هذه الأم ،» قال السائق ، «فماذا نصبوا فوق الأب؟» موحيًا بشكل فاحش لما قد يكون النصب المناسب للأب .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وجدنا الأب بالقرب . كان تذكاره- كما حددته وصيته ، التي اطلعت عليها لاحقاً- مكعباً رخامياً بطول أربعين سنتمتراً من كل جهة . كُتب عليه
«الأب»

٣١. (بِريد) آخر

بينما كنا نهم بمغادرة المقبرة ، بدا السائق قلقًا عن حالة قبر والدته ، وطلب محرجاً أن نمر بسرعة لإلقاء نظرة عليه .

كان شاهد قبر والدته عبارة عن صخرة صغيرة بائسة . وإن كان ذلك غير مهم .

ثم سألني السائق إن لم أمانع بالمرور هذه المرة على محل شواهد الأضرحة على الجانب الآخر من الطريق إلى المقبرة .

في ذلك الوقت لم أكن بوكونونيًا ، لذا وافقت بامتعاض . فالبوكونوني ، طبعًا ، سيوافق بسرور بالذهاب إلى أي مكان يقترحه أياً كان . وكما قال بوكونون : «مقترحات السفر الغريبة هي دروس إلهية للرقص»

كان اسم محل شواهد الأضرحة (إفرام بِريد وأبناؤه) . وبينما تحدث السائق مع موظف المبيعات ، تجولت بين الشواهد والنصب - نصب فارغة ، نصب تذكارية للاشيء .

وجدت طرفة مهنية في حجرة العرض عبارة عن تمثال لملاك حجري معلق حوله دبق . وتحت قاعدته تراكمت أغصان الأرز ، ووضعت قلادة من مصابيح شجرة عيد الميلاد حول عنقه الرخامي .

«بكم هذا الملاك؟» سألت البائع .

«ليس للبيع . عمره مائة عام . لقد قام جدي الأكبر ، افرام بِريد بنحته» .

«هل المحل بهذا القِدم؟»

«نعم» .

«وهل أنت من عائلة بِريد كذلك؟»

«نعم ، رابع جيل في نفس هذا المحل» .

«هل لك صلة قربى بالدكتور (آسا بِريد) ، مدير مختبر الأبحاث؟»

«إنه أخي» وذكر أن اسمه هو مارفين بِريد .

«عالم صغير حقاً!» أردفت قائلاً .

«هو كذلك عندما تضعه في مقبرة» بدا مارفين بِريد رجلاً أنيقاً وخشناً ، حذقاً وعاطفياً .

٣٢. أموال الديناميت

«عدت للتو من مكتب أخيك ، أنا كاتب . كنت قد تحدثت معه عن الدكتور هوينيكر . «قلتُ لمارفن بِريد .

«هناك نوع واحد من ابن الزنا الشاذ هذا ، لا أعني أخي . أنا أقصد هوينيكر .»

– هل بعته ذلك النصب التذكاري من أجل زوجته؟

– لقد بعته لأولاده . لم يكن يستطيع أن يفعل أي شيء بخصوصه . ولم يأتي كي يضع أي نوع من العلامات على قبرها . ثم وبعد أن مر عام أو أكثر على موتها ، أتى أبناء هوينيكر الثلاثة إلى هنا ، الفتاة الطويلة العريضة والصبي والولد الصغير وطلبوا أكبر شاهد قبر يمكن أن تشتريه النقود ، الفتاة والصبي كانوا قد كتبوا شعرا وكانوا يريدون كتابة ذلك الشعر على شاهد القبر .

«يمكنك أن تضحك على شاهد القبر هذا . لو أردت ذلك «قال مارفن بِريد ، «لكن هؤلاء الأطفال حصلوا على عزاء أكثر مما يمكن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن تشتريه النقود . كانوا يأتون عادة وينظرون للنصب ويضعون الزهور عليه ، لا أعلم حتى كم مرة في العام يفعلون ذلك»

- لا بد وأنه كلفهم الكثير .

- أموال جائزة نوبل هي من جعلتهم يشترونه ، وهذه النقود اشترت شيئين : منزلا صيفيا في مدينة كابي كود ، وهذا النُّصب .

- أموال الديناميت؟! . قلت متعجبا وأنا أفكر في العنف المتفجر للديناميت بالمقارنة مع السكون المطلق لشاهد قبر ومنزل صيفي هادئ .

- ماذا؟

- نوبل اخترع الديناميت .

- حسنا . أعتقد أنه أخذ كل أنواع . . .

ومنذ أصبحتُ من البوكونون ، متأملا في سلسلة الأحداث المدهشة التعقيد والتي أدت بمال الديناميت إلى هذه الشركة الخاصة بصناعة شواهد القبور . . أعتقد أني كنت أهمس : «معقد ، معقد ، معقد» .

«معقد ، معقد ، معقد» هو ما نقوله نحن البوكونونيون عندما نفكر كم هو معقد وغير متوقع دولاب الحياة هذا .

لكن كل ما يمكنني أن أقوله لو كنت مسيحيا في هذه الحالة هو : «الحياة بالتأكيد مضحكة أحيانًا» .

«وأحيانا لا» . قال مارفن بِريد .

٣٣. رجل ناكر للجميل

سألت مارفن بِريد ما إذا ما كان قد عرف إيملي هوينيكر . زوجة فليكس وأم أنجيلا وفرانك ونويت ، تلك المرأة الراقدة بسلام تحت النُصب الضخم .

– «أعرفها؟ وبدا صوته أكثر حزنًا» . هل كنت أعرفها سيدي؟ بالتأكيد لقد عرفتها . أنا أعرف إيملي ، لقد كنا نرتاد نفس الثانوية في ايليوم وكنا نائبي الرئيس في قسم لجنة الألوان حينها . كان والدها يملك متجر ايليوم الموسيقي وكانت تستطيع عزف أي آلة توجد هناك . أحببتها بشدة ومن أجلها تخلّيت عن كرة القدم وجربت العزف على الكمان . ثم أتى أخي الأكبر آسا للبيت في عطلة الربيع من معهد MIT وارتكبت غلطة عمري بتقديمه إلى فتاتي المفضلة .

«غضّ مارفن بريد أنامله من الجزع» وبكل بساطة هكذا ، أخذها بعيدا عني ، هشّمتُ الكمان . الكمان ذو الخمس وسبعين دولارا هشّمته على المقبض النحاسي الكبير أسفل سريري ثم ذهبت إلى محل الزهور وابتعت ذلك النوع من العلب التي يضعون فيها دزينة من الزهور داخلها ، وضعت قطع الكمان المحطمة هناك وأرسلتها عبر ساعي بريد وسترن يونيون» .

– هل كانت جميلة؟

– جميلة؟ ردد . «عندما رأيتها للمرة الأولى ، هذا الملاك السماوي ، هذا لو كان الرب يرى أنه من المناسب أن يريني واحدًا ، لو حدث هذا سيكون جناح الملاك لا وجهه هو من سيجعلني أفغر فمي . أنا أصلا كنت قد رأيت أجمل وجه يمكن أن يوجد . ليس هناك رجل في مدينة ايليوم لم يكن واقعا في حبها سرًا أو بطريقة ما أخرى . وكانت تستطيع بهذا أن تنال أي رجل تريده» . بصق على الأرضية وواصل «ومن ثم ذهبت كي تتزوج هذا الهولندي الحقير ابن العاهرة . تمت خطبتها لأخي ، ومن ثم أتى هذا المخادع الحقير اللقيط ليأخذها منه . .» عضّ مارفن بريد أصابعه مجددا . «أخذها بعيدا عن أخي الكبير بكل بساطة ، أعتقد أنه من الخيانة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

العظمى ومن نكران الجميل ومن الجهل ومن التخلف ومن انعدام الثقافة أن تدعو رجلاً ميتًا مشهورًا مثل فليكس هوينيكر بابن العاهرة . أعرف كم كان إنسانا مسالما وهادئا وحالما ، ولم يكن ليؤذي ذبابة ، ولم يكن يهتم للمال ولا للنفوذ ولا للثياب الفاخرة ولا للسيارات أو الأشياء الأخرى ، لم يكن مثلنا . كان أفضل منا جميعا . . كان بريئا للغاية وكان فعلا وبشكل عملي المسيح نفسه لو غضضنا الطرف عن جزئية ابن الرب» .

شعر مارفن بريد أنه لم يكن من الضروري أن يكمل أفكاره لهذا دفعته بسؤالي إلى أن يكملها : لكن ماذا؟

قال «لكن ماذا؟» وسار نحو النافذة ناظرا إلى بوابة المقبرة «لكن ماذا؟» غمغم مجددا كأنه يوجِّه سؤاله إلى البوابة والصقيع وإلى شاهد قبر هوينيكر الذي بالكاد يُمكن رؤيته من هنا .

«لكن . . .» قال مارفن . «كيف يمكن بحق الجحيم لإنسان بريء أن يساعد على إنجاز شيء مثل القنبلة الذرية؟ وكيف يمكن أيضًا أن تقول عن إنسان أنه عاقل بينما لم يزعج نفسه بفعل أي شيء لزوجته اللطيفة ذات القلب المفعم ، أجمل امرأة في العالم والتي ماتت بسبب انعدام الحب والتفاهم» .

ارتجف وأضاف «أحيانا أتساءل ما إذا كان قد وُلد ميتا . لم أقابل قط رجلا أكثر لا مبالاة بالحياة منه ، أحيانا أفكر أن مشكلة العالم هي : أن العديد من الناس الذين يتولون المناصب المهمة هم مجرد حجارة . . ، شواهد قبور باردة وميتة»

vin-dit .٣٤

كنتُ في غرفة بيع شواهد القبور لما اختبرتُ أول فين-ديت لي . وفين ديت هي كلمة بوكونونية تعني ' فجأة ' . وهي دفعة قوية

لي في طريق البوكونونية ، نحو طريق التصديق بأن الله تعالى يعلم كل شيء عني . . وفوق ذلك فإن الله تعالى لديه بعض الخطط الدقيقة جدا لحياتي .

تجربة الفِين-ديت حدثت لي مع تمثال حجري يمثل ملاكا تحت شجرة هدال . علقت في رأس سائق سيارة الأجرة فكرة أن يحصل عليه مهما كان الثمن ، كان يقف أمامه ودموعه تنهمر من عينيه .

كان مارفن بِريد لا يزال يحدق عبر النافذة إلى بوابة المقبرة مواصلا كلامه حول فليكس هوينيكر Sالهولندي الحقير ابن العاهرة . الذي أصبح تقريبا نموذجًا للقديس في عصرناA أضاف Sلكن عليّ اللعنة إن لم يكن قد فعل كل ما أراد فعله وعلي اللعنة إن لم يكن قد حصل على كل ما يريده .A ثم قال :

- الموسيقى .

- عفوًا؟ .

- لهذا السبب هي تزوجته ، قالت أن عقله كان متناغمًا مع أكبر موسيقى موجودة . الموسيقى السماوية ، موسيقى النجوم والأفلاك ، هراء!!

ثم ذكّره منظر بوابة المقبرة بآخر مرة رأى فيها فرانك هوينيكر . مصمم النماذج ومحنط الحشرات في العبوات الزجاجية «فرانك» .

- ماذا عنه؟

- آخر مرة رأيت فيها هذا البائس ، هذا الطفل اللقيط ، كانت لما مر من هنا عبر بوابة المقبرة حيث كانت جنازة والده ، كان العجوز الميت لم يدفن بعد وعبر البوابة ظهر فرانك ورفع إبهامه لأول سيارة مرت من هناك وكانت سيارة بونتياك جديدة تحمل رقم ولاية فلوريدا . توقفت السيارة . وصعد فرانك وكانت هذه آخر مرة رآه أحد في ايليوم .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- لقد سمعت أنه مطلوب من طرف الشرطة .

- كانت حادثة ، نزوة ما ، فرانك لم يكن أي مجرم ، لم يكن يملك أعصابا قوية تتحمل ، والشيء الوحيد الذي كان يجيده هو تصميم النماذج ، والعمل الوحيد الذي زاوله هو عمله في محل جاك هوبي يبيع النماذج ويصنعها ويقدم للناس نصائح حول صنعها . ولما غادر هذه المدينة إلى فلوريدا حصل على عمل في محل النماذج في ساراسوتا ، وتبين لاحقا أن محل النماذج كان مجرد واجهة لعصابة تسرق سيارات الكاديلاك ثم يشحنوها على متن سفينة عسكرية قديمة إلى كوبا . وهذه هي قصة تورط فرانك في كل هذا . وأعتقد أن الشرطة لم تستطع أن تجده لأنه مات . أعتقد أنه سمع الكثير جدا بما يكفي عندما كان يلصق الأبراج الدفاعيّة بالغراء في السفينة الحربية ميسوري[1] .»

- وأين هو نيوت الآن؟

- أعتقد أنه مع أخته في أنديانا بوليس ، آخر ما سمعته عنه هو أن الأمور ساءت بينه وبين هذه القزمة الروسية وفشل في دراسات القبول الطبية بجامعة كورنيل . هل يمكنك أن تتصور قزمًا يحاول أن يصبح طبيبا؟ وأيضًا في نفس هذه العائلة البائسة هناك هذه الطفلة الكبيرة الضخمة ، الخرقاء بطول ستة أقدام ، وهذا الرجل المشهور بامتلاكه عقلاً عبقريًا . هذا الرجل أخرج هذه الفتاة

---

(١) سفينة يو إس إس ميسوري (بيبي-٦٣) ، وتلّقب بـ«بيغمو» أو «مايتيمو» ، وهي سفينة عسكرية أمريكية بدأت تعمل في البحرية الأمريكية بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٤٠ ، وأنهت خدمتها بتاريخ ٣١ مارس عام ١٩٩٢م . وكان سفينة يو إس إس ميسوري قد أُستخدمت في الحرب العالمية الثانية ضد الإمبراطورية اليابانية بعد حادثة بيرل هاربور الشهير . (المترجم) .

من الثانوية في عامها الثاني من أجل أن يحصل فقط على امرأة تعتني به . وكل ما كانت قد خرجت به من الثانوية هو عزفها الكلارينت في فرقة ثانوية ايليوم العامة خلال «المسيرة المئوية» .

«وبعد أن غادرت الثانوية» قال بريد «لم يواعدها أحد ولم تكن تملك أي أصدقاء والعجوز لم يكن يفكر حتى في إعطائها بعض النقود للذهاب إلى أي مكان . هل تعرف ما الذي كان تفعله؟»

- لا .

- كانت معتادة على أن تغلق على نفسها ليلاً في غرفتها ، وتبدأ في عزف المقطوعات الموسيقية وكانت تعزفها كلها على آلة الكلارينت ، وفي رأيي فإن معجزة هذا العصر هي مثل هذه المرأة قد وجدت فعلاً زوجًا لها»

- كم تطلب ثمنا لتمثال الملاك هذا؟ سأله سائق سيارة الأجرة .

- لقد أخبرتك ، أنه ليس للبيع .

- لا أعتقد أنه يوجد هنا من يستطيع القيام بمثل هذا النوع من النحت الحجري .

- هناك من يستطيع ذلك قال له بريد وتابع :

«ابن آسا كانت بوادره تشير إلى أنه سيكون باحثا علميا وَاعدًا ثم ألقى أولئك القوم القنبلة على هيروشيما ، فاستقال الصبي وشرب حتى ثمل ثم أتى إلى هنا وأخبرني أنه يريد العمل في نحت الأحجار» .

- هل هو يعمل هنا الآن؟

- هو الآن نحّات في روما .

- ماذا لو عرض عليك أحدهم ما يكفي لشرائه؟ ستبيعه؟ صح؟ قال السائق .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- ربما . لكن سيكون ثمنه باهظًا .

- أين توضع الأسماء على مثل هذه الأشياء؟ سأله سائق سيارة الأجرة .

- هناك اسم موجود بالفعل عليها ، إنه على قاعدة التمثال ولا نستطيع رؤيته بسبب أغصان الشجرة على قاعدة التمثال .

- ألم يستدعوه لأجل هذا أبدا؟

- لم يدفعوا له من أجل هذا . القصة سارت كالآتي : هذا المهاجر الألماني كان في طريقه غربًا مع زوجته وماتت جرَّاء الجدري هنا في ايليوم ، لهذا طلب هذا التمثال الملائكي ليوضع على قبرها وأخبر جد جدي أنه يملك المال كي يدفع له نقدًا . ثم نهبه أحدهم وأخذ منه آخر سنت يملكه . ولم يتبق له شيء في هذا العالم سوى قطعة أرض في إنديانا ، أرض اشتراها هناك ولكن لم يرها قط وهكذا مضى قدمًا قائلاً أنه سيعود لاحقًا كي يدفع ثمن الملاك .

- لكنه لم يعد أبدًا؟ سألته

«لا» قال مارفن بِريد وبإصبع قدمه ، أبعد بعض الأغصان جانبا كي نرى الأسماء تظهر على قاعدة التمثال . كان اللقب مكتوبا في ذلك المكان «إليكم هذا الاسم العجيب» قال «لو كان لهذا المهاجر أي أحفاد أتوقع أنهم أمركوا لقبهم . . ربما لقبهم الآن هو جونز أو بلاك أو تومبسون»

- أنت مخطئ . غمغمتُ

بدت الغرفة وكأنها تهتز والجدران والسقف والأرضية تحولت إلى أفواه تحتوي أنفاقا ، أنفاق تقود إلى كل الاتجاهات عبر الزمن .

وانتابتني لمحة استبصار بوكونونية ، رؤية البوكونون لوحدة الكائنات في كل ثانية وفي كل زمن ورؤى عن كل الرجال الهائمين ، وعن كل النساء الهائمات على وجوههم وكل الأطفال .

- أنت مخطئ . قلتُ لما انجلت الرؤية .
- هل تعرف بعض الناس بهذا اللقب؟
- نعم .
كان ذلك اللقب هو لقبي أيضا .

٣٥. متجر هوبي

وفي طريق عودتي إلى الفندق ألقيت نظرة على متجر هوبي ، المكان الذي عمل فيه فرانكلين هوينيكر ، أخبرت سائق سيارة الأجرة أن يتوقف وينتظر .

دخلت المحل ووجدت جاك بنفسه هناك بين لُعب شاحنات الإطفاء الصغيرة وسكك الحديد والطائرات والقوارب والبيوت وأعمدة الإنارة والأشجار والدبابات والصواريخ والسيارات والحمالين وسائقي سيارات الشرطة ورجال الإطفاء والأمهات والآباء والقطط والكلاب ، الدجاج والجنود والبط والبقر ، كان يبدو كما لو أنه قد خرج من قبر ، تبدو عليه الصرامة وكان قذِرًا ويسعل كثيرًا .

- أي صبي كان فرانكلين هوينيكر؟ ردد . وسعل ثم سعل . هز رأسه مظهرًا لي أنه يحب فرانك بقدر ما يحب أي شخص آخر ، وهذا النوع من الأسئلة لا يمكن للكلمات الإجابة عليها . «سأريك إذن أي صبي كان فرانكلين هوينيكر» . وسعل . «يمكنك أن تنظر . ومن ثمّ يمكنك الحكم بنفسك» .

ومن ثم أخذني إلى قبو المتجر . كان يعيش هناك في الأسفل ، كان هناك سرير مزدوج وخزانة ملابس ووجبة ساخنة .

اعتذر جاك عن فوضى سريره «لقد هجرتني زوجتي منذ أسبوع» وسعل . «مازلت أحاول لَمَّ شتات حياتي مجددًا»

أدار الكهرباء وفي النهاية البعيدة للقبو بزغ ضوء يعمي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأبصار . اقتربنا من الضوء ووجدنا أنه كان شعاع شمس يشع فوق بلدة صغيرة رائعة صُنعت بالخشب الرقيق ، كانت جزيرة مستطيلة الشكل تماما مثل بلدة في ولاية كانساس . مستطيلة بحيث أن أي روح قلقة هناك ، وأي روح تبحث لتعرف ما الذي يوجد وراء حدودها الخضراء كانت ستسقط فعلا من على حافة العالم .

تفاصيل هذا النموذج كانت بارعة ورائعة جدا ، وقد زُخرفت بشكل ذكي ولُونت ولم يكن من الضروري أن أحدق حتى تحول عيناي في تلك التفاصيل الدقيقة والصغيرة كي أصدق أن هذه المدينة كانت حقيقية فعلًا ، التلال ، البحيرات والأنهار والغابات والمدن وكل تلك الأشياء والأماكن التي يحبها الناس بشدة . كانت كالحقيقية تماما .

كانت خطوط سكك الحديد الملتوية تنتشر في كل مكان عبر نموذج المدينة ، قال جاك بفخر :

- انظر إلى أبواب المنازل .
- مُتقنة ، ونظيفة .
- هذه الأبواب عليها مقابض حقيقية تعمل فعلاً .
- يا إلهي! .
- لقد سألتني أي نوع كان الصبي فرانكلين هوينيكر . . هو من بنى هذا .
- كل هذا لوحده؟
- أوه . لقد ساعدته قليلا ، لكن أي شيء قمت به كان حسب خطته هو ، هذا الصبي كان عبقريًا .
- لا يمكن لأحد أن يجادلك في هذا .
- أخوه الصغير كان قزمًا ، هل تعرف هذا؟
- نعم .

- وهو من قام ببعض أعمال التلحيم في الجزء السفلي للنموذج . أكيد أنها تبدو حقيقيّة أيضًا .

- لم يكن الأمر سهلاً ولم تبنى بين ليلة وضحاها أيضًا .

- روما لم تبنى في يوم واحد .

- هذا الصبي لم يكن لديه منزل ، هل تعرف هذا؟

- سمعت عن هذا .

- هذا المكان كان هو منزله الحقيقي . . لقد أمضى ألوف الساعات هنا . . أحيانًا لم يكن يشغّل القطارات . . فقط يجلس ويتأمل النموذج كما نفعل نحن الآن .

- هناك الكثير كي تتأمله . . إنه يشبه رحلة إلى أوروبا ، هناك العديد من الأشياء لتراها لو تأملتها عن كثب .

بالطبع كان يرى أشياءً أنا وأنت لن نتمكن من رؤيتها ولكنه ذات مرة وفجأة قام بهدم منحنى صغير كان يبدو تماما كأي تل حقيقي بالنسبة لي ولك ، وتبين لي لاحقا أنه كان على حق في ذلك ، ووضع مكانه بحيرة وبنى جسرًا فوقها وبدت المدينة أجمل عشر مرات مما كانت عليه .

- كان موهوبًا بشكل خاص .

- هذا صحيح . قال جاك بحماس وهذا الحماس كلفه نوبة سعال أخرى . . ولما تجاوزها كانت عيناه تدمعان بغزارة «اسمع ؛ لقد قلت لهذا الصبي أن يذهب للمدرسة ويدرس الهندسة ، وهكذا يتمكن من أن يعمل مع سائق قطارات أو شخص ما كهذا ، شخص مهم ، شخص يمكنه فعلاً أن يدعم كل الأفكار التي يملكها» .

- يبدو لي أنه حتى لو قمت أنت بدعمه ستكون فكرة جيدة أيضا .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– أتمنى لو أنني كنت أستطيع ذلك . رد جاك بحزن . لم أكن أملك رأس مال ، لقد وفرت له الأدوات قدر استطاعتي ولكن معظم هذه المواد اشتراها بماله الذي حصل عليه بالعمل لي هنا في الأسفل . لم ينفق أي فلس على أي شيء آخر . لم يكن يشرب ولم يكن يدخن ولم يكن يذهب لمشاهدة الأفلام ولا يواعد الفتيات ولم يكن مهووسًا بالسيارات .

– هذه البلاد كان يمكنها أن تتدبر عملاً مفيدًا للناس من أمثاله .

رد جاك بسخرية . . «حسنا . . أعتقد أن عصابات فلوريدا قامت بهذا . . وأخشى أنه كشفهم» .

– أعتقد أنهم فعلوا ذلك .

وفجأة جثا جاك على الأرض وبدأ بالبكاء«أتساءل ما إذا كان أبناء العاهرات هؤلاء . . .» . وأجهش بالبكاء . . «لديهم أدنى فكرة عمّن قاموا بقتله!»

٣٦. مواء

خلال سفري إلى ايليوم وإلى الأماكن التي بعدها . أسبوعين ونتوقع قدوم عيد الميلاد . تركت الشاعر الفقير المسمى شيرمان كريبس ليمكث في شقتي بمدينة نيويورك مجانًا ، زوجتي الثانية كانت قد هجرتني بسبب أنني متشائم جدًا بالنسبة لإنسان متفائل مثلها ، وهكذا لم يكن بإمكانها التعايش مع هذا الأمر .

كريبس كان رجلا ملتحيًا ، ويبدو كما لو أنه تمثال بلاتيني ليسوع أشقر مع عيون ذابلة حزينة ، لم يكن صديقاً مقربًا لي . كنت قد التقيته في حفلة كوكتيل حيث قدم نفسه كرئيس للجمعية الوطنية للشعراء والرسامين المعاصرين للحرب النووية .

كـان يتـوسل من أجل مـأوى . ليس بالضـرورة مـأوى مـضـادا للقصف ، وصادف أنه كان بإمكاني توفير المـأوى .

وعندما عدت لشقتي وأنا لا أزال عالقا مع الآثار الروحية المحيرة لذلك التمثال الحجري المهمل في ايليوم ، وجدت أن شقتي قد دُمرت بفعل اجتياح من الفسوق والفجور العَدمّي ، لم يكن كريبس هناك طبعا . ولكنه وقبل أن يغادر كان قد صرف ما قدره ثلاثمائة دولار من المكالمات بعيدة المدى وأحرق أريكتي في خمسة أماكن منها وقتل قطتي وشجرة الأفوكادو خاصتي وقلع باب خزانة الأدوية . وكتب هذه القصيدة بما تبين لي فيما بعد أنه خراء . على الأرضية الصفراء اللامعة لمطبخي .

لدي مطبخ .
لكنه ليس مطبخا كاملا .
أن أكون شاذًا بحق .
حتى أتمكن من التخلص
من الجميع .

وكانت هناك رسالة أخرى كتبت بأحمر الشفاه ، وكان يبدو أنه خط أنثى على ورق الجدران فوق سريري كان يقول «لا . لا . لا . تقول تشكين لِيكن»[٢]

وكانت هناك بطاقة معلقة حول عنق قطتي الميتة كُتب فيها ' مياو ' .

ومن وقتها لم أرى كريبس مجددًا . مع ذلك أحس أنه كان ضمن الكاراس الخاص بي أيضًا . لو كان كذلك فإنه قام بهذا الدور

(٢) تشيكن ليكن (بالإنجليزية «Chicken Licken») : هي سلسلة مطاعم معروفة ؛ في جوهانسبرغ ، جنوب أفريقيا . (المترجم)

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بشكل الرانغ رانغ . وحسب البوكونون فإن الرانغ رانغ هو شخص يُبعد الناس عن خط المصادفة بتقليص هذا الخط . وكمثال للرانغ رانغ الخاص بي فإنه حوّل كل هذا إلى عبثية فارغة .

ربما أنا أميل على نحو غامض إلى تفسير حادثة الملاك الحجري إلى اللامعنى . وانطلقت من هناك إلى استنتاج عبثية كل شيء . لكنني وبعد ما رأيت ما فعله كريبس . وبالأخص ما فعله قطتي المحبوبة تأكدت أن العدمية لا تصلح لي .

شيء ما أو شخص ما لا يريدني أن أصبح عدميًا ، وهذه كانت مهمة كريبس . وسواء كان يعلم هذا أم لا . . فقد حرَّرني من توهّم صدق مثل هذه الفلسفة العدمية . . أحسنت صنعا مستر كريبس ، أحسنت صنعًا .

٣٧ لِواءٌ من أيامنا هذه

ثم وفي أحد الأيام . كان يوم أحد ، عرفت أين كان الهارب من العدالة . صانع النماذج ،الرب العظيم يهوه ، وبعلزبوب إله الذباب ، كان في مصنع زجاجات أين يمكن أن يكون فرانكلين هوينيكر .

كان حيا!

كانت هذه الأخبار في ملحق خاص بالنيويورك ساندي تايمز . كان الملحق ممولا بإعلان من إحدى جمهوريات الموز[٣]

(٣) جمهورية الموز : جمهورية الموز هو مصطلح ساخر يطلق للانتقاص من أو ازدراء دولة غير مستقرة سياسيا ، يعتمد اقتصادها على عدد قليل من المنتجات كزراعة الموز مثلا ، ومحكومة بمجموعة صغيرة ثرية وفاسدة . لايزال هذا المصطلح يستخدم غالبا بطريقة مُهينة لوصف بعض حكومات البلدان في أمريكا الوسطى ومنطقة بحر الكاريبي ، ويستعمل كي يشير إلى دول أمريكا الجنوبية وآسيا وافريقيا . (المترجم)

وعلى غلافها كانت هناك صورة لأكثر فتاة جميلة تغزو القلوب رأيتها من قبل .

ووراء الفتاة كانت الجرّافات تُسقط أشجار النخيل لتشق طريقاً عبرها ، وفي نهاية الطريق الذي يضم شارعًا فيما بعد ، كانت هناك هياكل حديدية لثلاث مباني جديدة .

«جمهورية سان لورينزو» . كانت نسخة الغلاف تقول .

«في طريقها إليكم ، بلاد صحية سعيدة ، متقدمة ومحبة للحرية وجميلة ، هذه البلاد التي جعلت نفسها جذابة جدًا للمستثمرين الأمريكيين والسُياح» .

لم أكن مستعجلاً أصلاً لقراءة المحتويات . صورة الفتاة على الغلاف كانت كافية بالنسبة لي بل أكثر من كافية ووقعت في حبها من أول نظرة ، كانت جد صغيرة وجد بائسة وتبدو بشكل واضح أنها رقيقة ورزينة .

كانت سمراء اللون كالشيكولاتة . وكان شعرها كخيوط ذهبية .

كان اسمها هو مونا آمانوس مونزانو ، هذا ما يقوله الغلاف وكانت الابنة المتبناة لديكتاتور الجزيرة .

فتحت الملحق آملاً أن أجد صورًا أخرى لهذه المادونا المولّدة السامية .

لكني وجدت بدل ذلك صورة بورتريه لديكتاتور الجزيرة ميغيل بابا مونزانو ، غوريلا في أواخر السبعينات من عمره

وإلى جانب صورة 'بابا' كانت هناك صورة لشاب غير ناضج ضيق الكتفين ذو وجه ثعلبي الملامح كان يرتدي بلوزة عسكرية بيضاء ثلجية مزينة بنموذج شروق شمس معلق عليها وكانت كلتا عيناه مغلقتان وكانت هناك دوائر تحتهما . ويبدو من الواضح أنه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان يقول للحلاقين طيلة حياته أن يحلقوا جوانب وخلف رأسه لكن أن يتركوا الأعلى كما هو . كانت تسريحة شعره من نوع بومبادور وهي تسريحة تدع الجزء الأعلى من شعر الرأس كما هو ليرتفع بشكل غير عادي .

هذا الصبي غير الوسيم عُرّف على أنه اللواء فرانكلين هوينيكر وزير العلوم والتقدم الوطني في جمهورية سان لورينزو .

وعمره ستة وعشرون سنة .

٣٨. عاصمة سمك الباركودا العالمية

كانت مساحة سان لورينزو خمسين ميلا في الطول وعشرين في العرض . وعرفتُ من ملحق نيويورك ساندي تايمز أن عدد سكانها كان خمسون ألفا وأربعمائة روح ، وكلهم «مكرّسون بالكامل لخدمة مبادئ مثالية من أجل عالم حر» .

أعلى نقطة فيها كانت قمة جبل مك-كابي بطول أحد عشر ألف قدمًا فوق مستوى البحر . عاصمتها كانت «بوليفار» والتي «كانت مدينة حديثة بشكل واضح للعيان بنيت على ميناء كبير يمكنه أن يأوي بحرية الولايات المتحدة الأمريكية كلها» وأهم الصادرات كانت السكر ، القهوة والموز والصبغة النيلية والتحف والهدايا يدوية الصنع .

أما صيادو السمك الرياضيون (المهتمون برياضة صيد السمك) فيعتبرون سان لورينزو «عاصمة سمك الباركودا العالمية دون منازع» .

أتساءل بدهشة كيف تمكن فرانكلين هوينيكر والذي لم ينهي الثانوية العامة قط ، قد حصل لنفسه على عمل مهم جدًا كهذا ، ووجدت جزءا من الإجابة في مقالة عن سان لورنزو كتبها بابا

مونزانو ، قال بابا أن فرانك كان مهندس «المخطط الرئيسي لسان لورينزو» وهذا المخطط يتضمن طرقًا جديدة وإمدادات للمناطق الريفية بالكهرباء ، محطات تصفية مياه الصرف الصحي ، فنادق ومستشفيات ومستوصفات وسكك حديدية وما إلى ذلك . ثم وبما أن المقالة كانت مختصرة ومحررة بإحكام فإن بابا أشار إلى اسم فرانك خمس مرات كابنٍ من صلب الدكتور فليكس هوينيكر .

كانت هذه الجملة تفوح برائحة آكلي لحوم البشر . كان من الواضح أن بابا يعتقد أن فرانك قطعة من اللحم السحري لذلك الرجل العجوز .

٣٩. سراب

وألقت مقالة أخرى بعض الضوء عن فرانكلين في الملحق ، كانت مقالة بعنوان منمق «ما الذي تعنيه سان لورينزو لأحد الأمريكيين؟» وكان من المؤكد أن كاتبا شبحًا هو من كتبها . كانت بقلم اللواء العام فرانكلين هوينيكر .

في المقالة ، حكى فرانك عن بقائه وحيدا في قارب كريس كرافت ست وثمانين قدما ، مشرفًا على الغرق في البحر الكاريبي . لم يشرح ما الذي كان يفعله هناك أو كيف أصبح وحيدًا لكنه أشار إلى أن نقطة انطلاقه كانت من كوبا .

«قارِب النزهة الفاخر كان يغرق لأسفل ومعه حياتي الخاوية من المعنى» . قالت المقالة .

«كان كل ما أكلته خلال أربعة أيام هو قطعتي بسكويت ونورس بحر ، بينما كانت زعانف أسماك القرش آكلة لحوم البشر تحوم في المياه الدافئة من حولي . وأسماك الباركودا ذات الأسنان الحادة المدببة كانت تجعل هذه المياه تغلي .»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«رفعت عيناي إلى خالقي راغبًا في قبول أي قرار يتخذه بشأني ، ووقعت عيني على قمة جبل جميلة فوق الغيوم ، هل كانت هذه فاتا مونتانا؟ الخدعة القاسية للسراب؟»

في هذا الموضع من قراءتي قرأتُ في الأعلى عن فاتا مونتانا وعرفت أنها في الحقيقة عبارة عن سراب سُمي على مورجان لُو فاي . وهو جنيّ يعيش في قاع بحيرة وكان قد اشتهر بظهوره في مضيق ميسينا بين كالابريا وجزيرة صقلية . فاتا مورغانا كان باختصار مجرد هراء شاعرّي آخر .

ما رآه فرانك من قارب النزهة المغمور بالمياه لم يكن فاتا مورغانا أو خدعة قاسية من نوع ما ، ما رآه كان قمة جبل مك-كابي . وعبر المياه الهادئة انجرف قارب فرانك إلى سواحل الصخرية لسان لورينزو كما لو أن الرب ذاتهُ أراده أن يذهب هناك .

«نزل فرانك على الساحل وجفف حذاءه وسأل أين هو؟ .» لم تقل المقالة هذا ، لكن ابن العاهرة كان يملك جزءاً من مادة الجليد-٩ في ترمس يحمله معه .

فرانك ، وبما أنه لم يكن يملك جواز سفر وُضع في السجن في العاصمة بوليفار . وزاره هناك بابا مونزانو الذي أراد أن يعرف ما إذا كان فرانك أحد أقارب الخالد الدكتور فليكس هوينيكر .

«اعترفت أنني كذلك» . قال فرانك في المقالة . «ومنذ تلك اللحظة . كل أبواب الفرص في سان لورينزو فتحت على مصراعيها أمامي» .

٤٠. بيت الأمل والرحمة

وكما حدث ، «**وكما ينبغي له أن يحدث**» كما كان بوكونون سيقول . كلفتني إحدى المجلات أن أكتب عن قصة في سان لورينزو

ولم تكن القصة عن بابا مونزانو أو فرانك ، لكنها كانت عن جوليان كاستل . تاجر سُكّر أمريكي مليونير في الأربعين من عمره ، والذي كان -مقتديا بالدكتور ألبرت شوايتزر- قد أسس مستشفىً مجانيا في الغابة وكرّس حياته لخدمة الفقراء من عِرق آخر .

مستشفى كاستل كان يدعى بيت الأمل والرحمة في الغابة . والغابة كانت في سان لورينزو بين أشجار البن على السفح الشمالي لجبل مك-كابي .

ولما سافرت جوا إلى سان لورينزو ، كان جوليان كاستل في سن الستين .

كان قد أمضى عشرين سنة من نكران الذات وفعل الخيرات . ونذكرُ أنه في أيام عزّه وطيشه كان مشهورا لقراء الجرائد الصفراء كشهرة تومي مانفيل وأدولف هتلر وبينيتو موسوليني وباربرا هوتون . كانت شهرته من قبل مبنية على العهر وإدمان الكحول والقيادة المتهورة والتهرب من الخدمة العسكرية . كان يملك موهبة عجيبة في إنفاق الملايين دون أن يزود متاجر الناس بأي نوع من المنتجات عدا النكد والكدر .

كان قد تزوج خمس مرات . وأنجب ابنا واحدا ، وذلك الابن الوحيد المدعو فيليب كاستل كان مدير ومالك الفندق الذي خططتُ أن أقيم فيه . كان اسم الفندق كازامونا . وكان قد سمي على شرف **مونا آمونس مونزانو** ، الشقراء الزنجية التي كانت صورتها تحتل غلاف ملحق جريدة النيويورك سانداي تايمز .

الكازا مونا كانت علامة تجارية جديدة ، وهي إحدى الثلاث مباني الجديدة التي كانت تظهر في خلفية صورة مونا على غلاف الملحق .

وبما أنني لم أكن أعتقد أن البحر كان يجرفني بقدر محتوم إلى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سان لورينزو مثل فرانك ، فإني اعتقدت أن الحب هو من جلبني هنا ، الفاتا مونتانا ، هذا السراب الوهمي الذي يغريني أن أكون محبوب مونا آمانوس مونزانو أصبح قوة هائلة في حياتي الخاوية ، وتصوّرتُ أنها يمكن أن تجعلني سعيدًا جدًا أكثر من أي امرأة قد حاولت من قبل إسعادي .

٤١. كاراس لاثنين

جالساً في مقعدي على الطائرة ، متجهين أخيرا من ميامي إلى سان لورينزو ، كان كل صف من المقاعد يحتوي ثلاثة ركاب . وكما كان «**أو كما ينبغي له أن يكون**» ، كان الجالسون برفقتي : هورليك مينتون السفير الأمريكي الجديد لجمهورية سان لورينزو وزوجته كلير ، كانا رأسيهما قد اشتعلا شيبا من الكِبر ، وكانا لطيفين وضعيفي البنية .

أخبرني مينتون أنه دبلوماسي محنّك . لكنه سيشغل منصب السفير لأول مرة . كان هو وزوجته قد عملا طويلا -كما أخبرني- في بوليفيا وتشيلي واليابان وفرنسا ويوغوسلافيا ومصر وجنوب أفريقيا وليبيريا وباكستان .

كانا عاشقين ، وكان يقومان دون توقف بإبهاج نفسيهما بتبادل هدايا صغيرة : نظرات كان من المفترض أن تلقى عبر النافذة خارج الطائرة ، مقاطع مفيدة أو مسلية من الأشياء التي قرآها . . ذكريات متفرقة من الأوقات التي أمضياها معًا . كانا . . أعتقد . . مثالا نادرا وخالصاً لما يسميه البوكونون **دابراس** ، والذي هو عبارة عن كاراس مكون فقط من شخصين .

الدابراس الحقيقي أخبرنا بوكونون . «لا يمكن أن يُهزم ، حتى لو كانوا مجرد أطفال ولدوا بهذه الميزة»

أنا أستثني عائلة مينتون هذه ولذلك فمن من وجهة نظري فمن بين الكاراس الخاص بي ومن الكاراس الخاص بفرانك وكاراس نيوت وآسا بريد وأنجيلا وليمان آندرس ناولس وشيرمان كريبس . . الكاراس الخاص بعائلة مينتون كان كاراسًا أنيقا ، مكونًا فقط من اثنين .

– أعتقد أنك جدّ سعيد . قلت لمينتون

– ما الذي ينبغي أن أسعد بشأنه؟

– أنك حصلت على منصب سفير .

ومن طرف أعينهما تبادلا النظرات ، مما أشعرني أني قلت شيئًا أحمقًا ، لكنهما كانا لطيفين معي وقال مينتون بذهول «نعم أنا جد سعيد» وابتسم «لي عظيم الشرف بهذا» .

وهكذا ورغم أني طرحت العديد من المواضيع كي أجعلهما يتحدثان إلا أنني لم أفلح في شيء من ذلك . وعلى سبيل المثال قلت :

– أعتقد أنك تستطيع التحدّث بالعديد من اللغات؟ .

– أوه ، ست أو سبعة مع بعضنا . قال مينتون .

– أعتقد أنه أمر ممتع جدًا .

– ما هو؟

– أن تكون قادرًا على التحدث للناس من مختلف الجنسيات .

– ممتع جدًا . قال مينتون ببرود .

– ممتع جدًا . رددت زوجته .

وعادا إلى قراءة أوراق مسودة مطبوعة ، ضخمة الحجم ، كانت أوراقها متفرقة على مسند المقعد وبين أيديهما .

– أخبرني . قلت له بعد وهلة . «من بين كل رحلاتك الطويلة ، هل وجدت أن الناس لها نفس المشاعر القلبية في أي مكان؟»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- همم؟ سأل مينتون
- هل وجدت أن الناس تتشابه مشاعر قلوبها أينما ذهبت؟
نظر إلى زوجته ليتأكد من أنها سمعت السؤال ثم التفت إلي . «تقريبًا هي نفسها . أينما ذهبت» أقر أخيرا .
- اممم .
وبالمناسبة فقد أخبرنا بوكونون مرة أن أفراد الدابراس يموت أحدهما دوما في غضون أسبوع من موت الآخر على الأكثر ، لكني أعتقد أنه لما تحين ساعة هذه العائلة . . سيموتان في نفس الثانية .

٤٢. دراجات هوائية من أجل أفغانستان

كان هناك بار صغير في الجزء الخلفي من الطائرة وذهبت لأحصل على مشروب ، وهناك التقيت بمواطني الآخر اتش لاو كروسبي من ايفانستون ايلينوا ، وزوجته هازيل .
كانا بدينين في الخمسينات من العمر ويتكلمان بشكل متقطع ، كروسبي أخبرني أنه يملك مصنع درجات هوائية في شيكاجو ، لم يكن يعاني من أي مشاكل ماعدا عمّاله ناكري الجميل .
لذلك فهو سينقل عمله الآن إلى سان لورزينو التي ستقر بجميله .
- هل تعرف سان لورينزو جيدًا؟ سألته
- هذه أول مرة أزورها ، لكنني معجب بكل ما سمعته عنها . لديهم مخطط ويمكن الاعتماد عليهم للمضيِّ قدمًا عامًا بعد آخر وحكومتهم لا تشجع كل الناس على أن يكونوا نوعًا من التافهين الذين لم يسمع عنهم أحد .
- ماذا؟

– يا المسيح! عد إلى شيكاجو ، لم نعد نصنع الدرّاجات الهوائية بعد الآن ، والآن كل ما يهم هو العلاقات البشرية ، المثقفون يجلسون من حولنا يحاولون اكتشاف طرق جديدة لكي يسعدوا الناس ، لا يمكنك أن تسرّح أي عامل لا يهم لماذا ، ولو حدث أن أحدهم صنع دراجة هوائية فإن إتحاد العمال سيتهمه بالقسوة والممارسات الوحشية في ظروف العمل ، والحكومة ستصادر الدراجة لتدعم الضرائب وتُعطيها للرجل الأعمى في أفغانستان .

– هل تعتقد أن الأمور ستكون أفضل في سان لورينزو؟

– أعرف جيدا أنها ستكون كذلك بالتأكيد . لأن الناس هناك فقراء كفاية وخائفون كفاية وجهلاء كفاية كي يملكوا بعض الفطرة السليمة .

سألني كروسبي عن اسمي وماذا أعمل ، أخبرته وعندها تعرّفت زوجته هازيل إلى لقبي ، لأنه كان لقبا من ولاية إنديانا ، وهي من تلك الولاية أيضا .

– يا إلهي هل أنت هوزر؟

ووافقتها مؤكدًا الأمر .

– أنا هوزر أيضا . وصاحت «لا أحد ينبغي له أن يخجل من كونه هوزر»

– أنا لا أخجل من ذلك . . ولم أعرف أي أحد كان يخجل من هذا الأمر .

– الهوزر بخير تماما . أنا ولاو سافرنا عبر العالم مرتين وكل مكان نذهب إليه نجد أن الهوزر هم المسئولون عن كل شيء .

– هذا مُطمئن .

– هل تعرف مدير الفندق الجديد في اسطنبول؟

– لا .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– هو هوزر أيضا ، وهذا العسكري ماذا كان اسمه؟ . . في طوكيو .

– أتاشي . قال زوجها .

– هو هوزر أيضا . قالت هازيل «وسفير يوغوسلافيا الجديد . . .»

– «هل هو هوزر؟» سألتُ .

– لا . . ما عداه هو ، لكن محرر مجلة هوليوود لايف هو هوزر أيضا وذلك الرجل في تشيلي .

– هوزر أيضا؟

– لا يمكن الذهاب إلى أي مكان دون أن تلاحظ أن هوزرا وضع بصمته عليه .

– الرجل الذي كتب قصة بن هور[٤] كان هوزر ، وجيمس وايت–كومب رايلي .

سألتُ زوجها هل أنت من إنديانا أيضا؟

– لا أنا من ولاية المروج الخضراء . أرض لينكولن كما يسمونها . . .

وبما أننا نتحدث عن الموضوع ، قالت هازيل بزهو «لينكولن أيضا كان هوزرًا لقد ترعرع في سبانسر كاونتي»

– صحيح . قلتُ .

– أعتقد أن هناك سرا يمتلكه الهوزر ، لا أعرف ما هو ، لكن أكيد أنهم يملكونه ، ولو أن أحدهم وضع قائمة لهم سيكونون مدهشين فيها .

---

(٤) بن هور (بالإنكليزية Ben-Hur) هو فيلم من إخراج وليام وايلر ، وهو أكثر أفلام الأكشن شعبية في وقته ، مستوحى من روايات لويس والاس . (المترجم)

- هذا صحيح . قلت

وتشبثت بذراعي بقوة وقالت «نحن الهوزر يجب أن نبقى مع بعضنا البعض»

- صحيح .
- يمكنك أن تنادني أمي .
- ماذا؟
- عندما ألتقي هوزرًا شابا فإني أقول له نادني أمي .
- أوه هه . . .
- دعني أسمعك تقولها . حدثتني قائلةً .
- أمي؟

ابتسمت لي وتركت ذراعي ، ومن مكان مثاليّ ما ، أحد عقارب الساعة كان قد أتم دورته . والمدعوة أمي : «هازيل» أوقفته وهازيل أخرى أعادت تدوير الساعة مجددًا بانتظار الهوزر القادم كي يأتي .

هوس هازيل بالهوزر عبر أنحاء العالم كان بمثابة كتاب مرجعي نموذجي عن الكاراس الخطأ . ما يبدو كشيء مشترك ، فريق أو سر للهوزير هو أمر لا معنى له بالنسبة لطريقة الرب في إنجاز الأمور . وهو عبارة عن كتاب نموذجي لما يسميه بوكونون 'غرانفالون' ، أمثلة أخرى عن الغرانفالون المزيف : الحزب الشيوعي ، بنات الولايات المتحدة الأمريكية(٥) ، شركة جينيرال إلكتريك ، التنظيم العالمي

(٥) منظمة بنات الثورة الأمريكية : DAR وهي منظمة غير ربحية تقدم خدمات تاريخية وتعليمية تهدف إلى تعزيز القومية الوطنية ، مخصصة للنساء المنحدرات من أصول كان لهم دور أو ساهموا في الكفاح الأمريكي لنيل الاستقلال . (المترجم)

https://telegram.me/maktabatbaghdad

للأصدقاء الأجانب ، وأي قوميّة في أي وقت أينما كانت . كما يدعونا بوكونون للغناء معه :

«لو أردت أن تدرس غرانفالون
فقط اكشط جِلدة البالون»

٤٣. مساعد مدرّس

يرى اتش لاو كروسبي أن الديكتاتوريات كانت في غالب الأحيان أشياء جد رائعة ، لم يكن لاو شخصا سيئا ولم يكن مجنونا ، كان من المناسب له أن يواجه العالم بنوع من الحماقة البدائية ، لكن العديد من الأشياء التي قالها عن عدم انضباط البشر لم تكن مضحكة وحسب بل حقيقة أيضا .

النقطة الرئيسية التي فقد فيها منطقه وحسه الفكاهي كانت عندما اقترب من قضية «ما الذي ينبغي على البشر فعله بأوقاتهم المحدودة على الأرض؟ .»

كان يؤمن حقا ويعتقد أنه من المفترض أن يقضوا أوقاتهم وهم يصنعون الدراجات الهوائية من أجله .

– أتمنى أن تجد سان لورينزو جيدة تماما كما سمعت عنها . قلت له

– سأتكلم مع رجل واحد فقط كي أعرف هل هي جيدة أم لا .

عندما يعطيه بابا مونزانو كلمة شرف حول أي شيء على هذه الجزيرة الصغيرة فكذلك يكون . هذا ما عليه الأمر وهذا ما سيكون .

– الشيء الذي أحبه ، قالت هازيل «أنهم جميعا يتحدثون الإنجليزية وكلهم مسيحيون وهذا يجعل الأمور أسهل بكثير» .

– هل تعرف كيف يتعاملون مع الجريمة هناك؟ سألني كروسبي .

- لا .

- ببساطة لا توجد الجريمة هناك . لأن بابا مونزانو جعل الجريمة غير مغرية وكريهة ، كل من يفكر فيها هناك يمرض ، سمعت أنه يمكنك أن ترمي محفظة نقودك على رصيف المشاة وتعود بعد أسبوع لتجدها هناك لم يُمسَّ منها شيء .

- ام . .

- هل تعرف ما هي عقوبة سرقة شيء ما؟

- لا .

- التعليق ، بلا عاطفة ، لا فحص طبي ، لا ثلاثين يومًا في السجن ، بل مباشرةً التعليق . التعليق هو عقوبة السرقة والقتل وإشعال الحرائق والخيانة والاغتصاب واختلاس النظر ، مخالفة قانون أي قانون لعين كان ، عقوبته هي التعليق ، وكل شخص هناك فهم هذا وبالتالي أصبحت سان لورينزو أفضل بلاد في العالم من ناحية السلوك .

- ما هو التعليق؟

- ينصبون منصة مشنقة ، عمودين وعارضة صليبية ومن ثَم يأتون بشص صيد سمك حديدي كبير ويعلقونه على العارضة ، ثم يأتون بأحدهم ، الذي كان أحمق كفاية ليخرق القانون ، ويضعون خطاف الشص في جانب بطنه ليخرج من الآخر ويتركونه معلقا هناك . . وبالنسبة للرب فهو مجرد مخترق قانون غير مأسوف عليه . .

- إله رحيم .

- «لم أكن لأقول إنه رحيم» . قال كروسبي «لكني لن أقول أنه سيء أيضا ، أحيانا أتساءل ما إذا كان هذا الشيء سيقضي على جنوح الأحداث تمامًا ، لكن ربما التعليق هو أمر وحشي مبالغ فيه بالنسبة للديمقراطية ، فهي تفضل 'الشنق' العلني أكثر منه . عُلِّق

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بعض المراهقين سارقي السيارات على أعمدة الإنارة أمام منازلهم مع علامات على أعناقهم تقول «ماما ، ها هو ابنك» افعل هذا بضع مرات فقط وأؤكد لك أن هذا الجريمة لن تتكرر مطلقاً» .

– لقد رأينا هذا الشيء في قبو معرض التماثيل الشمعية بلندن . قالت هازيل .

– أي شيء؟

– شص الصيد . أسفل في غرفة الرعب في القبو كان لديهم تمثال شمعي لإنسان معلق بالشص ، كان يبدو حقيقيا جدا لدرجة أني رغبت بالتقيؤ .

– هاري ترومان لم يكن يشبه هاري ترومان في شيء . قال كروسبي

– عفوًا؟

– في معرض التماثيل الشمعية تمثال ترومان لم يكن يشبهه حقـًا .

– معظم التماثيل كذلك أيضًا . قالت هازيل .

– هل كان شخصا معروفًا ، ذلك المعلق بالشص؟ سألتها .

– لا أعتقد ذلك . لقد كان مجرد شخص ما .

– هل كان معروضًا بشكل عام؟

– لا ، كانت هناك ستارة مخملية سوداء أمامه وكان عليك إزاحة الستارة لتراه ، وكانت هناك ملاحظة مكتوبة على الستارة تقول «غير مسموح للأطفال بالمشاهدة» .

– لكن الأطفال كانوا يشاهدون ، قال كروسبي «كان هناك أطفال في الأسفل ينظرون إليه» .

– لافتة كهذه مغرية كحلوى النعناع بالنسبة للأطفال . قالت هازيل .

- كيف كانت ردة فعلهم عندما رأوا الشخص معلقاً على الشصّ . سألتُ .

- أوه .

- لقد تصرفوا كما تصرف البالغون ، بنفس الطريقة . فقط نظروا إليها ولم يقولوا شيئا وانصرفوا ليروا ما هو الشيء التالي المعروض .

- وماذا كان؟

- كان كرسيًا حديديًا ، كان قد تفحم فيه رجل حي . قال كروسبي .

- كان سبب ذلك قتله لابنه ، وبعد ذلك حرقوه حتى الموت . . .

تذكّرت هازيل بلا مبالاة «اكتشفوا أنه لم يقتل ابنه أصلاً»

٤٤. المتعاطفون مع الشيوعية

ولما عدت إلى مقعدي ، إلى جانب الدابراس المكون من كلير وهورليك مينتون ، عرفت معلومة جديدة عنهم . كنت قد عرفتها من عائلة كروسبي .

عائلة كروسبي لم تكن تعرف عائلة مينتون . هم كانوا يسمعون عنهم فقط ، لم يكونا راضيين على تعيينه سفيرًا . وأخبرني أن هذا المنيتون كان قد سُرّح من عمله في وزارة الخارجية لتعاطفه مع الشيوعية ، والشيوعيون الحمقى أعادوا تعيينه لاحقاً .

- لديهم بار صغير وممتع هناك . قلت لمينتون لما جلست .

- هم؟ كان هو وزوجته لازالا يطالعان المسودة المطبوعة التي كانت منتشرة بينهما .

- يوجد بار جيد هناك في الخلف .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- جيد ، أنا ممتن .

تابعا القراءة كلاهما وكان من الواضح أنهما غير مهتمين بالحديث معي . وفجأة التفت نحوي مينتون بابتسامة غريبة سألني : من كان على كل حال؟

- من كان من؟

- الرجل الذي تحدثت معه في البار ، لقد ذهبنا هناك لنشرب شيئا وعندما خرجنا سمعناك أنت ورجل تتحدثان . كان الرجل يتحدث بصوت عالي وسمعت أنه قال عني أني متعاطف مع الشيوعية .

- هو مُصنِّع دراجات هوائية اسمه اتش لاو كروسبي . قلت له وأنا أشعر بالخجل .

- لقد سُرحت من عملي بسبب التشاؤم ، لم يكن للشيوعية أي دخل في الموضوع .

- أنا من تسببت بتسريحه عن العمل . قالت زوجته .

- كانت حجة الاتهام الوحيدة الحقيقية هي رسالة كتبتُها إلى نيويروك تايمز من باكستان .

- وماذا كانت تقول؟ماذا كتبت فيها؟ .

- لقد قلت فيها الكثير . لأنني كنت غاضبة جدا ، فالأمريكيون لا يمكنهم أن يتصوروا ماذا يعني أن تكون شيئا آخر . وأن تكون فخورًا به أيضًا .

- فهمت .

- لكن كانت هناك جملة ركزوا عليها مرارا وتكرارًا في جلسة الاستماع التي ناقشت ولاءنا . طرفت عين مينتون وتابع 'الأمريكيون' مقتبسا من رسالة زوجته إلى نيويورك تايمز «هم دائما يبحثون عن الحب بطرق لا تؤدي إليه مطلقا وفي أماكن لا يوجد

بهـا أبـدا ، يجـب أن نفـعل شـيـئـا بخـصـوص هذه الحـدود المتلاشية .»

٤٥. لماذا الأمريكيون مكروهون؟

رسالة كلير مينتون إلى نيويورك تايمز نشرت في أسوأ فترة للسيناتور مكارثي وسرح زوجها من العمل بعد اثنتي عشر ساعة من صدور الرسالة مطبوعة .

– ما الأمر السيئ الذي كان في الرسالة؟ سألت .

– أعلى شكل محتمل للخيانة . قال مينتون .

– إنها تقول أن الأمريكيين لا يمكن أن يُحبوا في أي مكان يذهبون إليه مهما فعلوا . حاولت كلير أن توضح نقطة أن السياسة الخارجية الأمريكية يجب أن تعترف بوجود الكره بدل من تخيل الحب .

– أعتقد أن الأمريكيين مكروهون في العديد من الأماكن .

– الناس مكروهون أيضًا في الكثير من الأماكن . قالت كلير في رسالتها أن الأمريكيين بكونهم مكروهين يدفعون ببساطة الضريبة الطبيعية كونهم أناسا ومن الحمق أن تفكر أنه من المفترض بطريقة ما أن نعفو عن هذه الضريبة ، لكن مجلس لجنة الولاء لم تنتبه إلى أي من هذه الحقائق ،وكل ما كانوا يعرفونه أن كلير وأنا نعتقد أن الأمريكيين كانوا أناسا لا يحبون .

– حسنا أنا مسرور لأن القصة انتهت نهاية سعيدة .

– ممم؟ . قال مينتون .

– في الأخير عادت الأمور لمجاريها ، قلتُ . «وها أنت الآن لديك سفارة كاملة لك وحدك» .

تبادل مينتون وزوجته مرة أخرى إحدى هذه النظرات اللطيفة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وقال لي : «نعم ، في الأخير فالجرة الذهبية في نهاية قوس قزح كانت من نصيبنا»

٤٦. الطريقة البوكونونية للتعامل مع القيصر

تحدثتُ إلى المينتون عن الوضعية القانونية لفرانكلين هوينيكر . والذي هو قبل كل شيء ، ليس فقط الورقة الرابحة لحكومة بابا مونزانو لمكنه أيضا الهارب من العدالة بالنسبة لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية .

– لقد تم شطبه . قال مينتون ، «لم يعد مواطنًا أمريكيًا ،ويبدو أنه يبلي حسنًا في مكانه الآن . هذا كل ما في الأمر»

– هل تخلى عن جنسيته؟

– كل شخص يعلن الولاء لدولة أجنبية أو يخدم في قواتها العسكرية ، أو يقبل العمل في حكومتها يشطب تلقائيًا . اقرأ جواز سفرك ، لا يمكن أن تقوم بقصة رومانسية مضحكة كالتي قام به فرانك وتستمر في المحافظة على حماية العم سام أيضا» .

– وهل هو محبوب الآن في سان لورينزو؟

حمل مينتون في يديه المسودة المطبوعة التي كان يطالعها هو وزوجه وقال «لا أعلم حتى الآن . هذا الكتاب يقول لا»

– أي كتاب هذا؟

– الكتاب العلمي الوحيد الذي كُتب حول سان لورينزو .

– علمي نوعًا ما . قالت كلير .

– علمي نوعًا ما . ردد مينتون .

– لم ينشر حتى الآن . هذه نسخة من خمسة نسخ هي الموجودة فقط ، ثم سلمه لي ودعاني لقرائته كما أريد .

فتحت الكتاب في صفحة عنوانه ووجدت : **سان لورينزو :**

الجغرافيا ، التاريخ ، السكان . كان المؤلف هو فيليب كاستل ابن جوليان كاستل ، ابن صاحب الفندق ، ابن محب الإيثار وفاعل الخير الكبير الذي كنت في طريقي لرؤيته .

تركت الكتاب يسقط مفتوحا حيثما ينبغي له . وكما حدث طبعًا . سقط وفُتح على الفصل الذي يتحدث عن الرجل الخارج عن القانون ، رجل الدين : بوكونون .

كان هناك اقتباس من أسفار بوكونون في الصفحة التي قبلها . وتلك الكلمات قفزت من الصفحة إلى ذهني ، واحتفى بها عقلي جدا .

كانت الكلمات عبارة عن إعادة صياغة لكلام يسوع المسيح ((أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ)) كان كلام بوكونون كالآتي :

((لا تبالوا بالقيصر . لأن القيصر لا يملك أدنى فكرة عما يحدث أصلاً))

٤٧. توتر ديناميكي

أصبحتُ متعلقًا ومندمجًا في كتاب فيليب كاستل حتى أني لم أدرك أننا نزلنا لعشرة دقائق في سان خوان بورتريكو ، ولم أنتبه حتى همس خلفي أحدهم ، بسعادة غامرة قائلا أن القزم قد صعد على متن الطائرة .

بعد هنيهة من الزمن بحثت عن القزم من حولي لكني لم أره ،ثم رأيت أمام هازيل واتش لاو كوسبي امرأة بوجه حصان وشعر أشقر باهت ، امرأة كانت بالتأكيد جديدة في قائمة المسافرين وبجانبها كان هناك مقعد بدا شاغرًا . مقعد يمكن أن يكون فيه القزم دون حتى أن أرى قمة رأسه .

لكن كتاب سان لورينزو الجغرافيا والتاريخ والسكان ، كان هو

https://telegram.me/maktabatbaghdad

محط اهتمامي الآن لهذا لم أبحث بشكل كاف عن القزم . فالأقزام على كل حال يتقلبون بين السخف والجدية ، طيلة الوقت كنت مهتما بالفعل ومتحمسا لنظرية بوكونون عما يسميه (التوتر الديناميكي) ، الحس الخاص بالتوازن القيّم بين الشر والخير .

وعندما رأيت للمرة الأولى عبارة **التوتر الديناميكي** في كتاب فيليب كاستل ضحكت بطريقة أعتقد أنها عالية . . كانت هذه العبارة هي المفضلة للبوكونون حسب كتاب كاستل . وأعتقد أني أعرف شيئا لا يعرفه البوكونون : أن هذه العبارة ابتذلت من كثرة ما إستعملها تشارلز أطلس : خبير كمال الأجسام الذي يظهر في إعلانات الجرائد يدعو الرجال لطلب المكملات عبر البريد .

وحسب ما فهمته لما تابعت القراءة باختصار فإن بوكونون كان يعرف فعلا من هو تشارلز أطلس . . وفي الحقيقة كان بوكونون ، أحد خريجي مدرسته لكمال الأجسام .

كان اعتقاد تشارلز أطلس هو أن العضلات لا تبنى عبر رفع الأثقال أو تمارين الضغط بل ببساطة بإجراء منافسة بين عضلات ما ضد أخرى .

وهو بالتالي نفس إيمان أو اعتقاد بوكونون ، أن المجتمعات الخيّرة يمكن أن تبنى فقط بتأليب الخير ضد الشر . وبإبقاء التوتر بين الاثنين عاليًا طوال الوقت . وأيضا في كتاب كاستل قرأت أول قصيدة بوكونونية . أو ما يسمى «كاليبسو» . وكانت كالتالي :

بابا مونزانو شرير جدا
لكن من دون بابا الشرير كنت سأكون حزينًا للغاية .
لأنه من دون شرور بابا .
أخبرني إذن لو سمحت
كيف يمكن للشرير الرديء بوكونون

أن يبدو أصلاً إنسانًا صالحًا؟

٤٨. تماما مثل القديس أوغسطين

البوكونون . قرأتُ من كتاب كاستل هذا ، ولد العام ١٨٩١ ، كان زنجيا ولد في أسقفية بروتستانتية وكان مواطنا بريطانيا في جزيرة توباغو .

عُمّد باسم ليونيل بويد جونسن ، وكان أصغر الأبناء ضمن ست أطفال لأسرة ثرية ، كانت هذه الثروة قد أتت جراء اكتشاف جد بوكونون لرُبع مليون دولار من كنز قراصنة مدفون يعتقد أنه كنز للبلاك بيرد ، ادوارد تيتش .

استثمرت عائلة بوكونون كنز البلاك بيرد في الإسفلت ، وجوز الهند والكاكاو والماشية والدواجن .

درس الشاب لينيل بريد جونس في مدارس الأسقفية ، وكان تلميذا نابها وكان مهتما بالطقوس الدينية أكثر من أي شيء آخر ، أما خارج كل النشاطات الدينية المدرسية فكان يبدو أنه سيصير إنسانا ماجنا ، لهذا كان يدعونا دوما لأن ننشد معه الكاليبسو الرابع عشر :

«عندما كنت شابا .
كنتُ ماجنا جدا
أشرب وألاحق الفتيات
تماما مثل القديس أوغسطين الشاب .
القديس أوغسطين . .
لقد أصبح في الأخير قديسًا .
لهذا كي أصبح قديسًا أيضًا .
أرجوك أمي لا تعارضي أفعالي!»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٤٩. سمكة رماها بحرٌ هائج

كان ليونيل بويد جونسون شغوفاً بالتعلم والثقافة . وفي عام ١٩١١ أبحر بمفرده من توباغو إلى لندن في سفينة شراعية اسمها لايدي سليبر . كان هدفه هو أن يتلقى تعليمًا جيدًا . وهكذا انضم إلى معهد لندن للاقتصاد والعلوم السياسية .

قُوطع مساره التعليمي بالحرب العالمية الأولى ، وتطوع في فوج المشاة وأبلى بلاءً حسنا على أرض المعركة وذُكر أربع مرات في البرقيات ، وأصيب بحروق الغاز في معركة ايبر الثانية وأدخل المستشفى لمدة عامين ومن ثم أعفي من مهامه .

وهكذا عاود الإبحار إلى المنزل ، إلى توباغو ، وحيدا على الليبدي سليبر مجددًا .

ولما كان على بعد ثمانين ميلاً فقط من وطنه . أوقفته غواصة ألمانية وفتشته ، الغواصة كانت U-99 ، وأُخذ أسيرا أما سفينته الصغيرة فقد استعملها هؤلاء الهمجيون للتدرّب على الرماية ، وبينما كانت هذه الغواصة على السطح فاجأتها المدمرة البريطانية رافين واستولت عليها .

حُمل جونسون والألمان إلى متن المدمرة بينما أغرقت الغواصة U99 أمام أعينهم .

كانت الرافن متجهة نحو البحر الأبيض المتوسط لكنها لم تصله أبدا لأن دفة توجيهها تعطلت ، ومن ثم كان يمكنها فقط التخبط خبطا عشوائيا في دوائر كبيرة حسب اتجاه عقارب الساعة ، وفي الأخير رست في إحدى جزر كابي فيردي .

مكث جونسون في إحدى هذه الجزر لمدة ثمانية أشهر منتظرا وسيلة تنقله إلى النصف الغربي من الكرة الأرضية .

وحصل في الأخير على عمل كبحَّار في طاقم سفينة صيد السمك كانت تحمل مجموعة من المهاجرين غير الشرعيين إلى نيوبيدفورد ماساشوستس ، وغرقت هذه السفينة على ساحل نيوبورت برود ايزلاند .

عندها ، اقتنع جونسون أن هناك شيئا ما يحاول أن يوصله إلى مكان ما لسبب ما . لهذا بقي لمدة في نيوبورت ليرى ما إذا كان هناك أي قدر خاص به في هذا المكان .

عمل كبستاني ونجار في عقارات رامفورد الشهيرة وخلال عمله هناك رأى العديد من ضيوف عائلة رامفود البارزين من بينهم جي بي مورغان ، والجنيرال جون جي بيرشينغ ، وفرانكلين ديلانو روزفلت ، وانريكو كارسو ، ووارين غاماليل هارديغ ، وهاري هويديني .

وفي هذا الوقت أيضا كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت تقريبا . مخلِّفةً عشرة ملايين قتيل وعشرين مليون جريح من بينهم جونسن .

ولما انتهت الحرب ، اقترح الشاب الماجن لعائلة رامفورد : ريمنغتون رامفود الرابع ، أن يبحر ببخته المسمى شهرزاد عبر العالم ليزور إسبانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان ومصر والهند والصين واليابان . ودعا جونسن كرفيق له ووافق جونسون .

كان جونسن قد رأى العديد من عجائب العالم في رحلاته من قبل .

تحطم اليخت شهرزاد في الضباب في ميناء بومباي . والناجي الوحيد كان جونسون ، مكث في الهند لعامين وأصبح من أتباع موهانداس كاي (غاندي) ، وتم اعتقاله لقيادته الحشود المناهضة للحكم البريطاني بالتمدد على السكك الحديدية . ولما انتهت فترة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سجنه نقل عبر البحر على حساب التاج البريطاني إلى وطنه توباغو .

هنالك بنى سفينة شراعية أخرى سماها الليدي سليبر ٢ ، وأبحر بها عبر الكاريبي ، أبحر بلا هدف منتظرا هذه العاصفة التي ستقوده إلى الساحل الذي سيكون الآن -وبلا أي خطأ -قَدَره الذي طالما بحث عنه .

وفي عام ١٩٢٢ ، صادف إعصارا قاده إلى سواحل بورتوأوبرنس ، بهاييتي ، باحثا عن ملجأ أين كانت الجزيرة تحت سيطرة بحرية الولايات المتحدة الأمريكية .

وتقرب جونسون هناك من عريف هارب من البحرية ، كان شديد الذكاء ، عصامي الثقافة ، مثالي الأفكار اسمه ايريل مك-كابي ، كان قد سرق لتوه صندوق تمويل النشاطات الترفيهية لشركته وعرض على جونسون خمسمائة دولار للسفر إلى ميامي وأبحر الاثنان إلى ميامي .

لكن أحد العواصف ألقت بالسفينة الشراعية على صخور شاطئ سان لورينزو . وغرقت السفينة وسبح جونسون ومل كابي حتى الشاطئ ، عاريين تماما ، وكما وصف ذلك بوكونون بنفسه هذه المغامرة :

«سمكةٌ ألقاها خارجًا
هذا البحر الهائج .
وصلتُ إلى اليابسة
وهناك وجدتُ نفسي .»

كان مفتونًا بسحر وسِر وصوله لهذا الشاطئ عاريًا ، لجزيرة غير مألوفة . وتبين أنه سيدع هذه المغامرة تمضي لأبعد حدودها كي يرى فقط لأي مدى يمكن للإنسان أن يصل . . وعريه وبلله بالماء المالح

كان كولادة جديدة وتعميد جديد بالنسبة له .

«كن كالوليد الصغير .

يقول لك الكتاب المقدس

لهذا بقيت وليدًا جديدًا

لهذا اليوم المجيد» .

أما لماذا سمي بالبوكونون فالأمر جد بسيط . بوكونون كانت طريقة نطق اسم جونسون في اللهجة الانجليزية لهذه الجزيرة .

أما بالنسبة لهذه اللهجة . فلهجة سان لورينزو ، بالرغم من أنها سهلة للفهم لكنها صعبة الكتابة ، أنا قلت أنها سهلة الفهم لكني كنت أتكلم عن نفسي لأن الآخرين وجدوها غير مفهومة ومبهمة كلغة الباسك ، لهذا ففهمي لها ربما كان تخاطريًا وحسب .

فيليب كاستل في كتابه قدم عرضا صوتيا للهجة كان موفقا في عرض طبيعة اللغة جيدا . واختار من بين الأمثلة التي ضربها نسخة جزيرة سان لورنزو لأغنية عيد الميلاد الشهيرة «Twinkle ، Twinkle ، Little Star» .

في النسخة الإنجليزية فإن كلمات الترنيمة الخالدة هي كالآتي :

Twinkle ، twinkle ، little star,

How I wonder what you are,

Shining in the sky so bright,

Like a tea tray in the night,

Twinkle ، twinkle ، little star,

How I wonder what you are.

وفي لهجة سان لورينزو . حسب كاستل . فإن نفس هذه الترنيمة تكون بهذا الشكل :

https://telegram.me/maktabatbaghdad

Tsvent-kiul ، tsvent-kiul ، lett-pool store,

Ko jy tsvantoor bat voo yore.

Put-shinik on lo shee zo brath,

Kam oon teetron on lo nath,

Tsvent-kiul ، tsvent-kiul ، lett-poll store،

Ko jy tsvantoor bat voo yore.

وبعد أن أصبح جونسون هو البوكونون بمدة قصيرة ، وبالصدفة فإن قارب النجاة لسفينته الشراعية المحطمة وُجد على الشاطئ ، طُلي هذا القارب لاحقا باللون الذهبي وجُعل سريرا للمدير التنفيذي للجزيرة .

وكانت هناك أسطورة وضعها البوكونون بخصوص هذا القارب . وهي كما كتب فيليب كاستل في كتابه : «إن هذا القارب الذهبي سيبحر مجددا حين تصبح نهاية العالم قريبة .»

٥٠. قزم طيّب

كانت مطالعتي لحياة بوكونون قد قاطعتها زوجة لاو كروسبي ، هازيل ، والتي كانت تقف في الممر بجانبي .

– لن تصدق هذا لكني وجدت شخصين من الهوزر على متن هذه الطائرة .

– اللعنة عليّ .

– لم يولدوا كهوزر لكنهم يعيشون الآن . . . . هم يعيشون الآن في انديانابوليس .

– هذا مثير فعلاً .

– هل تريدين مقابلتهم؟

– هل تعتقد إنّه ينبغي عليّ ذلك؟

حيّرها السؤال . «إنهم من الهوزر الذين تهتمين بهم»

- ما هي أسماؤهم؟

- لقبها هي كونرز ولقبه هو هوينيكر وهما أخت وأخ ، هو قزم . قزم طيّب أعتقد «غمزتني ، وتابعت أنه صغير ذكي ماكر»

- هل ناداك بأمي؟

- كدت أن أطلب منه ذلك ثم توقفت وتساءلت : «هل من اللائق أن أطلب من قزم أن يفعل هذا .»

- هراء .

٥١.حسناً، أمي

هكذا ذهبت إلى الجزء الخلفي كي أتحدث إلى أنجيلا هوينيكر كونرز وذلك الصغير نيوتن هوينيكر أعضاء الكاراس خاصتي .

كانت أنجيلا هي تلك المرأة ذات وجه الفرس والشعر الأشقر الباهت والتي رأيتها من قبل ، نيوت كان شابا صغيرا وضئيلاً بالطبع ، وأعتقد أنه ليس قبيح المنظر ، كان لطيف الحجم مثل جال يفر بين شعب البروبدنغناغ(٦) وكان نابهًا وفطنًا فعلاً .

كان يحمل كأس شمبانيا والذي كانت تكلفته ضمن ثمن تذكرة الطائرة ، هذه الكأس كانت بالنسبة له ما يماثل حوض سمك لرجل عادي . لكنه كان يشرب منه بثقة وأناقة ، وكانت وضعيته لائقة عليه مع حمله الكأس بتلك الطريقة ، وكأنه لا يمكن أن يكون هناك أفضل من ارتباطهما هكذا معًا . هو والكأس .

---

(٦) بروبدنغناغ : شعب أسطوري من العمالقة ، يبدو الإنسان العادي بالمقارنة معهم قزماً ، ورد اسمهم لأول مرة في احدى أشهر أعمال جوناثان سويفت الخيالية الساخرة «رحلات جوليفر» . (المترجم)

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ابن العاهرة الصغير هذا كان لديه بلورة من الجليد-٩ في ترمس مخبأ في حقائبه ، كذلك أخته البائسة ، بينما كنا نطير فوق ، كانت مياه بحر الكاريبي الذي خلقه الله : تحتنا تمامًا .

وبعدما قضت هازيل وطرها بتقديم كل من الهوزر للهوزر ، تركتنا لوحدنا ، قالت لي وهي تغادر : «تذكر ، من الآن نادني أمي» .

- حسنا أمي . قلتُ

- حسنا أمي قال نيوت بصوت مرتفع متناسبا مع حنجرته الصغيرة ، لكنه نجح بوضوح في جعل صوته ذكوريًا ناضجًا .

كانت أنجيلا تصر على معاملة نيوت كطفل ، وبدا أنه قد تقبل هذا بطيبة قلب لم أكن أعتقد أنها موجودة في إنسان صغير الحجم كهذا . .

وعندما رأياني تذكراني . وتذكرا الرسائل التي كتبتها لهما ودعواني لآخذ المقعد الشاغر بجانبهما .

اعتذرت أنجيلا لي لأنها لم ترد على رسائلي أبدًا .

- لم أكن أعتقد أنه يمكن أن أقول أي شيء يهم قارئ الكتاب الذي تعمل عليه . كان يمكنني أن أخترع شيئا ما بخصوص ذلك اليوم ، لكن لا أعتقد أنك تريد هذا ، لهذا ذلك اليوم بالنسبة لي كان مجرد يوم عادي آخر»

- أخوك كتب لي رسالة جيدة جدا .

فوجئت أنجيلا «هل فعل ذلك نيوت؟ كيف له أن يتذكر أي شيء . والتَفَتت إليه» عزيزي أنت لا تتذكر أي شيء حول ذلك اليوم ، صح؟ لقد كنت طفلا صغيرا» .

- أنا أتذكر . قال بلطف .

- كنت أتمنى لو رأيتُ الرسالة . كانت تلمح إلى أن نيوت لا

يزال صغيرًا وغير ناضج بعد كي يتعامل مباشرة مع العالم الخارجي . كانت أنجيلا امرأة باردة المشاعر بشكل فظيع ، ولا تملك أدنى فكرة عما يمكن أن يعنيه «صغر الحجم» لنيوت .

– عزيزي ، كان ينبغي أن تريني تلك الرسالة ، وبّخته .

– آسف ، قال نيوت . «لم أفكر في هذا» .

«وكما أخبرتك من قبل عن هذا» قالت أنجيلا لي . «فإن الدكتور بريد أخبرني أنه لا ينبغي أن أتعاون معك ، قال لي أنك لن تقدم صورة عادلة عن أبي» وأظهرت لي ملامحها أنها لا تودني من أجل هذا الأمر .

حاولتُ استرضاءها بالقول أن هذا الكتاب يمكن ألا أنتهي من إنجازه أصلا ، لأني لا أملك فكرة واضحة عما ينبغي أن يكون أو أي معنى قد يحمله .

– حسنًا لكن لو حدث وأن أنهيت الكتاب ، من الأفضل أن تصوّر أبي على أنه قديس ، لأن هذا ما كان عليه فعلاً .

ووعدت بأني سأبذل جهدي قدر المستطاع كي أرسم تلك الصورة . من ثَمَّ سألتها هي ونيوت هل هما مسافران الآن للمّ شمل العائلة مع فرانك في سان لورينزو ، أم لأمر آخر .

– فرانك سيتزوج . قالت أنجيلا .

– ونحن الآن ذاهبان لحفل الخطوبة .

– أوه . . من هي صاحبة الحظ؟

– سأريك . قالت أنجيلا وأخرجت من حقيبتها حافظة كانت تحتوي على نابض يضم العديد من الطيّات ، وكل طية تحتوي صورة فوتوغرافية ، تصفحت أنجيلا الصور متيحة لي أن ألمح نيوت عندما كان صغيرًا في شاطئ كابي كود . وصورة للدكتور فيلكس هوينيكر وهو يتسلم جائزة نوبل ، وصورة تظهر نهدي أنجيلا القبيحين ،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وصورة لفرانك وهو يلعب بنموذج طائرة صغيرة معلقة بخيط .
ثم أرتني صورة الفتاة التي سيتزوجها فرانك .
وتحت تأثير دهشة مضاعفة ، لكزتني على فخذي .
كانت الصورة التي عرضتها عليّ ، صورة لمونا آمونس مونزانو ، المرأة التي أحببتها .

٥٢. دون ألم

عندما كانت أنجيلا تفتح المحفظة البلاستيكية التي تحتوي الصور الفوتوغرافية ، كانت لا تغلقه حتى يشاهد أحد ما كلَّ صورة فيه .
«هؤلاء هم الأشخاص الذين أحب» قالت .
وهكذا بدأت أشاهد أولئك الأشخاص الذين تحبهم ، ما الذي قامت بسجنه في الحافظة البلاستيكية الشفافة ، وما الذي حاصرته كأنه مستحاثة خنافس عالقة في الكهرمان ، أين تُظهِر الصور الجزء الأكبر من الكاراس الذي يجمعنا . لم يكن هناك أي غرانفالون في المجموعة .
كانت هناك العديد من صور الدكتور هوينيكر أب القنبلة . أب لثلاثة أطفال وأبو مادة الجليد-٩ ، كان رجلاً ضئيل الحجم كأنه هجين دعيّ نتج من تزاوج بين قزم وامرأة ضخمة .
وكانت صورتي المفضلة للرجل العجوز في مجموعة أحافير أنجيلا هذه ، كانت صورته وهو مدجج بالملابس ضد برد الشتاء في معطفه والوشاح والأحذية الثقيلة ومع كرة صوفية للزينة تزين أعلى قبعته المحبوكة بعناية .
هذه الصورة قالت لي أنجيلا بغصة في حلقها ، أُخذت في هيانيس قبل ثلاثة ساعات فقط من وفاة العجوز . كان هناك مصور

لجريدة قد تعرف على هذا الرجل العظيم بسحنته التي تشبه عفريت عيد الميلاد .

- هل توفي أبوك في المستشفى؟

- اوه ، لا!بل توفي في منزلنا . على الكرسي الخيزراني الأبيض مقابلا للبحر . كان نيوت وفرانك قد ذهبا للتمشية على الشاطئ في الثلج . . .

- كان ثلجا دافئا جدا قال نيوت . «كان أشبه بالمشي عبر أزهار البرتقال . كان أمرًا غريبًا بحق . لم يكن هناك أي إنسان في البيوت الأخرى» .

- كان بيتنا هو البيت الوحيد الذي يحتوي على تدفئة . قالت أنجيلا .

- لم يكن هناك أحد على امتداد أميال . .! ، كرر نيوت مستغربا . وجدنا أنا وفرانك هذا الكلب الأسود الكبير على الشاطئ ، كلبًا من نوع لابرادور وعندما رمينا العِصي في المحيط ذهب وأعادها لنا» .

- كنت قد ذهبت إلى المدينة لأحصل على أضواء أكثر لشجرة عيد الميلاد .

- كان لدينا دوما شجرة لهذا العيد . قالت أنجيلا .

- هل كان أبوك سعيدا بشجرة عيد الميلاد؟

- لم يكن يتكلم عن ذلك أبدا . قال نيوت

- أعتقد أنه أحب ذلك . قالت أنجيلا

- لم يكن يبدي مشاعره كثيرا . . بعض الناس هكذا .

- وبعض الناس يفعلون . قال نيوت بلا مبالاة .

- على أية حال ، قالت أنجيلا «لما عدنا للمنزل وجدناه على الكرسي ، وهزت رأسها . لا أعتقد أنه عانى من أي ألم . بدا وكأنه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان نائمًا ، ولا أعتقد أنه كان ليبدو هكذا لو أنه عانى أقل نوع من الألم»

لكنها كانت قد أغفلت جزءاً مهمًا جدًا من القصة . أغفلت حقيقة أنه في نفس ليلة عيد الميلاد تلك ، اقتسمت هي ونيوت وفرانك مادة الجليد-٩ التي تركها ذلك العجوز .

٥٣. رئيس فابري تيك

شجعتني أنجيلا على رؤية الصور الملتقطة .

- هذه أنا . لو كنت تصدق هذا .

كانت صورة فتاة مراهقة بطول ست أقدام تمسك بآلة كلارينت ، وترتدي الزي النظامي للفرقة الموسيقية للثانوية العامة لإيليوم ، وقد جمعت شعرها تحت قبعة الفرقة الموسيقية ، كانت تبتسم ببهجة مفعمة .

ثم أرتني أنجيلا ، هذه المرأة التي لم يعطها الرب أي شيء يُمكِّنها من التقاط رجل ما ، أرتني صورة زوجها .

والآن هذا هو هاريسون سي كونرز . دُهلت . كان زوجها وسيما بشكل لافت للنظر ، ويبدو أنه يعرف أنه كذلك ، كان يرتدي بشكل نزق ويملك عيونا ناعسة ومغرية كأيّ دون جوان .

- ماذا . . ماذا يعمل؟ سألت

- هو مدير فابريك .

- للإلكترونيات؟

- لا يمكنني أن أخبرك حتى لو كنتُ أعرف . لأنه من أسرار عمل الحكومة .

- أسلحة؟

- حسنا . . أمر يتعلق بالحرب على أية حال .

- كيف حدث وأن التقيتم؟

- كان معتادًا على العمل كمساعد مختبر لأبي . قالت أنجيلا «ومن ثم فإنه ذهب إلى إنديانا بوليس وأسس شركة فابري تك» .

- إذن ، فقد كان زواجك منه هو نهاية سعيدة لقصة رومانسية؟

- لا . لم أكن أعتقد أنه كان يأبه لي أصلا . . أعتقد أنه وسيم ، لكنه لم يعرني أي اهتمام حتى توفي والدي . في أحد الأيام أتى إلى ايليوم ، كنت لا أزال هناك في المنزل الكبير القديم أفكر في أن حياتي قد انتهت تماما . «كانت أنجيلا تتكلم عن الأيام السيئة والأسابيع التي تلت موت والدها ، واصلت : «كنتُ أنا ونيوت فقط في ذلك المنزل الكبير القديم . اختفى فرانك . وكانت الأشباح تصدر الضجيج عشرة مرات أكثر مني ومن نيوت . وأنا كنت قد كرست حياتي كلها للعناية بوالدي أقود به من وإلى العمل ، أغطيه بالملابس الثخينة عندما يشعر بالبرد ، وأنزعها عنه لما يكون يشعر بالحر ، وأطهو له الطعام وأذهب لتسديد فواتيره . وفجأة لم يعد هناك أي شيء أفعله ، لم أكن أملك أي أصدقاء ،ولم يكن لدي نَفسٌ ألتفت إليها عدا نيوت» .

من ثَمَّ . واصلت أنجيلا . «طرق الباب ، وكان هناك هاريسون كونرز وكان أجمل شيء كنت قد رأيته من قبل . ودخل وتحدث عن أيام أبي الأخيرة وعن الذكريات القديمة عمومًا» .

كانت أنجيلا تكاد تبكي الآن . «أسبوعين بعد هذا ، تزوجنا» .

٥٤. الاشتراكيون، النازية والمَلَكيون والمظلّيون والمتهربين من الخدمة العسكرية

عائدًا إلى مكان جلوسي في الطائرة ، أشعرُ بالحزن العميق

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لفقداني مونا أمونس مونزانو التي أخذها فرانك الآن . وبهذا الشعور ، تابعت قراءتي لمسّودة فيليب كاستل .

بحثتُ عن اسم مونزاو مونا أمونس في الفهرس ، ووجدته يُحيل إلى أمونس . مونا .

ولما وجدتُ أمونس ، مونا ، وجدت العديد من صفحات الإحالة ، أكثر حتى مما وجدت لبابا مونزانو بنفسه .

وبعد آموس ، مونا يأتي أمونس ـ نيسترو . لهذا ذهبت للصفحات التي تحيل إليه وعرفت أن والد مونا كان فنلنديا يعمل مهندسا معماريا ، كان نيستور آمونس قد أسره الروس ، من ثم حرره الألمان خلال الحرب العالمية الثانية ولم يعيده محرروه إلى الوطن بل أجبر على الخدمة في الفيرماخت (القوات الألمانية المسلحة) في وحدة الهندسة التي أرسلت لمحاربة الثوار اليوغوسلافيين .

وهناك أسر من قبل حركة التشيتنيك ، الحركة الثورية الملكية الصربية ومن ثَم أسره الثوار الاشتراكيون الذين هاجموا التشيتنيك ، ثم حرره المظليون الإيطاليون الذين هاجموا الاشتراكيين على حين غرة . ورُحِّل عبر البحر إلى إيطاليا .

وضعه الإيطاليون في العمل على تصميم تحصينات صقلية ، وهناك سرق قاربا وأبحر به حتى وصل إلى شواطئ البرتغال المحايدة .

بعد فترة هناك ، التقى بمتهرب من الخدمة العسكرية ، أمريكي اسمه حوليان كاستل . كاستل ولما عرف أن آمون كان مهندسًا معماريًا دعاه إلى أن يأتي للعمل معه ، في جزيرة سان لورينزو ، ليصمم له المستشفى الذي سماه بيت الأمل والرحمة في الغابة .

وافق آمونس وصمم المستشفى وتزوج امرأة من أهالي الجزيرة اسمها سيليا ، أصبح أبًا لطفلة كاملة الأوصاف ثم مات بعد ذلك .

٥٥. لا تضع أبدا فهرسا مرجعيا لكتابك

أما بالنسبة لحياة آمونس ، مونا فإن المرجع نفسه كان فوضويا ، ويقدم صورة سوريالية للعديد من القوى المتصادمة التي كانت على عاتق مونا كالعبء ، وردود فعل مونا المستاءة تجاه تلك القوى .

آمونس مونا . يقول الفهرس المرجعي . تبناها مونزانو لزيادة شعبيته . 194-199 ، 216a عاشت طفولتها في ملجأ بيت الأمل والرحمة ، 81-83 طفولة رومانسية مع بي كاستل 72f موت والدها 89ff موت أمها 92f شعورها بالحرج لكونها رمزا ايروتيكياً وطنيا ، 80 ، 95f ، 166n ، 209 ، 247n ، 400-406 ، 566n ، 678 ، خطبتها لـ بي كاستل 193 براءة فطرية تامة ، 67-71 ، 80 ، 95f ، 116a ، 209 ، 274n ، 400-406 ، 566a ، 678 ، حياتها مع بوكونون ، 92-98 ، 196-197 ، قصائد حولها 2n ، 26 ، 114 ، 119 ، 311 ، 316 ، 477n ، 501 ، 507 ، 555n ، 689 ، 718ff ، 799ff ، 800n ، 841 ، 846ff ، 908n ، 971 ؛ 974 ، 89 ، 92 ، 193 ؛ العودة لمونزانو 197 العودة لبوكونون 197 الهرب من بوكونون 199 هربها من مونزانو 197 محاولتها لجعل نفسها قبيحة كي لا تُعتبر رمزا ايروتيكيا وطنيا لأهالي الجزيرة . ، 89 ، 95f ، 116n ، 209 ، 247n ، 400-406 ، 566n ، 678 تعذيبها من قِبل بوكونون ، 63-80 ؛ كتابتها رسالة إلى الأمم المتحدة 200 فنانة موهوبة في العزف على آلة الاكسيليفون .

عرضتُ هذا الفهرس المرجعي على المينتون ، سألتهم ماذا يعتقدون ، قلت رأيي في أنه سيرة حياتية رائعة ومذهلة بحد ذاتها ، سيرة ذاتية لإلهة الحب المتمنّعة . . . لكني تلقيت إجابة ذكية غير متوقعة وظهر أن كلير مينتون التي أجابتني حينها قد كانت مُفهرسة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كتب محترفة ، لم أكن قد سمعت عن مهنة كهذه من قبل .

أخبرتني أنها كانت قد أدخلت زوجها إلى الكلية قبل سنوات طوال بفضل دخلها كمفهرسة مراجع . وكان دخلها جيدًا لأنه لا يوجد إلا القليل جدًا من الناس من يجيدون مهنة الفهرسة باحترافية .

قالت لي «أن تقوم بفهرسة كتابك بنفسك هو الشيء الذي يقوم به أقل المؤلفين احترافية ، ويدل على أن المؤلف مجرد هاوٍ» . سألتها عن رأيها في عمل فيليب كاستل؟

«تملقٌ من المؤلف وإهانة للقارئ» قالت هذا لي بكلمة مزدوجة ، قالتها بدهاء الخبير المحنك ، وتابعت «فخورٌ بنفسه ، دائما ما أشعر بالحرج عندما أرى فهرسا مرجعيا وضعه المؤلف بنفسه لكتابه» .

- الحرج؟

- «من الفضيحة أن يقوم المؤلف بفهرسة كتابه» . أخبرتني وتابعت : «إنه استعراضٌ بلا حياء بالنسبة للعين الخبيرة»

- يمكنها أن تعرف شخصية مؤلف الكتاب من مجرد قراءتها للفهرس المرجعي . قال زوجها .

- أوه . .؟

- ما رأيك إذن في فيليب كاستل؟

ابتسمت ابتسامة باهتة .

- أشياء لا أحبذ أن أقولها للغرباء .

- آسف .

- هو- بشكل واضح- واقع في حب مونا آمونس مونزانو هذه .

- هذا صحيح أيضا بالنسبة لكل رجل في سان لورينزو . أؤكد لك .

- وهو يملك مشاعر متضاربة حول والده . قالت .

- وهذا صحيح أيضًا بالنسبة لكل رجل على الأرض .
كنت أشجعها بلطف بهذه الاعتراضات .
- وهو متردد وغير واثق .
- وأي إنسان فان ليس كذلك؟ .
كنت متطلبا ، لمً أكن أعلم وقتها ، لكنه كان شيئًا بوكونونيًا جدًا ما كنتُ أطلبه .
- وهو لن يتزوجها أبدًا .
- لم لا؟
- لقد قلتُ ما عندي .
- أنا سعيد جدًا للقائي مفهرس كُتب يحترم خصوصية الآخرين .
- لا تقم بفهرسة كتابك أبدًا . قالت لي .
الدابراس ، كما قال لنا البوكونون هو أداة قيمة جدا لاكتساب الأمور المفيدة وتطويرها ، وفي خصوصية قصة حُب لا تنتهي ، قد تكون الآراء غريبة عجيبة لكنها حقيقية ، ومهارة الاستكشاف البارع للفهارس المرجعية التي يتمتع بها المينتون ، كان بالتأكيد مجرد مثال على ذلك ، الدابراس قال لنا بوكونون هو أيضا مؤسسة مُعجبة بنفسها لكن بعذوبة الدابراس المكون من زوج الميتون هذا - وبطبيعة الحال- لم يكن استثناءً .
وفي وقت ما لاحقا ، التقيت بالسفير مينتون في ممر الطائرة بعيدا عن زوجته وأخبرني أنه كان من المهم جدا له أن أحترم آراء زوجته بخصوص ما قالته عن الفهارس .
- أتعلم لماذا لن يتزوج كاستل تلك الفتاة حتى لو كان يعتقد أنه يحبها ، وحتى لو كانت تحبه ، وحتى لو كانا قد ترعرعا مع بعض؟ همس لي .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- لا يا سيدي ، لا أعرف .
- «لأنه شاذ جنسيا» . ثم تابع هامسًا «يمكنها أيضًا أن تعرف مثل هذه المعلومات من مجرد فهرس مرجعي لكتاب»

٥٦. قفص سِنجاب ذاتي الدعم

«عندما وصل ليونيل بويد جونسون والعريف ايرل مك كابي عاريين إلى شاطئ سان لورينزو . .» تابعتُ القراءة . استقبلهم أناس كانوا أسوأ بكثير من حالتهم هم ، لم يكونوا يملكون شيئا عدا الأمراض التي لا يعرفون أسماءها فضلا عن علاجها وعلى النقيض من ذلك كانا جونسون ومك-كابي كالكنوز المتلألئة ، متعلمين طموحين يملؤهما الفضول لدرجة الوقاحة والاستهتار ومفعمين بالصحة والمرح وبالمعرفة الثمينة لِما يوجد في العالم الخارجي .

ونقتبس من الكاليبسو مجددًا :

«أوه ، أناس بائسون جدًا ، نعم
وجدتُهم هنا . . .
أوه ، ليس لديهم أية موسيقى
وليس لديهم أي نبيذ . .
أوه ، وفي كل مكان . .
يريدون أن يذهبوا إليه ليرتاحوا . . .
يكون إما ملكية شركة كاستل المتحدة للسكر . .
أو ملِكًا للكنسية الكاثوليكية .»

وكانت هذه هي حالة ملكية الأراضي في سان لورنزو العام ١٩٢٢ ، صحيحة تماما كما وُصفت في الكاليبسو ، وحسب فيليب كاستل . كانت شركة كاستل للسكر قد أسسها - كما حدث ذلك

– جَدُّ جَد فيليب كاستل ، وفي العام ١٩٢٢ ملكت الشركة كل إنش من الأَراضي الصالحة للزراعة في الجزيرة .

كتب كاستل الشاب : «النشاط التجاري لشركة كاستل للسكر في سان لورينزو . لم يُظهر أي فائدة أو ربح ، وباستمرارها في عدم دفع أجور العمال كانت الشركة تنهار عامًا بعد آخر . مما جعلها تكسب ما تدفعه رواتب للعمال المتبقين ، المعذبين في الأرض»

نظام الحكومة كان فوضويًا . إلا في حالات محدودة عندما تريد شركة كاستل للسكر أن تمتلك شيئا أو تنجز عملاً ما . وفي هذا الشكل من النظام أو الحكومة يصبح الحالُ إقطاعيًا . والطبقة النبيلة كانت مكونة من أرباب عمل مزرعة كاستل للسكر والذين كانوا رجالاً بيض مدججين بالأسلحة أتوا من خارج الجزيرة ، أما منصب الفارس الحامي فكان من نصيب أحد من الأهالي الأصليين ، كان ضخم الجثة والذي من أجل عطايا صغيرة وامتيازات سخيفة يقبل أن يجرح أو يعذِّب حسب الطلب . أما الاحتياجات الروحية لهذا المجتمع الذي كان مسجونًا في قفص السنجاب الشيطاني هذا ، فقد تولتها حفنة من الكهنة البدناء .

«كاتدرائية سان لورينزو التي فُجرت بالديناميت العام ١٩٢٣ ، كانت تعتبر إحدى عجائب العالم الجديد التي بنتها يد الإنسان .» كتب كاستل .

٥٧. رؤيا تثيرُ الغثيان

لم يكن تولِّي العريف مك كابي وجونسون السلطة في سان لورينزو معجزةً على أية حال . فالعديد من البشر كانوا قد استولوا على سان لورينزو من قبل وقد أخذوا الأمر على محمل الجد منخدعين بذلك ، أما لماذا كانوا منخدعين فلسبب بسيط ، الرب

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نفسه بحكمته اللامتناهية كان قد خلق هذه الجزيرة بلا أي قيمة ولا تساوي شيئًا .

كان هيرناندو كورتيز أول من سجل التاريخ فتحه العقيم لسان لورينزو . كورتيز ورجاله كانوا قد رسوا على الشاطئ من أجل المياه العذبة العام ١٥١٩ ، وهناك قام بتسمية الجزيرة وأعلن ملكيتها للإمبراطور تشارلز الخامس ولم يعد إليها أبدًا .

ثم توالت الحملات باحثة عن الذهب والألماس والياقوت والتوابل ، غير أنها تجد شيئًا هناك فأحرقت بعض السكان الأصليين من أجل التسلية أو بتهمة الزندقة . . وتابعت الإبحار .

«وعندما أعلنت فرنسا سان لورينزو أرضا تابعة لممتلكاتها العام ١٦٨٢ . .» كتب كاستل . «لم يعترض الأسبان . ولما ادعتها الدنمرك العام ١٦٩٩ ، الفرنسيون أنفسهم لم يعترضوا . ولما ادعاها الهولنديون العام ١٧٠٤ لم يعترض الدنمركيون ولما ادعتها انجلترا عام ١٧٠٦ ، لم يعترض الهولنديون ولما ادعاها الأسبان مجددًا العام ١٧٢٠ لم يعترض الإنجليز .

وفي العام ١٧٨٦ وعندما استولى زنوج أفارقة على سفينة شحن إنجليزية قادوها نحو سواحل سان لورينزو وأعلنوا سان لورينزو كأُمة مستقلة ، إمبراطورية لديها إمبراطورها . وفي الحقيقة حتى الأسبان لم يعترضوا على هذا!»

«الإمبراطور طم بام وا هو الشخص الوحيد الذي كان يرى الجزيرة كيانا يستحق الدفاع عنه ، وكان المجنون طم بام وا هو من بنى كاتدرائية سان لورينزو وكل تلك التحصينات الجميلة في الساحل الشمالي للجزيرة ، التحصينات حيث توجد الآن الإقامة الشخصية لما يُسمى «رئيس الجمهورية» .

«لم تُهَاجم تلك التحصينات قط ، ولا يوجد أي إنسان عاقل

سيسأل لماذا لم يحدث ذلك ، لأن الجواب ببساطة هو أنهم لا يملكون أي شيء ليدافعوا عنه ، وفي المقابل فإن ألفا وأربعمائة شخص لقوا حتفهم أثناء بناء هذه التحصينات ، حوالي النصف منهم أُعدموا بشكل علني لعدم تحمسهم الكافي للعمل .

أتت شركة كاستل للسكر إلى سان لورنزو العام ١٩١٦ خلال موجة ازدهار السكر في الحرب العالمية الأولى ، لم تكن هناك أية حكومة على الإطلاق ، ومن ثَم تصورت الشركة أنه يمكن حتى للطين والتربة الحصوية أن تزرع وتحرث وتصبح مربحة وبما أن سعر السكر كان عاليا فلا أحد سيشتكي .

ولما وصل مك كابي وجونسون العام ١٩٢٢ ، وأعلنوا أنفسهم أنهم أصحاب الجزيرة انسلّت شركة كاستل للسكر بسلاسة من الواجهة وكأنها تخلصت من كابوسٍ مريع .»

٥٨. استبدادٌ إلاّ أنه..

«هناك على الأقل صفة واحدة جديدة للمالكين الجدد لسان لورينزو .» كتب كاستل الشاب .

«مك كابي وجونسون كانا يحلمان بإنشاء يوتوبيا على أرض سان لورينزو .

ولهذا الغرض تولى مك كابي الاقتصاد والقانون .

أما جونسون فأبدع دينًا جديدًا .

واقتبس كاستل من الكاليبسو مجددًا :

«أريد أن تبدو كل الأشياء

كأنها تحمل معنى ما .

وهكذا يمكن أن نصبح جميعًا سعداء ، نعم

بدل القلق .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وهكذا اخترعتُ أكاذيب ،
يمكنها أن تليق على الجميع بشكل حسن
وأجعل من هذا العالم الحزين
جنة للعالمين .»

أحسست بينما أقرأ هذا بشَدّة على أكمامي . . وحين التفت وجدت القزم نيوت هوينيكر يقف في الممر بجانبي «أعتقد أنك ترغب بأن تعود للبار . وأن نشرب بضع كؤوس»

وهكذا ذهبنا وتناولنا بعض الكؤوس ومن ثم فإن لسان نيوت انحلت عقدته بما فيه الكفاية ليحكي لي عن زينكا . صديقته الراقصة القزمة الروسية . عن مخدع الحب الخاص بهم وأخبرني أنه كان في منزل أبيه في كابي كود .

«ربما لن أحظَ بالزواج ، لكن على الأقل حظيت بشهر العسل» .

وحكى لي عن الساعات الرومانسية والشاعرية التي قضياها في أحضان بعضهما البعض مستمتعين بالتأرجح كأنهما في مهد وهما على كرسي فيلكس هوينيكر العجوز ، ذلك الكرسي الخيزراني الأبيض الهزاز . الكرسي الذي يواجه البحر .

ثم رقصت زينكا له . .

«تخيل أن ترقص امرأة من أجلي أنا وحسب»

«يمكنني أن أرى أنك لستَ نادمًا على شيء»

«كسرتْ قلبي . لم يعجبني هذا . . لكن لكل شيء ثمن ، وفي هذا العالم أنت تحصل على ما تدفع ثمنه»

واقترح نخبًا شجاعًا «نخب الزوجات والعشيقات» وبكى .

٥٩. اربطوا أحزمة الأمان

كنتُ في البار برفقة نيوت ، واتش لاو كروسبي وبعض الآخرين عندما ظهرت سان لورينزو من الأفق ، كان كروسبي يتحدث عن الحقارة .

-هل تعرف ما أعنيه بكلمة حقير؟

-أعرف الكلمة ، قلتُ . «لكن من الواضح أنني لا أتفق معك في معناها بالنسبة لي» .

كان كروسبي ثملاً ووهم السُكر يجعله يعتقد أنه يستطيع التحدث بصراحة بينما في الحقيقة كان يتحدث بمودة وهدوء مثلما تحدث نيوت .

-لا أعني رجلاً صغيرًا كهذا . . وربَتَ كروسبي على كتف نيوت .

-ليس الحجم ما يجعل الرجل حقيرًا ، بل الطريقة التي يفكر بها . لقد رأيتُ رجالا بحجم أكبر خمس مرات من هذا الرجل الصغير هنا . وكانوا كلهم حقراء ، ورأيت أيضًا بعض الرجال ، حسنا ليس بهذا الحجم بالضبط ، لكن اللعنة ، بحجم أقل كثيرًا بحق الله! وكانوا فعلا رجالاً حقيقيين!

- شكرًا . قال نيوت ببهجة دون حتى أن يلقي نظرة على اليد التي كانت تضغط بوحشيّة على كتفه ، لم أرَ إنسانًا قطّ يشعر بالارتياح بعد إهانة إعاقته الجسدية . ارتجفتُ إعجابًا .

- لقد كنا نتكلم عن الحقراء . قلتُ لكروسبي آملاً أن يخفف وطأة يده على نيوت .

- يا للعنة! فعلا . . واستقام كروسبي في جلسته .

- لم تخبرنا بعد عن الحقير من يكون؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- الحقير هو شخص يفكر بطريقة ماكرة لعينة ، ولا يمكنه أبدًا أن يغلق فمه ، ومهما قال الآخرون سيعارضهم ، لو قلت أنك تحب شيئًا ما . . إلهي! سيخبرك أنك مخطئ بشأن هذا . والحقير سيبذل جهده في جعلك تشعر أنك كنت مغفلاً طيلة الوقت ومهما قلت فهو يعرف أفضل منك .

- لا أعتقد أنا أيضا أنها صفات جيدة .

- ابنتي أرادت أن تتزوج حقيرًا ذات مرة . . قال كروسبي .

- وهل فعلت؟

- قمت بسحقه كحشرة . ضرب كروسبي بقبضته على البار .

ومتذكرًا ما قاله وفعله ذلك الحقير قال كروسبي «يا يسوع! ، من المفترض علينا جميعًا الذهاب للكلية» . ألقى بنظرة حادة على نيوت مجددًا ، وسأله . «هل ذهبت للكلية؟»

-جامعة كورنيل ، قال نيوت .

- كورنيل! هتف كروسبي بسرور . «إلهي! لقد كنت أدرس أيضًا في كورنيل»

أومأ نيوت إليّ : «لقد درس هناك» .

- إذن هناك ثلاثة طلبة من كرونيل على نفس الطائرة! ، قال كروسبي .

والآن لدينا بين أيدينا غرانفالون مجيد آخر ، وعندما هدأ كروسبي قليلاً سأل نيوت عن عمله .

-أنا أرسم

- المنازل؟

- الصور .

- اللعنة عليّ . قال كروسبي .

«الرجاء أن تعودوا إلى أماكنكم ، وتربطوا أحزمة الأمان» قالت

مضيفة الطائرة . «لقد وصلنا إلى مطار مونزانو في بوليفار سان لورينزو» .

– يا للمسيح! . . انتظروا دقيقة . ونظر أسفل إلى نيوت .

– فجأة أدركت أنك تَحمل لقبًا سمعته من قبل .

– أبي هو أب القنبلة النووية . لم يقل نيوت أن فليكس هوينيكر أحد آباء القنبلة ، بل قال أن فيلكس هو «الأب» .

– هل هذا هو؟ سأل كروسبي

– نعم . هو كذلك .

– لقد كنت أفكر في شيء آخر ، قال كروسبي ، ومن ثم قال محاولًا التذكر بصعوبة «شيئا ما عن راقصة» .

–أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى أماكننا . قال نيوت مؤكدًا كلام المضيفة .

–شيء ما عن راقصة روسية . كان كروسبي قد شرب كفاية لم يعد يجد معها أي حرج في التفكير بصوت عال .

«أتذكر أني قرأت افتتاحية صحيفة حول احتمال أن تكون تلك الراقصة جاسوسة» .

«أرجوكم أيها السادة» . قالت المضيفة «عليكم فعلاً أن تعودوا إلى أماكنكم وتربطوا أحزمة الأمان» .

نظر نيوت إلى أعلى ، إلى اتش لاو كروسبي ببراءة : «هل أنت متأكد أن اللقب في الصحيفة هو هوينيكر؟» . ولأجل تنحية أي شك أو خطأ في التحقق من الهوية تهجى نويت لقبه هوينيكر لكروسبي .

– ربما كنت مخطئًا .

قال اتش لاو كروسبي .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٦٠. وطن فقير

هذه الجزيرة كما تبدو من الجو كانت مستطيلة تمامًا بشكل يثير الدهشة ، كانت هناك مجموعة من الصخور الخشنة والمدببة تبرز من البحر راسمة دائرة من حولها .

وفي جنوب الجزيرة كان هناك ميناء مدينة بوليفار والتي كانت المدينة الوحيدة ، وكانت هي العاصمة .

كانت قد بنيت على حافة المستنقعات ، أما مدرج مطار مونزانو فكان على الواجهة المائية .

وفجأة ظهرت لنا الجبال في شمال بوليفار متممة ما تبقى لنا رؤيته من هذه الجزيرة بالتواءاتها القاسية ، كانت تسمى جبال «دم المسيح» ، لكنها بدت لي من بعيد وكأنها مجموعة خنازير في حوض .

كانت بوليفار تحمل العديد من الأسماء : كازما كازما ، سانتا ماريا ، سانت لويس ، سانت جورج وأما هذا الاسم الشرفي بوليفار فقد سماها به جونسون ومك كابي العام ١٩٢٢ ، وسُميّت على شرف سيمون بوليفار البطل المثالي اللاتينو أمريكي العظيم .

وعندما وصل جونسون ومك كابي إلى المدينة . كانت مبنية بالأغصان والقصدير والصناديق والطين وبنيت على أنقاض تريلون قبر فقير سعيد ، أنقاض قبور في مزيج آسن من بقايا الطعام والفضلات البشرية والمياه القذرة والوحل .

وهكذا وجدتها أنا أيضًا . . ما عدا الوجه المعماري الزائف المقام على امتداد الواجهة المائية .

فشل جونسون ومك كابي في إخراج شعبها من الفقر والقذارة .

بابا مونزانو أيضًا فشل .

وكـان ولا بد أن يفـشل الجـمـيع في هذا ، لأن سـان لورينزو منطقة غير منتجة ، ليست حتى مثل الصحراء المقفرة أو الأراضي المتجمدة القطبية . .

وفي نفس الوقت كانت الكثافة السكانية مرتفعة تماما مثلما نجدها في الهند أو الصين ، كان هناك أربعمائة وخمسون نسمة لكل ميل مربع غير صالح للسكن .

«وخلال الفترة المثالية لحكم ملك كابي وجونسون في إعادة تنظيمهما لسان لورينزو قاموا بإعلان أن الدخل العام للبلد سيقسم على الأشخاص البالغين وستكون الحصص متساوية» . كتب فيليب كاستل . «وفي أول - وآخر مرة - فعلوا هذا . . كانت حصة كل فرد ما بين الست والسبع دولارات» .

٦١. كم تساوي عملة الكوربورال؟

خضعنا في غرفة جمارك مطار مونزانو إلى تفتيش الأمتعة وتحويل الأموال التي ننوي إنفاقها في سان لورينزو إلى العملة المحلية ، يعني أن نحولها إلى «كوربورال» ، والتي يصّر بابا مونزانو أنها تساوي خمسون سنتًا أمريكيا لكل كوربوال .

الغرفة كانت أنيقة وجديدة لكنها مليئة بلافتات تحذيرية عُلِّقت حديثا على جدرانها بطريقة فوضوية .

«أي شخص يقبض عليه متلبسًا بممارسة شعائر بوكونون في سان لورينزو .» قال ملصق منها : «سيموت معلقا على الشص!»

ملصق آخر كان يعرض صورة بوكونون ، كانت صورة لرجل هزيل ملون يدخن سيجارا ،ويبدو ذكيًا ولطيفاً ودمثًا .

وتحت الصورة كانت هناك هذه الكلمات : «مطلوب حيًا أو

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ميتًا . عشرة آلاف كوربورال مكافأة» .

ألقيت نظرة متفحِّصة على الملصق لأجد في أسفله التقرير الذي أقرّته الشرطة وملأه بوكونون منذ العام ١٩٢٩ كان الملصق يعرض نسخة من التقرير ومن الواضح أنهم فعلوا ذلك كي يساعدوا الساعين وراء جائزة بوكونون لمعرفة كيف تبدو بصمات أصابعه وخط يديه في الكتابة .

لكن ما أثار اهتمامي حقا هو الكلمات التي اختارها بوكونون كي يملأ بها خانات هذا الاستجواب في العام ١٩٢٩ ، والتي وضعها قدر الإمكان كلمات توضح نظرته الكونية ، آخذا بعين الاعتبار مثلاً أفكارًا مثل قِصر الحياة وطول الأبدية .

فكَتب في التقرير عن هوايته : أن أكون حيًا .

وكتب كمهنة رئيسية له : الموت .

بينما كان ملصق آخر يقول : «هذه أمة مسيحية! ،أيُّ لَعِب بالأرجل يعاقب عليه بالتعليق على الشص»

لم أفهم أول الأمر أي معنى للملصق لأني لم أكن أعلم بعد أن معتنقي البوكونونية يقومون بمزج أرواحهم عن طريق ضغطهم باطن أقدامهم مع بعضهم البعض .

أما السر الأكبر في الموضوع ولأني لم أكن قد أنهيت كتاب فيليب كاسل بعد ، فلم أكن أعرف الجواب عنه ، وهو كيف أصبح البوكونون وهو الصديق الحميم للعريف مك كابي ، مطلوبًا للعدالة؟

٦٢. لماذا لم تكن هازيل خائفة؟

كان هناك سبعة قد أتوا إلى سان لورينزو : نيوت وأنجيلا ، السفير مينتون وزوجته ،اتش لاو كروسبي وزوجته ، وأنا . ولما أنهينا التخليص الجمركي خرجنا إلى الهواء الطلق ، إلى منصة الاستقبال .

وهناك قابلنا حشدا هادئا جدا .

كان هناك خمسة آلاف أو أكثر من أهالي سان لورينزو يحدقون فينا ، بشرتهم سمراء اللون وكانوا نُحفاء ، لم أرى بينهم شخصًا سمينًا ، وكل من فيهم -ولابد - كان قد فقد أحد أسنانه ، والعديد من السيقان كانت مرضوضة أو متورمة .

لم تكن هناك أية عيون تحوي بريقًا .

كانت نهود النساء عارية وهزيلة ، وكان الرجال يرتدون أردية تلف خصورهم ، وكانت واسعة ولا تكفي بالكاد لستر أعضائهم المتأرجحة كبندول الساعة .

كان هناك العديد من الكلاب ، ولكن ولا واحد منها كان ينبح ، والعديد جدًا من الأطفال ، ولا واحد منهم كان يبكي ، ومن هنا وهناك كان يمكنك أن تسمع سعال أحد ما ، وهذا كل شيء .

كانت هناك فرقة عسكرية موسيقية تقف متأهبة قبالة الحشد ، لكنها لم تكن تعزف .

كان هناك حارس ملون بجانب الفرقة ، كان يحمل رايتين ، أحد الرايات كانت نجومًا وأشرطة والأخرى كانت علم سان لورينزو .

كان العَلَم يتكون من علامة مزدوجة تشبه شارة العريف ، مع خلفية حقل ملكي أزرق .

لم تكن الرايات ترفرف في هذا اليوم الصحو .

وأعتقد أني سمعت أو خيّل لي ، من مكان ما بعيد ، ضربات ناشزة لعصا تعزف على طبل ، لم يكن هناك فعلا أي صوت . . كانت روحي ببساطة تتخيل تَردُّد صدى الموسيقى النحاسية ، سابرةً عمق جو سان لورينزو الحار .

«أعتقد أني سعيدة لأنها دولة مسيحية» . قالت هازيل هامسة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لزوجها «إذ لو لم تكن كذلك ، سيعتريني بعض الخوف»
ووراءنا كان هناك آلة اكسيلوفون .
كانت ممهورة بعلامة متلألئة ، وكانت العلامة مصنوعة من أحجار العقيق والكريستال ، وتشكل كلمة «مونا»

٦٣. موقّروحُرّ

على الجانب الأيسر من منصة الاستقبال ، كانت هناك ست طائرات مقاتلة ذات مروحية لولبية مرتبة على صف واحد ، وكانت الطائرات مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة إلى سان لورينزو . ورُسم على الطائرات بطريقة صبيانية متهورة أفعى بوا تعتصر شيطانا حتى الموت ، وفي الرسم كان الدم يخرج من أذني الشيطان وأنفه وفمه ، بينما كانت المذراة التي يحملها الشيطان عادة ، تنزلق من بين أصابعه الشيطانية الحمراء .
وخلف كل طائرة ، كان يقف طيار أسمر اللون ، صامتاً أيضًا .
وكان ما أخرجنا من جو هذا الصمت المتكلف ، صوت بدا أول الأمر وكأنه صوت ناموسة من بعيد . . تبين لاحقًا أنه صافرات سيارة تقترب وبالطبع كان صوت صفارة سيارة بابا ، كانت ليموزين كاديلاك سوداء لامعة .
وصلت السيارة وتوقفت أمامنا ، كانت إطاراتها تطلق الدخان . . ونزل منها بابا مونزانو وابنته بالتبني مونا آمونس مونزانو وفرانكلين هوينيكر .
وبإشارة متعجرفة آمرة من بابا ، بدأ الحشد يغني النشيد الوطني لسان لورينزو ، كان لحن النشيد هو نفسه لحن أغنية الريف الأمريكي المعروفة «بيت على المدى» ، أما الكلمات فكتبها العام ١٩٢٢ : ليونيل بويد جونسون الذي هو البوكونون نفسه .

والكلمات كانت كالتالي :
«أوه . . وطننا هو أرض
حيثُ الحياة فيه جميلة
حيث الرجال شجعان كأسماك القرش
والنساء طاهرات .
ونحن على يقين دومًا
أن أطفالنا سيقومون بما هو صحيح
سان ، سان لو-رين-سو!
أي جزيرة غنية ومحظوظة أنت .
أعداؤنا يخافون منا
لأنهم يعلمون أنهم سيخسرون
أمام أناس مثلنا ، أحرارٌ وجِدٌّ موقرين» .

٦٤. السلام والغنى

ومن ثم عاد الحشد إلى الصمت ، صمت القبور مجددًا .

التحق بنا بابا ومونا وفرانك إلى باحة الاستقبال هذه ، رافقهم خلال ذلك قرع على طبل . . وتوقف القرع حين أشار بابا بإصبعه إلى العازف .

كانت حلة بابا تحمل حافظة علَى الكتفين ، خارج بلوزته ، كانت الحافظة تحمل مسدس الكروميوم ٤٥ . كان بابا عجوزًا . . رجلاً عجوزًا ، مثل العديد من أعضاء كارّاسي أيضًا ، كان في حالة سيئة وخطواته قصيرة ومتعثرة ، وكان لا يزال سمينًا لكن شحومه كانت تذوب بسرعة ، لهذا بدا زيّه النظامي واسعا عليه ، بؤبؤا عينيه كانا مصفرين ، ويديه كانتا ترتجفان .

كان حارسه الشخصي هو اللواء فرانكلين هوينيكر والذي كان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يرتدي زيًا أبيض اللون ، رقيق بشكل لافت من ناحية المعصمين وضيق من ناحية المنكبين ، وكان يبدو وكأنه طفل بقي لمدة طويلة بعد وقته المعتاد للنوم ، أما على صدره فقد كانت هناك ميدالية .

بالكاد رأيتهما هما الاثنين ، بابا وفرانك ، ليس لأن هناك مشكلة ما في عيناي ، بل لأني لم أتمكن من رفع عيني عن مونا ، كنت مفتونًا ومذهولاً ومندهشًا وسعيدًا وثملاً ، فكل أحلامي الخرافية واللامعقولة عن المرأة المثالية ، كانت حقيقية ومتجسدة هنا في مونا .

روحها الرقيقة والدافئة . إلهي! ارزقنا السلام والغنى للأبد . .

هذه الفتاة - وكانت فقط في عمر الثامنة عشر- مفعمة باطمئنان وهدوء يبعث على البهجة ، ويبدو أنها كانت تفهم كل ما يدور حولها . . أو لنقل أنها كانت هي الموضوع الوحيد الذي يُفهم أصلاً من حولها . . وفي أسفار بوكونون ذُكرت بالاسم وإحدى تلك الأمور التي قالها بوكونون عن مونا هي : «مونا تملك بساطة كل الأشياء» .

«فستانها أبيض وإغريقي
وترتدي صندلاً في قدميها السمراء الصغيرة
وشعرها الذهبي لامع وطويل .
وفخذاها قيثارة .
أوه ، يا الهي!
السلام والنعيم للأبد»

وكانت هي الفتاة الوحيدة الجميلة في سان لورينزو ، كانت هي الكنز القومي ، تبناها بابا حسب ما يقول فيليب كاستل «كي يخفف من وطأة قسوة حكمه بهذه اللمسة الإلهية» .

تدحرج الاكسيلفون عبر باحة الاستقبال ، وعزفت عليه

مونا . . عزفت «When Day Is Done» وكانت موسيقى المعزوفة ترتفع ، تنخفض ، تتلاشى ، وتترفع مجددًا . . ثمل الحشد بخمر الجمال ، ثم حان الوقت كي يستقبلنا بابا .

٦٥. وقت مناسب للقدوم إلى سان لورينزو

كان بابا متعلما عصاميا ، والفضل يعود إلى العريف مك كابي ، لأن بابا لم يخرج من الجزيرة قط ، لكنه كان يتقن بما فيه الكفاية الإنجليزية الأمريكية .

وكل شيء قلناه في باحة الاستقبال كان يُنقل للحشد عبر مكبرات الصوت التي كانت تشبه أبواق النفخ في الصور ليوم القيامة .

وأي شيء كان يَعبر تلك الأبواق فقد كان ينساب أسفل ، إلى شارع واسع لكنه قصير خلف الحشد ، ليرتد أمام الواجهات الزجاجية للمباني الجديدة في نهاية الشارع ويعود مجددًا .

«مرحبًا» قال بابا . «لقد أتيتم إلى أفضل صديق حصلت عليه أمريكا على الإطلاق . . لقد أسيء فهم أمريكا في العديد من الأماكن لكن ليس هنا ، سيادة السفير» .

وانحنى نحو اتش لاو كروسبي ، مالك مصنع الدراجات الهوائية معتقدا أنه السفير الجديد .

– أعلمُ أنك تقود بلدًا جيدًا سيادة الرئيس . قال كروسبي . «كل شيء سمعته عنها بدا رائعًا جدًا لي لكن هناك فقط أمر واحد» . .

– أوه؟

– لستَ السفير هنا . . قال كروسبي . . «أتمنى لو أنني كنت كذلك ، لكني مجرد رجل أعمال عادي» وكان من الصعب على

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كروسبي أن يخبره بمن هو السفير الحقيقي ، لكنه أشار إليه :

– هناك ، هذا هو رجلنا المنشود . .

«أها!» ، ابتسم بابا لمعرفته بخطئه ومن ثم اختفت الابتسامة فجأة لأن ألمًا ما بداخله هجم عليه فجأة وجعله يجفل ومن ثم يجفل مجددًا ، أغلق عينيه آملا أن يتوقف الألم .

هرع فرانك هوينيكر لمساعدته بشكل أخرق وساذج . . «هل أنت بخير؟»

«اعذرني» همس بابا أخيرًا ، ورفع رأسه قليلاً ، طفرت الدموع من عينيه ، مسحهم ، ومن ثم استقام تمامًا «أرجو معذرتك»

بدا لوهلة أنه في حيرة ولا يعرف في أي مكان هو بالضبط ، كان هذا متوقعًا منه ، تذكر بعدها ، ومن ثم صافح يد هورليك مينتون :

– ها أنت الآن بين أصدقائك .

– أنا متأكد من هذا . قال مينتون بلطف .

– مسيحي . قال بابا

– جميل .

– وضد الشيوعية . قال بابا

– جميل .

– لا يوجد شيوعيون هنا . قال بابا وأضاف : «لأنهم يخافون التعليق بالشص أشد الخوف» .

– أعتقد أنه ينبغي عليهم ذلك . قال مينتون .

– لقد اخترت وقتًا مناسبًا جدًا للقدوم إلينا ، فغدًا سيكون أسعد الأيام في تاريخ بلادنا لأنه هو يوم عطلتنا الوطنية المجيدة يوم شهداء الديمقراطية المائة ، وهو أيضا سيكون يوم خطبة اللواء هوينيكر لمونا آمونس مونزانو . التي هي أغلى إنسان في حياتي وفي

حياة سان لورينزو ككل» .

– «أتمنى لكِ كل السعادة آنسة مونزانو» قال مينتون بحرارة . «وأهنئك أيها اللواء هوينيكر .»

رد الشابان وشكراه على التهنئة .

أما مينتون فقد تكلم عما يسمى الشهداء المائة للديمقراطية ، وأنشأ يختلق كذبة صارخة «لا يوجد طفل أمريكي في المدرسة لا يعرف تاريخ سان لورينزو وتضحياتها الجليلة في الحرب العالمية الثانية .

أبطال سان لورينزو المائة الذين نسترجع ذكراهم غدا والذين قدموا كأي رجال محبين للحرية كل ما في وسعهم تقديمه ، وقد طلب مني رئيس الولايات المتحدة أن أكون ممثله الشخصي في الاحتفالات غدا ولألقي إكليلا من الزهور في البحر تحية لذكراهم» .

– شعب سان لورينزو يشكرك ويشكر رئيسك والناس الكرماء من الولايات المتحدة الأمريكية من أجل اهتمامهم : قال بابا . سيشرفنا جدًا لو قمت بإلقاء الزهور في البحر خلال حفلة الخطوبة غدًا .

– الشرف لي .

وطلب بابا من الجميع تشريفه بحضور الذكرى وحفل الخطوبة غدًا وذلك في قصره وقت الزوال .

– أي أطفال سيحظى بهما هذين! قال بابا لافتًا انتباهنا لتأمل فرانك ومونا معًا . «أي أصول!أي جمال!»

وشعر بالألم مجددًا فأغلق عينيه محاولاً تحمل الألم وانتظر كي يمضي الألم لكنه لم يمضي .

ولا يزال متألمًا ، استدار وانصرف بعيدًا نحو الحشد حيث

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الميكرفون قد أعد له لإلقاء الخطاب ، حاول أن يشير للحشد ففشل ثم حاول أن يقول شيئًا وفشل أيضًا . وأخيرًا خرجت الكلمات «عودوا إلى منازلكم» صرخ مكافحًا الألم «عودوا إلى منازلكم!»

تناثر الحشد متفرقين كأوراق الشجر .

استدار بابا إلينا مجددًا معانيا ألمًا شديدا . . ثم انهار .

٦٦. أقوى شيء في الوجود

لم يكن ميتًا .

لكنه بالتأكيد بدا ميتًا . إلا أنه من حين لآخر - وهو كما هو في مظهره كميت- كان يختلج أحيانًا . .

صرخ فرانك بصوت عالٍ أن بابا ليس ميتًا ، وأنه لا يمكن أن يكون كذلك ، كان فرانك محتدًا . . ومسعورًا «بابا لا يمكن أن تموت! لا يمكنك!»

أرخى فرانك ياقة بابا . وجس نبضه . . «إنه يحتاج إلى التنفس! امنحوا بابا الهواء» هرع طيارو الطائرات المقاتلة لتقديم المساعدة وكان أحدهم ذكيًا بما يكفي ليذهب ويأتي بالاستعجالات الطبية إل المطار .

أما الفرقة العسكرية الموسيقية والحارس الملون وبما أنهم لم يتلقوا أية أوامر فقد كانوا يرتجفون على أهبة الاستعداد .

ونظرت إلى مونا ووجدت أنها لا تزال هادئة من ثم انسحبت إلى الحاجز الموجود في باحة الاستقبال ، فالموت إن كان هناك موت . . ليس من شأنها الآن .

بجانبها كان هناك طيّار . لم يكن ينظر إليها ، لكن كان بوسعي ملاحظة أنه يتوهج حرارة ويتصبب عرقًا لمجرد معرفة أن مونا بالقرب منه .

استعاد الآن بابا شيئًا ما من 'الوعي' ، وبيدين ترتعشان كأجنحة عصفور اصطيد للتو أشار لفرانك . . «أنت . .»

حل صمت عميق بينما ننتظر سماع كلماته .

تحركت شفتاه لكننا لم نتمكن من سماع أي شيء عدا أصوات مبهمة .

ومن مكان ما ، كان لدى أحدهم فكرة بدت رائعة أول الأمر ثم تبين لاحقًا أنها فكرة فظيعة . . كان طيارًا على ما أعتقد ، أخذ الميكروفون وقربه إلى شفتي بابا المرتجفتين .

وهكذا انصبت تأوهات سكرات الموت وأنين تشنجات بابا الأخيرة والحزينة على المباني الجديدة عبر الميكروفون ومكبرات الصوت .

وأخيرا أتت الكلمات «أنت» قال لفرانك بصوت مبحوح «أنت ، فرانكلين هوينكير ستكون رئيس سان لورينزو القادم ، العِلم . . أنت تملك العلم . . . العلم هو أقوى شيء على الإطلاق» .

«العلم» قال بابا «الجليد» . وانقلبت عيناه الصفراوين . . ثم غاب عن الوعي مجددًا .

ألقيت نظرة على مونا .

لم يبدو عليها أنها تأثرت أو تبدلت ملامحها .

أما الطيار الذي كان بجانبها فقد كانت ملامحه تبدو وكأنها تجمدت ، كان يهتز متصلبًا وهو يحاول أن يتمالك فرحه الداخلي الطاغي والذي كان أشبه بفرح إنسان تلقى للتو ميدالية الشرف الوطنية من الكونغرس .

ونظرُت أسفل حيث لم يكن ينبغي أن أنظر .

كانت مونا قد نزعت صندلها وبقدمها السمراء العارية كانت تفرك وتفرك وتفرك . . - تفركُ بفُحش- حذاء الطيّار .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

Hy-u-o-ook-kuh! .٦٧

بابا لم يمت . . ليس بعد .

أُخذ بعيدا في عربة المطار الحمراء الكبيرة . أما عائلة المنتون فأُخذَت إلى السفارة في سيارة الليموزين الأمريكية . نيوت وأنجيلا أُخِذوا إلى منزل فرانك في سيارة ليموزين محلية أخرى .

أما أنا وعائلة كروسبي فقد أخذنا إلى كازا مونا ، فندق في سان لورينزو عبر سيارة أجرة جنائزية ، ليموزين سوداء من نوع كريسلر ١٩٣٩ بمقاعد مريحة ، وكان الاسم المكتوب على جانب السيارة هو شركة كاستل للنقل . كانت سيارة الأجرة هذه ملك لفيليب كاستل والذي كان يملك كازا مونا أيضًا وهو ابن محب الخير ومنكر الذات الذي أتيت لملاقاته هنا .

أنا وكروسبي وزوجته شعرنا بالاستياء وعبّرنا عن هذا القلق بأسئلة أردنا الجواب عليها دفعة واحدة . . .

كانت عائلة كروسبي تريد معرفة من هو بوكونون ، سألا وهما يشعران بالإثارة والفضول عمن يمكن أن يكون هذا الذي يتحدى بابا مونزانو .

وخارج هذا الموضوع كنت أريد أن أعرف -وفورًا- من كان هؤلاء المائة شهيد من أجل الديمقراطية .

حصل الكروسبي على أجوبتهم أولا لكنهم لم يستطيعوا أن يفهموا لهجة أهل سان لورينزو . لهذا اضطررت أن أترجم لهم . كان سؤال كروسبي للسائق حرفيا كالآتي : من هذا الحقير المدعو بوكونون بحق الجحيم؟!»

- هو شخص سيء جدًا . قال السائق بينما ما قاله حقيقةً كان : «Vorry ball moan»

- شيوعي؟ سأل كروسبي . لما سمع ترجمتي لجواب السائق .
- أوه بالتأكيد .
- هل لديه أيّ أتباع؟
- سيدي؟
- هل هناك من يعتقد أنه رجل طيب؟
- أوه ، لا سيدي . قال السائق بنغمة دينية . «لا يوجد إنسان بهذا الجنون كي يتبعه» .
- ولماذا لم يلقى عليه القبض إذاً؟ سأل كروسبي
- لأنه يصعب العثور عليه . . وهو ذكي جدا .
- حسنا أعتقد أن هناك من يخفيه ويقدم له الطعام ، وإلا لكان ألقي عليه القبض الآن .
- لا أحد يخبئه ولا أحد يطعمه . . الجميع ذكي بما يكفي لكي لا يفعل هذا .
- هل أنت متأكد؟
- أوه ، نعم . . قال السائق . . لأن أي شخص يطعم هذا العجوز المخبول أو يتيح له مكانًا للنوم يعاقب بتعليقه على الشص . . ولا أحد - صدقني- يريد الشص .

ونطق الشص ، الكلمة الاخيرة التي تنطق بالإنجليزية hook كالآتي : «hy-u-o-ook-kuh»

٦٨. Hoon-yera Mora-toorz

سألت السائق عمن يكون هؤلاء الشهداء المائة للديمقراطية . بينما كنا نمضي أسفل على طريق الشارع الذي كان يدعى شارع شهداء الديمقراطية المائة .

أخبرني السائق أن سان لورينزو أعلنت الحرب على ألمانيا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

واليابان بعد ساعة من الهجوم على بيرل هاربور .

جنّدت سان لورينزو مئة رجل من أجل الحرب إلى جانب الديمقراطية ، وهؤلاء المائة ركبوا في سفينة متوجهة إلى الولايات المتحدة أين سيسلحون ويتدربون .

أغرقت غواصة ألمانية السفينة أمام ميناء بوليفار تماما .

قال السائق بلهجته :

"Dose ، sore","yeeara lo hoon-yera mora-toorz tut zamoo-cratz-ya."

«هؤلاء ، سيدي ، هم شهداء الديمقراطية المائة .»

٦٩. فسيفساء كبيرة

اختبرت أنا والكروسبي التجربة المثيرة التي يختبرها أول المقيمين لفندق جديد ، وكنا أول من يوقّع في دفتر نزلاء فندق كازا مونا .

سبقني الكروسبي إلى المكتب الأمامي لكن اتش لاو كروسبي كان مندهشا جدا أمام الدفتر الفارغ تماما ، بحيث بدل أن يوقع حضوره ويذهب ، بقي يفكر حول هذا الأمر لوهلة .

«وقّع أنت» . قال لي ، ثم وكي لا أشك أنه يؤمن بالخرافات أو شيء ما مماثل ، أخبرني أنه سيذهب ويصوّر ذلك الرجل الذي ينحت الفسيفساء الكبيرة على الجبس الحي ، الفسيفساء التي كانت على جدار الردهة .

كانت الفسيفساء صورة لمونا آمونس مونزانو . كانت بطول عشرين قدمًا والرجل الذي كان يعمل عليها كان شابًا وقوي البُنية . كان يقف أعلى السلم ، ولم يكن يرتدي شيئا عدا بنطالاً أبيض .

كان رجلاً أبيض .

فنان الفسيفساء هذا كان يعمل الآن على الخصلات الفاتنة أسفل عنق الجميلة مونا . . كانت خصلات ذهبية . .

ذهب كروسبي لتصويره . ثم عاد ليقول أن هذا الرجل هو أكبر حقير التقاه في حياته . كان وجه كروسبي بلون الطماطم الحمراء عندما قال هذا . «لا يمكن قول أي شيء لَعين له دون أن يغضب» وهكذا ذهبت إلى فنان الفسيفساء ، وشاهدته لفترة ثم قلت له :

«أنا أحسدك»

«لقد كنت أعرف هذا . .» وتنفس الصعداء «كنت أعلم لو أنني انتظرت بما يكفي سيأتي شخص ما ويحسدني . . استمررت بإخبار نفسي أن أكون صبورًا . . . فعاجلاً أو آجلاً سيأتي أخيرًا شخص يحسدني»

– هل أنت أمريكي؟

– سعيدٌ بكوني كذلك .

واستمر في العمل ، لم يكن فضولياً مثلي . . «هل تريد أن تأخذ معي صورة أيضًا؟»

«هل تمانع؟»

أعتقد أنني . . إلى حد ما . . نوعًا ما ، جاهز للتصوير

– أخشى أنني لا أملك كاميرا تصوير معي الآن .

– حسنا . . لأجل المسيح . . خذها معك دائمًا! لا أظن أنك من الناس الذين يثقون في ذاكرتهم . . صح؟

– لا أعتقد أنني سأنسى هذا الوجه الذي تعمل عليه قريبًا .

– ستنساه عندما تموت وكذلك أنا عندما أموت سأنسى كل شيء وأنصحك بفعل ذلك كي لا تتعب .

– هل كانت تتخذ وضعية ما لترسمها أو أنك تعمل من صورة لها أو ماذا؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- أنا أعمل على 'أو ماذا' .
- وأشار لصدغه : «كلها هنا في داخل عقلي الذي أُحسد عليه»
- هل كنت تعرفها؟
- لقد حظيت بسعادة أن أعرفها .
- فرانك هوينيكر رجل محظوظ .
- فرانك هوينيكر مجرد خراء .
- يبدو لي وبوضوح أنك رجل صريح .
- أنا غني أيضًا .
- سعيد لسماع هذا .
- لو أردت سماع رأي من خبير . . المال لا يجعل الناس سعداء بالضرورة .
- أشكرك لهذه المعلومة ، أنت للتو أنقذتني من الكثير من المشاكل . . لأنني كنت سأجني بعض المال . .
- كيف؟
- الكتابة .
- لقد كتبتُ كتابًا في إحدى الأوقات .
- وماذا كان عنوانه؟
- سان لورينزو . . قال لي وتابع . . «الجغرافيا والتاريخ والشعب .»

٧٠. دَرَسَ على يد البوكونون

«أنت ، لقد عرفتك» قلت لفنان الفسيفساء . . «أنت فيليب كاستل ابن جوليان كاستل» .
- سعيد لكوني كذلك .

- أنا هنا لرؤية والدك .
- هل أنت بائع أسبرين متجول؟
- لا .
- يا للأسف . . لأن أبي لا يقاوم إغراء الأسبرين . . ماذا عن الأدوية التي تحقق المعجزات؟ سيكون والدي مسرورًا بأخذ بعضها بين الحين والآخر .
- لست بائع أدوية ، أنا كاتب .
- وما الذي يجعلك تظن أن الكاتب ليس بائع أدوية؟
- سأقبل هذا منك . . أنا مذنب .
- أبي يحتاج نوعًا من الكتب يُقرأ للناس الذين يحتضرون أو يعانون ألمًا شديدًا . . لا أعتقد أنك كتبت مثل هذا الشيء من قبل .
- ليس بعد .
- وأعتقد أن هناك بعض المال في المسألة ، وسيكون نصيب مهم منه لك .
- أعتقد أنه بإمكاني تعديل المزمور الثالث والعشرين . أعدله بشكل لن يشك أحد أنه مزيف .
- حاول بوكونون ذلك . . لكن بوكونون لم يستطع تغيير كلمة منه .
- هل تعرفه أنت أيضًا؟
- أنا سعيد لأنني عرفته ، كان معلمي لما كنت صبيًا صغيرًا . وأومأ بعاطفيّة نحو الفسيفساء . . «وكان معلم مونا أيضاً»
- هل كان معلمًا جيدًا؟
- أنا ومونا يمكننا أن نقرأ ونكتب ونقوم ببعض الحسابات البسيطة . قال كاستل «إن كان هذا ما تعنيه بسؤالك»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٧١. سعادةُ أن تكون أمريكيًا.

أتى اتش لاو كروسبي مجددًا إلى كاستل كرّة ثانية . . إلى هذا الحقير .

– بمَ سميت نفسك؟ قال كروسبي بازدراء . . «بيتنيك[٧] أو ماذا؟»

– لقد دعوت نفسي بوكونونيًا .

– هذا مخالف للقانون في هذه البلاد ، أليس كذلك؟

– لهذا أنا سعيد جدًا لكوني أمريكيًا . لدي القدرة على التصريح أني بوكونوني في أي وقت لعين أشاء . وحتى الآن لم يزعجني أحد على الإطلاق .

– أنا أؤمن بتطبيق القوانين مهما كانت البلد التي أكون فيها .

– هذه معلومة قديمة بالنسبة لي .

كان كروسبي غاضبا «اللعنة عليك ، أحمق!»

«اللعنة عليك أيها المتحذلق . .» قال كاستل بشكل أقل حدة . . . «واللعنة على عيد الأم ويوم الكريسماس . أيضًا»

---

(٧) البيتنيك ثقافة انتشرت بين الشباب الأمريكي بين الخمسينيات وأوائل الستينيات تستلهم معطياتها وقيمها الفكرية من جيل أدباء البِيت وهذه الأخيرة أي جيل البِيت (بالإنجليزية : Beat Generation) هي مجموعة من الكتاب في الولايات المتحدة الأمريكية ظهر في عقد خمسينات القرن العشرين بعد الحرب العالمية الثانية ، وتمحورت ثقافته حول تجربة العقارات المهلوسة ، وأشكال جديدة للجنس ، واهتمام بالديانات الشرقية ورفض الاقتصاد المادي ورفض التمجيد الإعلامي وغيرها من وسائل التعبير المعاصر . (المترجم)

مشى كروسبي عبر الردهة إلى مكتب الموظف وقال «أريد أن أُبلِّغ عن الرجل هناك . ذاك الحقير الذي يدعي أنه فنان . لديك بلد صغير جميل يحاول أن يجذب السياحة والاستثمار في الصناعات والطريقة التي تحدث لي بها هذا الرجل جعلتني لا أرغب أن أرى سان لورينزو مجدداً ، وأي صديق سيسألني عن سان لورينزو سأقول له أن يبتعد عنها كالجحيم . . ربما تريد أن تضع صورة جميلة على الجدار هناك . . لكن . . بحق الإله ، ذلك الحقير الذي يقوم بذلك هو أكثر ابن عاهرة سلبي ومقيت قابلته في حياتي»

بدا الموظف وكأنه مريض : سيدي . .

«أنا أسمعك» قال كروسبي وهو شعلة نار .

«سيدي . . لكن ذلك الرجل هو مالك الفندق» .

٧٢. فندق الحقير الباذخ

غادر لاو كروسبي وزوجته كازا مونا . سماه كروسبي بـ «فندق الحقير» وطلب الإقامة في السفارة الأمريكية .

لهذا كنتُ الوافد الوحيد في فندق بمائة غرفة .

كانت غرفتي جيدة فعلاً . . كانت تقابل -كما كانت كل الغرف- شارع شهداء الديمقراطية المائة . ومطار مونزانو ثم ميناء بوليفار من خلفها ، بُني الفندق كازا مونا على شكل مكتبة بجانبين صلبين وخلفية مع واجهة زجاجية لونها أخضر مائل للزُّرقة .

وهكذا تختفي قذارة وفقر المدينة وراء كازا مونا حيث من المستحيل رؤيتها .

كانت غرفتي مكيفة وكانت باردة نوعًا ما . عطستُ بفعل نسمات البرد التي لسعتني .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت هناك أزهار يانعة على طاولة السرير . لكنه لم يكن مهيأ بعد ، ولم يكن هناك حتى وسادة على الفراش ، كان هناك ببساطة فراش جديد من نوع بيوتيريست ولم يكن هناك أي رداء معلق في خزانة الملابس ، ولم يكن هناك أي ورق تواليت في الحمام .

خرجتُ إلى الممر لأرى ماذا كان هناك أي خادمة يمكنها أن تهيأ لي غرفتي ، لم يكن هناك أي أحد . . لكني لاحظت أن هناك بابًا مفتوحًا في نهاية الممر البعيدة يصدر منه أصوات خافتة جدا ، فذهبت إلى ذلك الباب لأجد جناحا كبير مغطى بالستائر ، كان الجناح يدهن بالطلاء لكن لم يكن الدهانين يطليان عندما وصلت إليهما . . كانا يجلسان فوق مصطبة على جدار الغرفة بقرب النافذة .

كانا قد خلعا أحذيتهما وعيونهما مغلقة مقابلين بعضهما وجهًا لوجه ، كانا يضغطان باطن أقدامهما الحافيتين مع بعض . وكل منهما كان يضغط بكاحله على الآخر .

نظفت حنجرتي .

تدحرجا من على المصطبة وسقطا على الستائر التي تغطي الأرضية . . جثيا على أيديهما وركبهما وأنفاهما قريبين من الأرض ، وهما يرتجفان خوفا من الموت .

- عذرًا . . قلت مستغربًا .

- لا تخبر عنا . . توسل أحدهم بإلحاح . . «أرجوك ، أرجوك لا تخبر . .»

- أخبر عن ماذا؟

- عن الذي رأيته!

- أنا لم أرى أي شيء .

- لو أخبرت عنا . . قال ووضع خده على الأرضية ونظر إلي

متوسلاً : «لو أخبرتهم ، سنموت معلقين على الشص!»

«اسمعا . . صديقيّ» قلتُ «سواءً قدمتُ مبكرًا جدًا أو متأخرًا جدًا . . لكن سأخبركما مجددًا . . إنني لم أرى أي شيء يستحق أن أخبر عنه أي شخص . . . لهذا رجاءً انهضا» .

نهضا . لكن أعينهما بقيتا معلقتين بي . . كانا خائفين يرتجفان . . وأقنعتهما أخيرًا أنني لن أخبر أبدًا أي أحد عما رأيته .

أما ما رأيته بالطبع ، فقد كان الطقس البوكونوني للبوكو مارو . أو امتزاج الوعي .

فنحن البوكونونيين نؤمن أنه من المستحيل القيام بطقس (قدم إلى قدم) ما لم نحب الشخص الذي نشاركه ويتطلب هذا الطقس أن تكون قدما الشخصين كلاهما نظيفتان وأن نضغط جيدًا .

أما أصل احتفالية القدم هذه ، فقد كان هذا الكاليبسو :

«ستتلامس أقدامنا ، نعم
نعم وسنتشارك ما لدينا معًا .
وسنُحبّ بعضنا البعض ، نعم
نعم ، مثلما نحب أمنا الأرض» .

٧٣. موت أسود

عندما عدت إلى غرفتي وجدت فيليب كاستل ، الفسيفسائي ، المؤرخ ، مُفهرِس كتابه ، الحقير ، مدير الفندق . . يركِّب لفة أوراق التواليت في حمامي .

– شكرًا جزيلاً . . قلت له .

– على الرحب والسعة .

– هذا ما أدعوه فندقاً بقلب حقيقي . . كم من مديري الفنادق سيهتمون بأنفسهم براحة النزلاء؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- كم من مديري الفنادق لديهم نزيل واحد فقط؟
- لقد كنتُ معتادًا على ثلاثة .
- كانت تلك هي الأيام الحقيقية .
- أتعرف . . ربما أجازف بتغيير الموضوع . . لكني أجد من الصعب أن أفهم كيف لشخص بمثل اهتماماتك ومواهبك ينجذب إلى العمل الفندقي؟

قطب جبينه في حيرة : «لا أبدو لك أنني أجيد التعامل مع النزلاء كما ينبغي . . صح؟»

«عرفت بعض الناس في معهد الفندقة في كرونيل ، ولا أعتقد أنهم كانوا سيعاملون الكروسبي بطريقة مختلفة» .

هز رأسه بعدم ارتياح : «أعلم . أعلم . «وحرّك ذراعيه» اللعنة لو كنت أعلم لماذا بنيت هذا الفندق . . شيء ما كي أفعله في حياتي . . أعتقد . . كي أبقى مشغولاً . . كي لا أبقى وحيدًا . . .» وهز رأسه مجددًا .

- كان علي الاختيار إما أن أكون ناسكًا أو أفتح فندقًا . . لا ثالث لهما .
- ألم تقضِ صباك في مستشفى والدك؟
- هذا صحيح . . أنا ومونا نشأنا هناك .
- حسنا ، ألا تميل إلى العمل مثلما عمل والدك في حياته؟

ابتسم كاستل الابن الشاب ابتسامة باهتة متجنبًا إجابة مباشرة .

- إنه شخص مضحك . . أبي . . . . أعتقد أنك ستصبح مثله .
- أعتقد أنه لا يوجد هناك الكثير من الناس ينكرون ذواتهم وغير أنانيين مثله .

«في إحدى المرات . . .» قال كاستل «لما كنتُ في الخامسة عشر ،حدث تمرد على سفينة يونانية بالقرب من هنا ، كانت متجهة من هونك كونغ إلى هافانا مع حمولة من أثاث مصنوع من الخوص ، استولى المتمردون على قيادة السفينة لكنهم لم يعرفوا كيف يقودونها وهكذا اصطدموا بها على الصخور قرب قلعة بابا مونزانو ، وغرق الجميع عدا الجرذان . الجرذان وحمولة الأثاث من الخوص أتت عبر الشاطئ» صمت وبدت لي وكأنها نهاية القصة . لكنني لم أكن متأكدًا فسألته :

– إذن؟

– إذن ، وهكذا حصل الناس على أثاث مجاني ،والبعض الآخر أصيب بالطاعون الدُملّي وفي مستشفى والدي سجلنا ألف وأربعمائة حالة وفاة خلال عشرة أيام . هل سبق وأن رأيت أحدا يموت جراء وباء الطاعون الدملي؟

– لم أختبر هذه التعاسة من قبل .

– تتضخم العقد اللمفاوية في الفخذ والإبطين لتصبح بحجم حبات العنب .

– يمكنني أن أتصور هذا .

– وبعد الموت تحرق الجثة وتحول إلى فحم وتوضع في خزائن القلعة الجديدة في سان لورينزو . وبينما كان الوباء يجتاح كل شيء بطريقته الخاصة ، تحول بيت الأمل والرحمة في الغابة إلى ما يشبه معسكر اوشفيتز وبوخنفالد ، كانت لدينا أكوام كثيرة وعديدة من الموتى بحيث أن الجرافة نفسها تعطلت وهي تحاول أن تنقلهم إلى القبر الجماعي ،عمل الوالد بلا نوم لأيام دون أن ينجح في إنقاذ الكثير من الأرواح . . .

قاطع حكاية كاستل المروعة رنين هاتفي .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– يا إلهي! قال كاستل ، «لم أكن أعلم أنهم قاموا بوصل الهواتف هنا» .

رفعت السماعة . «مرحبا؟»

كان اللواء فرانكلين هوينيكر هو الذي يتصل بي ، بدا صوته لاهثا فيه شيء من الهلع «اسمع! عليك أن تأتي إلى منزلي فورًا . . يجب أن نتحدث! . . إنه شيء مهمٌ جدًا لحياتك!»

– هل يمكن أن تخبرني عنه ولو قليلاً . .

– ليس عبر الهاتف . . ليس عبر الهاتف . . تعال إلى منزلي . . تعال فورا! أرجوك!

– حسنا .

– أنا لا أمازحك . . إنه حقا شيء مهم جدًا جدًا في حياتك ، هذا هو أهم شيء على الإطلاق . وأقفل الخط .

– عن ماذا كان هذا الاتصال؟ سأل كاستل .

– ليس لدي أدنى فكرة . فرانك هوينيكر يريد أن يراني حالاً .

– خذ وقتك . . استرخي . . إنه مجرد معتوه .

– لقد قال أن الأمر مهم .

– كيف له أن يعرف ما هو المهم؟ أعتقد أنه يمكنني من موزة أن أستخرج رجلاً أفضل منه .[٨]

---

(٨) تكرر هذا الإقتباس في أعمال كورت فونيجت ، وهو اقتباس لتيودور روزفلت قاله لأوليفر ويندل هولمز الابن ، والقصة هي أنه في جويلية العام ١٩٠٢ ، في مرافعة قضائية بين الحكومة وشركات السكك الحديدية ، وواثقًا من نفسه اعتمد روزفلت على أولفر ويندل كمدافع عنه في القضية أمام المحكمة العليا معتمدًا في اختياره أولفر على رأي رفيقه في الحزب الجمهوري السيناتور هنري كابوت لودج من ماساشوستس والذي قال أن أوليفر سيكون هو من =

- حسنا . . أكمل قصتك على أية حال .
- أين كنا؟
- وباء الطاعون الدملي . . والجرافة التي تعثرت بالجثث . .
- أوه . . نعم ، وعلى أية حال ، وفي إحدى الليالي التي أمضيناها بلا نوم ، مكثت مع الوالد لما كان يعمل ، وأما ما الذي كان يعمله بالضبط فهو إيجاد مريض حي أولا كي نعالجه! ، وسرير من بعد سرير لم نجد سوى الموتى . .

واصل كاستل . . «وبدأ الوالد يقهقه . . ولم يستطع التوقف ، خرج إلى الظلام بمصباحه اليدوي ، وهو لا يزال يضحك مما جعل شعاع الضوء يتراقص على جثث الموتى المكدسة خارجًا ، وضع يده على رأسي ، والآن هل تعلم ما الذي قاله لي هذا الرجل الرائع؟» سألني كاستل .

- لا .
- «بُنيّ . . في يوم ما ، سيكون كل هذا ملكك» .

= سيأخذ حقنا في هذه القضية ، وبعد عشرين شهرا - والعديد من حفلات العشاء الفاخرة في البيت الأبيض - وخلال فترة الانتخابات ، صوّت أوليفر ويندل هولمز ضد رئيسه في أكبر قضية سحب الثقة في مجال السكك الحديدية خسرت فيها الحكومة الأمريكية أمام شركة السكك الحديدية نورثن سكيورتيز . فقال روزفلت غاضباً كلمته المشهورة : «كان يمكن أن أنحت من موزة قاضياً أكثر صلابة منه» . . والتشبيه المجازي الوارد هنا هو أن الصُلب ، أو الظهر أو العمود الفقري دليل على الصلابة والأشُد والرجولة ، بينما الموزة رخوة وبلا أي هيكلٍ داخلي ، وضرب روزفلت هذا التشبيه -الصعب ترجمته كما هو للعربية دون الخلفية الثقافية والتاريخية - دلالةً على خيبة أمله وندمه في اعتماده على من لا يعتمد عليه في الأصل . (المترجم)

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٧٤. مهد القطة

ذهبتُ إلى منزل فرانك في سان لورينزو في سيارة أجرة .

ومررنا على مناظر مؤسفة وبشعة من الفقر والبؤس ، واصلنا الصعود عبر منحدر جبل مك كابي ، وأصبح الهواء أكثر برودة . وكان هناك ضباب . . .

كان منزل فرانك من قبل هو منزل نيستور آمونس ، والد مونا والمهندس المعماري لبيت الأمل والرحمة في الغابة ، كان أمونس هو من صممه .

كان المنزل مبنيا عبر شلال ، وكان يحتوي على شرفة تمتد خارجا كانت مغمورة بالضباب المتصاعد من شلال الماء ، كانت الشرفة عبارة عن هيكل محبوك بإتقان مكوَّن من شبكة أعمدة وعوارض من الصلب الخفيف ، وكانت فجوات الهيكل مختلفة الاتساع وسُدّت بعضها بالصخور الطبيعية ، وبعضها الآخر غُطي بالزجاج أو بستائر من القماش .

وكان هذا المنزل يجعلك تشعر أنه منزل رجل مشغولٍ داخله بشكل غريب جدًا .

استقبلني الخادم بأدب وأخبرني أن فرانك لم يأتي للمنزل بعد . لكنه يمكن أن يأتي في أية لحظة وقد أمر أن أُستقبل بحفاوة وأن يهيأ لي ما يجعلني سعيدًا ومرتاحًا . وأنه علي أن أبقى للعشاء وأن أبيت الليلة هنا ، والخادم الذي قدم نفسه لي باسم ستانلي كان أول شخص من أهالي سان لورنزو أراه ممتلئ الجسم .

قادني ستانلي إلى غرفتي ، قادني عبر قلب المنزل . . أسفل ، عبر الدرج الحجري والذي كان درجًا مدعمًا بإطارات معدنية مثلثة هنا وهناك . كان السرير فراشًا مطاطيًا على مصطبة حجرية ، وكانت

جدران الغرفة ستائر قماشية . وعلمني ستانلي كيف أسحبهم لأعلى أو لأسفل . . .

سألت ستانلي ما إذا كان هناك أي أحد آخر في المنزل ، وأخبرني أن هناك نيوت فقط ، ونيوت كما أخبرني كان في الخارج ، على الشرفة الممتدة يرسم لوحة . . أما أنجيلا فخرجت لتفحص منزل الأمل والرحمة في الغابة . وهكذا صعدت إلى تلك القطعة المعمارية النشاز الممتدة عبر الشلال ووجدت نيوت الصغير نائما على كرسي أصفر اللون .

اللوحة التي كان يعمل عليها نيوت كانت على حامل لوحات قرب الدرابزين الألمنيوم وكانت تصور الرؤية الضبابية للسماء والبحر والوادي .

كانت لوحة نيوت صغيرة وسوداء ومليئة بالنتوءات . وكانت مكونة من خربشات مرسومة بالأسود كثيفة وناتئة ، وكانت الخربشات تشكل ما يشبه شبكة عنكوب . . وتساءلتُ ما إذا كانت هذه هي ربما الخيوط اللزجة للحياة الإنسانية العبثية ، عُلّقت في ليلة ليلاء ، بلا قمر ، كي تجف .

لم أوقظ هذا القزم الذي رسم هذا الشيء المرعب . . دخنّت وطفقتُ أستمع إلى أصوات أتخيلها تتخلل صوت خرير المياه . وكان ما أيقظ الصغير نيوت هو صوت انفجار ما في مكان هناك في الأسفل . تلّقى الوادي صدى ذلك الصوت وأرجعه إلى السماء ،كان مصدر الصوت هو مدفعية منصوبة على الواجهة البحرية الأمامية لبوليفار ، هذا ما أخبرني به كبير خدم بيت فرانك لاحقًا . كان المدفع يُطلق دومًا على الساعة الخامسة .

تحرك الصغير نيوت .

وبينما لا يزال نصف نائم ،وضع يداه السوداوان الملطختان بمواد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الرسم على فمه وذقنه تاركا بعض العلامات السوداء هناك ، ثم فرك عينيه تاركا لطخات سوداء حولها أيضا . .

- مرحبًا . قال لي وهو يغالب النعاس .
- مرحبًا . . لقد أعجبتني لوحتك .
- هل عرفت ما هي؟
- أعتقد أنها تحمل معنى مختلف لكل من يراها .
- إنها لعبة مهد القطة .
- آها .
- هذا ممتاز إذن ، فالخربشات كانت تمثل خيوط ، صح؟
- هذه إحدى أقدم الألعاب على الإطلاق . . حتى الإسكيمو يعرفونها .
- هذا مدهش حقا .
- منذ ما يقرب من مئة ألف سنة تقريبا ، كان البشر البالغون يلوحون بخيوط هذه اللعبة أمام صغارهم .
- اممم .

كان نيوت لا يزال متكورًا فوق الكرسي ويشير بيديه وكأن خيوط لعبة مهد القطة بين أصابعه .

- لا عجب أن الأطفال يصبحون مجانين لاحقًا . . فلعبة مهد القطة هي مجرد خيوط متقاطعة بشكل X بين يدي أحدهم ، الأطفال الصغار ينظرون وينظرون وينظرون لكل هذه الخيوط المتقاطعة . .
- ثم؟
- لا توجد هناك أية قطة لعينة ، ولا يوجد هناك أي مهد!

٧٥ بلغ تحياتي لألبرت شفايتزر

ثم أتت أنجيلا هوينيكر كونرز . . شقيقة نيوت الطويلة النحيفة ، أتت مع جوليان كاستل والد فيليب ومؤسس بيت الأمل والرحمة في الغابة . كان كاستل يرتدي بذلة واسعة بيضاء وربطة عنق مُحكَمة العقد ، كان له شارب صغير وكان أصلعًا ونحيلاً ، كان قديسًا . . على ما أعتقد .

قدم نفسه لنيوت على الشرفة وأبعد كافة الظنون حول كونه قديساً بطريقة كلامه من جانب فمه مثلما يفعل مجرمو أفلام العصابات .

«أفهم من كلامك أنك أحد أتباع ألبرت شفايتزر» قلت له .

«من على بُعد . .» ونخر مثلما يفعل المجرمون . . «لم ألتق بذلك السيد»

«هو- ولا بد- يعرف أعمالك تمامًا كما تعرف أنت عنه»

- ربما وربما لا . . هل سبق وأن التقيته؟ .

- لا .

- هل تتوقع أن تراه في أحد الأيام؟

- ربما يومًا ما .

- حسنا . قال جوليان كاستل ، وتابع «وفي حال التقيت بالدكتور شفارتز في إحدى رحلاتك . . يمكن أن تخبره أني لا أعتبره قدوتي» وأشعل سيجارًا كبيرًا .

ولما اشتعل السيجار جيدًا أشار بطرفه الأحمر المشتعل نحوي «يمكنك أن تخبره أنني لا أعتبره قدوةً لي» قال لي وواصل «لكن يمكنك أن تخبره أيضًا أنني أشكره ، بحق يسوع المسيح . . .»

«أعتقد أنه سيسر بسماع هذا»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- لا أهتم ما إذا كان سيسعده ذلك أم لا . . فهذا أمر بيني وبين يسوع .

٧٦. جوليان كاستل يتفق مع نيوت أن كل شيء بلا معنى

تقدمت أنجيلا وجوليان كاستل كي يريا لوحة نيوت . شكل كاستل بأصابعه دائرة ونظر من خلالها .

- ما الذي تراه في هذه اللوحة؟ سألتُه .
- إنها سوداء . . ما هي بحق الجحيم؟
- إنها تعني كل معنى تراه فيها . قال نيوت .
- إذن فهي الجحيم . قال كاستل .
- لقد قلتَ منذ قليل فقط أنها تمثل لعبة مهد القطة . قلتُ لنيوت

«الثقافة الخاصة[٩] دوما مهمة»

«لا أعتقد أنها جيدة فعلا . .» اشتكت أنجيلا «أعتقد أنها لوحة سيئة ، لكني لا أعرف أي شيء عن الفن الحديث ، وأحيانًا أتمنى لو كان نيوت قد أخذ بعض الدروس ، وهكذا يتمكن من معرفة -على وجه اليقين -ما إذا كان يقوم بأمر مُجد أم لا»

سأل جوليان كاستل نيوت : هل أنت عصامي التعلم؟

- أليس الجميع كذلك؟ استفسر نيوت .

«إجابة ممتازة منك» قال كاستل باحترام .

---

(٩) الثقافة الخاصة : في مقابل الثقافة العامة ، وهي عبارة في اللغة الانجليزية تطلق على تلك المعلومات والمعارف التي لا تتاح بشكل عام إنما يعرفها الشخص عندما يكون عضوا في منظمة ما أو شركة أو هيئة بشكل مقرب بحيث يعرف معلومات مهمة لكونه عضوا فيها . (المترجم) .

أما أنا فأخذت على نفسي أن أشرح المغزى الأعمق من لعبة مهد القطة بما أن نيوت بدا أنه يميل إلى هذا الأمر أيضا .

أومأ كاستل بشكل يوحي بالتأمل «إذن فهذه اللوحة تعبر عن لا معنى كل الأشياء . . أوافق تمامًا على هذا . .»

– هل أنت موافق فعلاً على هذا؟ سألتُه «لأنه منذ قليل فقط قلت شيئا عن يسوع» .

– من؟ قال كاستل .

– يسوع المسيح؟

– «أوه» . . قال كاستل «هو . .» وهز رأسه نافيًا «على الناس أن تتحدث عن شيء ما لتحافظ على صحة حبالها الصوتية . . فالحبال الصوتية ستكون في حالة جيدة إذا ما وجد هناك شيء يحمل معنىً حقًا لنقوله» .

– فهمت . .

أنا أعلم أنه لن يكون من السهل أن أكتب عنه مقالاً جيدًا ، كنت سأركز في الكتابة عنه على أفعاله الخيّرة وأتجاهل كليًا هذه الأمور الشيطانية التي يفكر بها أو يقولها .

– يمكنك أن تأخذ هذا الاقتباس مني . . قال «الإنسان تافه ، ولم يفعل أي شيء يستحق فعله . ولا يعرف أي شيء يستحق أن يعرفه»

وانحنى إلى الأمام وصافح يد نيوت الملطخة «صح؟»

أومأ نيوت موافقًا يعتريه بعض الشك أن القضية مبالغ فيها نوعا ما . «صحيح .»

ثم مشى القديس إلى لوحة نيوت وأخذها من على الحامل . وقال لنا جميعًا : «مجرد قمامة . . مثل أي شيء آخر»

ورمى اللوحة من على الشرفة الناتئة ، سارت اللوحة مع تيار

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الماء أول الأمـر ثم اضطربت وارتدت إلى الوراء ثم تمزقت إلى قطع خلال الشلال . .

لم يكن هناك أي شيء ليقوله نيوت .

ثم تكلمت أنجيلا أولاً . . «لقد لوّنت وجهك كله يا عزيزي . . انهض واغسله»

٧٧. أسبرين وبوكو-مارو

- قل لي يا دكتور .

تحدثت إلى جوليان كاستل «من هو بابا مونزانو؟»

- من أين لي أن أعرف؟

- اعتقدت أنك تقوم بمعالجته .

«لم نكن نتحدث . . .» ابتسم كاستل . . «لم يحدثني . . هذا هو الأمـر . . آخـر شيء قـاله لي كـان من حـوالي ثلاث سنوات مضت ، والشيء الوحيد الذي أنقذني من الإعدام بالشص كان جنسيتي الأمريكية .»

- ما الذي فعلته وجعله يستاء منك هكذا؟ لقد أتيتَ إلى هنا بأموالك الخاصة وأسست مستشفى مجاني لشعبه . .

- «بابا لا يحب الطريقة التي نعالج بها المرضى» . قال كاستل «بالأخص لحظات الاحتضار الأخيرة للمريض . . ففي بيت الأمل والرحـمـة في الغـابة نحن نقـوم بالطقـوس الأخـيـرة للكنيـسـة البوكونونية لمن يريد»

- وكيف تبدو تلك الطقوس؟

- بسيطة للغاية ، تبدأ الطقوس بقراءة الترانيم . . هل تريد أن تفعل ذلك؟

- أنا لا أوشك على الموت الآن . . إذا لم تمانع .

نظر إليّ بطريقة مخيفة «من الحكمة أن تكون حذرًا . . فالناس الذين يقومون بالطقوس الأخيرة يسيرون في طريق موتهم الحتميّ ويموتون في وقتهم المناسب تمامًا ، يمكننا أن نمنع ذلك في حالتك ، في حال لم نتلامس بالأقدام» .

– الأقدام؟

وعندها أخبرني عن الطقس البوكونوني المتعلق بالأقدام .

«هذا يفسر ما رأيته في الفندق» وأخبرته عن الدهانين على مصطبة النافذة .

– هل تعلم . . إنها تعمل فعلا ، والناس الذين يمارسونها يشعرون فعلاً بتحسن من ناحية بعضنا البعض ومن ناحية العالم .

– اه .

– بوكو–مارو .

– ماذا؟

– هذا ما تُسمى به عملية الأرجل هذه . ، قال كاستل «لكنها مجدية حقا وأنا أحب الأشياء التي تعمل . . لا يوجد هناك الكثير من الأشياء تعمل حقا . . هل تعرف هذا؟»

– لا أظن ذلك .

– لم يكن بإمكاني أن أدير هذا المستشفى خاصتي لو لم يكن لديّ الأسبرين والبوكو– مارو .

– لقد عرفت أنه لا يزال هناك العديد من البوكونونيين في الجزيرة ، رغم القوانين ورغم وجود الشص

ثم ضحك وتابع «ألم تدرك هذا بعد؟»

– أدرك ماذا؟

– أن كل شخص في سان لورينزو هو بوكونوني صميم . . حتى بالرغم من عقوبة الإعدام بالشص .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٧٨. حلقة فولاذية

«عندما استولى بوكونون ومك كابي على هذه البلاد البائسة قبل سنوات . .» قال جوليان كاستل «طردوا جميع الكهنة المسيحيين ، من ثم اخترع البوكونون وبطريقة ساخرة وهزلية : دينا جديدا»

- أعلم ذلك قلتُ .

- حسنًا ، وعندما أصبح من الواضح أنه ما من إصلاح حكومي أو اقتصادي سيجعل الناس أقل فقرًا وبؤسًا ، أصبح الدين هو الأداة الحقيقية الوحيدة للأمل . . وأصبحت الحقيقة هي عدو الشعب ، لماذا؟ لأنه وببساطة كانت الحقيقة مرعبة جدًا . . وهكذا جعل بوكونون مهمته أن يقدم للناس الخير والأكاذيب الجميلة .

- وكيف أصبح خارجا عن القانون؟

- كانت هذه فكرته أيضا . طلب من مك كابي أن يجعله خارجًا عن القانون هو ودينه ككل . . وذلك لجعل الحياة الدينية للناس أكثر حيوية وذات تأثير أقوى وكتب شعرًا حول هذا بالمناسبة .

ثم اقتبس كاستل من القصيدة التي لم ترد في أسفار بوكونون :

«وهكذا قلت وداعاً للحكومة
وكان سببي هو :
أنّ الدين الجيد الحقيقي
هو نوع من أنواع الخيانة» .

«كان بوكونون هو من اقترح أيضا الشص كعقوبة مناسبة للبوكونونيين» . تابع كاستل «وكان قد استوحى العقوبة مما رآه في

غرفة الرعب في متحف مدام توسو» وطرفت عيناه بشكل مخيف وتابع «وكان هذا أيضًا من أجل بث الحماس»

– وهل مات العديد من الناس على الشص؟

– ليس في البداية ، ليس في البداية ، في البداية كان الأمر مجرد خدعة . . كانت الشائعات تتداول حول الإعدامات ، ولكن لم يكن أحد يعرف فعلاً شخصًا مات بهذه الطريقة ، وقضى مك كابي وقتا ممتعًا بحق وهو يوجه تهديدات دموية مرعبة ضد البوكونونيين والذين كانوا بالمناسبة جميع الأهالي ، أما بوكونون فاختبأ في وكر مريح في الغابة» ، تابع كاستل كلامه «أين كان يكتب ويبشر طيلة الوقت ويأكل أطايب الطعام الذي يأتي به أتباعه أما مك كابي فنظّم الرجال البطالين والذين كانوا تقريبا كل رجال الجزيرة وحوّلهم إلى صيادي بوكونون محترفين ، وبعد حوالي ست أشهر أعلن مك كابي بانتصار أن البوكونون قد حوصر بحلقة فولاذية والتي كانت تضيق بإحكام شيئا فشيئا حوله . من ثم فإن قادة حملة الحلقة الفولاذية الشرسة هذه قدموا تقريرا إلى مك كابي وهم منزعجون ومستاءون جدًا أن بوكونون قام بالمستحيل» . «لقد فرّ . لقد تبخر . لقد نجا كي يبشر لدينه ليوم آخر . . إنها معجزة!»

٧٩. لماذا أصبحت روح مك كابي قاسية؟

«لم ينجحا بوكونون ومك كابي في تحسين مستوى المعيشة العامّ كما اعتقدا ذلك . .» قال كاستل . . «الحقيقة أن الحياة كانت وعلى الدوام هكذا : قصيرة وقاسية» .

«لكن البوكونون اكتشف أنه ليس من الضروري أن ينتبه الناس إلى هذه الحقيقة الفظيعة . . وبينما أسطورة الرجل الطاغية القاسي في المدينة والرجل اللطيف المقدس في الغابة كانت تنمو باطراد ،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ازدادت سعادة الناس أيضًا . . فبهذا الشكل كان الجميع موظفين بدوام كامل كممثلين في مسرحية يتقنون أدائها ، مسرحية يمكن لأي بشري في أي مكان آخر أن يشاهدها ويفهم ويصفق لها» .

قلت باندهاش «وهكذا أصبحت الحياة عملاً فنيًا؟»

- نعم . . لكن كان هناك مشكل واحد بخصوص هذا .

- أوه؟

- هذه التمثيلية الدرامية كانت تضغط بقسوة على روحي الممثلين الرئيسيين مك كابي وبوكونون . . ولأنهما لا يزالا شابان ، وروحاهما تتكون من ثنائية الشر والخير . . كان كل منهما نصف ملاك ونصف قرصان .

لكن هذه الدراما كانت تتطلب من نصف القرصان الخاص ببوكونون ونصف الملاك في مك كابي أن يذهبا بعيدًا . . دفع مك كابي وبوكونون ثمنا باهظًا على شكل ألم كبير من أجل سعادة الشعب . . مك كابي اختبر ألم أن يكون طاغية قاسٍ أما بوكون فاختبر ألم أن يكون قديسا . . وكلاهما أصبحا ولأسباب منطقية . . مجنونين . .

ولوى كاستل أصبع السبابة من يده اليسرى وقال : ثم بدأ الناس فعلا يموتون بإعدامهم على الشص .

- لكن بوكونون لم يقبض عليه أبدًا ، صح؟ سألته .

- لم يكن مك كابي مجنونًا إلى تلك الدرجة ، وبالتالي فلم يقم أصلاً بجهد حقيقي وجاد للقبض على بوكونون . . لأنه أمر سهل لو أراد ذلك .

- لماذا إذن لم يقبض عليه؟

- كان مك كابي عاقلا بما يكفي ليدرك أنه بدون الرجل المقدس الذي يحارب ضده . . سيصبح هو نفسه أصلاً بلا معنى . .

وبابا مونزانو كان يدرك هذا أيضًا .

– وهل استمر الناس بالموت إعدامًا على الشص؟

– إنه قدرٌ محتّم .

«أقصد . .» قلت له «هل فعلا أعدم بابا الناس بهذه الطريقة؟

– كان يعدم واحدًا كل عامين . . فقط ليبقي الحماس مشتعلاً في هذه القضية . إن جاز التعبير . . ثم طرفت عيناه ونظر إلى سماء الليل . . وقال «معقد ، معقد ، معقد»

– ماذا ، سيدي؟

– هذا ما نقوله نحن البوكونونيون . . عندما نرى أن الكثير من الأمور الغامضة وغير المفهومة تحدث حولنا .

– أنتَ؟ . . قلتُ مستغربًا . . «بوكونوني أيضا؟»

حدّق فيّ مباشرة وقال : «أنت أيضا كذلك . . وسترى بنفسك» .

٨٠. مصافي الشلال.

كنت أنا وجوليان وأنجيلا ونيوت على الشرفة الناتئة ، ولم يظهر أي خبر عن فرانك حتى الآن .

كان نيوت وأنجيلا يشربان كثيرًا فيما يبدو . . وأخبرني كاستل أن أيام استهتاره كلفته كليته ، لهذا فإنه مضطر- للأسف- أن يشرب نبيذ الزنجبيل فقط .

كانت أنجيلا وهي تشرب بعض الكؤوس تشتكي من العالم لأنه ظلم والدها «لقد قدم الكثير لكنهم لم يعطوه إلا القليل»

دفعتها كي تعطيني بعض الأمثلة عن بخل العالم وأن تعطي أرقاما دقيقة إن أمكن .

– «كانت الشركة تعطيه ٤٥ دولار عن كل براءة اختراع يؤدي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إليها عمله» قالت ، «وهو نفس المبلغ الذي يدفعونه لأي أحد آخر في الشركة» . هزت رأسها بحزن «خمس وأربعون دولارًا وفكر فقط ، ماذا كانت بعض براءات الاختراع هذه!»

«ام» . . «كنت أعتقد أن لديه راتبًا أيضًا» .

«الراتب الوحيد الذي كان يجنيه هو ثمانية وعشرون ألف دولار في السنة»

- أعتقد أنه مبلغ جيد جدا .

قالت بغضب شديد : هل تعلم كم يجني نجوم السينما؟

- «الكثير ، أحيانًا»

- «هل تعلم أن الدكتور بريد يجني عشرة آلاف دولار سنويًا أكثر من أبي»

- «هذا بالتأكيد غير عادل بالمرة» .

- «هذا الظلم يُمرضني»

كانت غاضبة جدًا حتى أني غيرت الموضوع ، سألت جوليان كاستل عن مصير تلك اللوحة التي رماها أسفل في الشلال؟

- «هناك قرية صغيرة في الأسفل» . أخبرني «خمس أو عشرة أكواخ . . ويمكنني القول أنها مسقط رأس بابا مونزانو ، وهذا الشلال ينتهي في حوض حجري كبير هناك» .

«القرويون لديهم شبكة صنعت لتكون فتحاتها على شكل سداسي ، تمتد عبر فتحة في الحوض ويعبر الماء من الفتحة إلى جدول»

- ولوحة نيوت الآن في الشبكة . . صح؟ سألتُه

- هذه بلاد فقيرة لو لم تلاحظ هذا بعد ، لا شيء يبقى في الشبكة لمدة طويلة . أعتقد أن لوحة نيوت تجفف في الشمس الآن ، بجانب عقب سيجاري وأربع أقدام مربعة من القماش الدبق ،

أعتقد أنها ستربط وتصنع منها حمّالة للمرضى والمصابين ، هناك بعض المساميـر وسيجار آخـر أيضـا وككل . هو صيـد لا بأس به بالنسبة للفقراء»

– «أحيانا أود لو أصرخ عاليًا» . . . قالت أنجيلا «لمّا أفكر كم يدفعون لبعض الناس مقارنةً بالقليل الذي دفعوه لأبي رغم الكثير الذي قدمه» .

كانت على وشك البكاء .

«لا تبكي» قال لها نيوت بلطف شديد .

«في بعض الأحيان لا يسعني ذلك» قالت .

«اذهبي وأحضري آلة الكلارينت» قال نيوت وتابع «لأنه دائمًا ما يساعدك» .

اعتقدت في البداية أنه كان اقتراحًا ساخرًا . . لكن ردة فعل أنجيلا جعلتني أدرك أنه اقتراح جدي وعملي فعلاً .

– «عندما أشعر بمثل هذا الشعور» . قالت لي ولكاستل . . «فهو الشيء الوحيد الذي يساعدني لتخطيه»

لكنهـا كانت خجولة جدًا كي تأتي بالكلارنيت فورًا . . لهذا رجوناها مرارًا أن تذهب لتأتي به ، وهكذا شربت كأسين آخرين . . بينما قال نيوت «إنها تعزف بشكل رائع فعلا»

«حسنا» قالت أنجيلا أخيرًا بتردد . . «حسنـاً . . . سأفعل» .

ولما ذهبت أنجيـلا . . قـال نيـوت «لقـد مرت بوقت عصـيب . . تحتاج للراحة» .

«هل كانت مريضة؟» سألتُ

– «زوجها أحال حياتها جحيما . .» قال نيوت وتبين لنا أنه يكره زوج أنجيـلا الوسيم الشاب ، الرجل الناجح جـدا : هاريسـون سي كونرز ، مدير شركة فابري تك ، تابع نيوت «كان من النادر أن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يأتي إلى المنزل ولما يعود يكون ثملاً ومغطى بآثار أحمر الشفاه» .

«من طريقة حديثها اعتقدتُ أنه كان زواجًا سعيدًا للغاية» قلت له .

أبعد الصغير نيوت يديه عن بعضهما ست إنشات تقريبًا وباعد بين أصابعه . . «هل ترى القطة؟ ، هل ترى المهد؟»

٨١. عروس بيضاء لابن بولمان بورتر

لم أكن أعرف ما الذي سيأتي من كلارينت أنجيلا . ولا أحد أيضًا كان يعرف ما الذي سيصدر عنه ، كنت أتوقع شيئا مملاً وفظيعا . . لكني لم أتوقع أن يكون بهذا العمق ، والقسوة ، وهذا الجمال الذي لا يطاق من روعة الألم! .

بللت أنجيلا فم الكلارينت وفركته لكنها لم تنفخ النفخة التنبيهية الأولى ، أصبحت عيناها أكثر صفاءً كالبلّور ، أما أصابعها الطويلة والنحيلة فكانت تتحرك بصمت دون الضغط على مفاتيح الكلارينت .

انتظرت بفارغ الصبر . . وأنا أتذكر كلمات مارفن بريد الذي أخبرني أن هروب أنجيلا الوحيد من حياتها القاتمة مع والدها كان إلى غرفتها حيث تغلق الباب على نفسها وتعزف مرافقة تسجيلات الفونوغراف الموسيقية .

كان نيوت قد وضع تسجيلاً طويل المدة في الفونوغراف الكبير الذي كان في الغرفة التي تقابل الشرفة . وعاد مجددًا ليعطيني غلاف التسجيل .

كان التسجيل بعنوان Cat House Piano ، وكان عزف بيانو منفرد لَيْد لُكس لويس ، وبينما كانت أنجيلا تعمّق اندماجها فيما يشبه الغيبوبة ، تاركة لويس يؤدي أول المقاطع دون أن تصاحبه

بالعزف . . قرأتُ بعض ما كتب على الغلاف عن لويس .

«ولد في لويسفيل ولاية كنتاكي العام ١٩٠٥ . لم يكن السيد لويس مهتما بالموسيقى حتى احتفل بعيد ميلاده السادس عشر حيث أهداه والده آلة كمان ، وبعد عام من هذا ، صادف وأن استمع الشاب اليافع لويس إلى جيمي يانسي وهو يعزف على البيانو ، «هذا كان شيئًا حقيقيًا» كما يتذكر لويس . . ومن ذلك الوقت بدأ لويس يعلم نفسه العزف على بيانو الحفلات الراقصة ، مستفيدا أقصى ما يمكن من يانسي العجوز والذي حتى وفاته كان الصديق المقرب والنموذج المثالي للسيد لويس .»

«وبما أن والده كان هو بولمان بورتر . .» واصلتُ القراءة . . «فقد كانت عائلة لويس تعيش بالقرب من السكك الحديدية . . وكان إيقاع القطارات قد أصبح خلفية صوتية طبيعية للشاب اليافع لويس ومن ثم فقد كتب سولو راقص ، وهي قطعة كلاسيكية فريدة من نوعها ، عُرفت فيما بعد باسم «Honky Tonk Train Blues»

رفعت عيني من القراءة لأجد أن المقطع الأول من العزف انتهى وكانت إبرة الفونوغراف الآن تحتكُّ ببطء لتنتقل إلى مسار المقطع الثاني ، وكان المقطع الثاني كما قرأت في الغلاف بعنوان Dragon Blues .

عزف مَيْد لُكس لويس أوائل المقطع الثاني لتنظم إليه أخيرا أنجيلا هوينيكر .

عيناها كانتا مغلقتان .

أما أنا فكنتُ مذهولاً .

كانت رائعة .

كانت ترتجل بعزفها المرافق حول موسيقى ابن بولمان بورتر هذا ، متنقلةً بين اللحن الغنائي المتدفق إلى العزف القوي الماجن ثم إلى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تقلبات صاخبة لطفل مذعور إلى كابوس ادمانيّ مخيف .

كان عزفها المتصل يتحدث عن الجنة والنار وكل ما يوجد بينهما .

وكانت هذه الموسيقى من امرأة كهذه ، لا يمكن إلا أن تكون إما حالة انفصام شخصية أو مسًا شيطانيًا .

اقشعر شعر بدني كما لو أني كنتُ أرى أنجيلا تتلوى على الأرضية ، وفمها يُخرج الزبد وتهذي بلغة غير مفهومة بطلاقة .

وعندما انتهت الموسيقى صرخت على جوليان كاستل الذي كان مذهولاً أيضًا . . «إلهي . . . حياة! ، من يمكنه أن يفهم حتى لحظة واحدة من هذا؟»

قال لي «لا تحاول . . فقط تظاهر أنك تفهم» .

– هذه . . هذه نصيحة جيدة . . وسرتُ وأنا أتمايل .

واقتبس كاستل من قصيدة أخرى :

«خرج النمر للصيد

وحلق الطيرُ في السماء .

وجلس الإنسان يتساءل لماذا ، لماذا ، لماذا؟

ذهب النمر للنوم

وحط الطير على الأرض

وأقنع الإنسان نفسه أنه يفهم .»

– ما هو مصدر هذه القصيدة؟ سألته

– ما الذي يمكن أن يكون مصدرها إن لم يكن أسفار بوكونون؟

– أعتقد أني سأكون سعيدًا بالحصول على نسخة يومًا ما .

– من الصعب الحصول على نسخة . قال كاستل . . «لأنها ليست مطبوعة . . كتبت باليد وبالطبع لا يوجد شيء ما يمثل

النسخة الكاملة . . بما أن البوكونون يضيف أشياء أخرى كل يوم» .

بذكاء قال نيوت الصغير : «إنه دين!»

قال كاستل : عذرا؟

«هل ترى القطة؟» سأله نيوت «هل ترى المهد؟»

Zah-mah-ki-bo .٨٢

لم يظهر اللواء فرانكلين هوينيكر في وقت العشاء بل اتصل هاتفيًا وأصر على أن يتكلم معي أنا لا مع أي أحد آخر .

أخبرني أنه كان يلازم فراش بابا . . لأن بابا كان يحتضر وهو يتألم بشدة ، كان صوت فرانك يبدو خائفًا ووحيدًا .

– اسمع ، قلتُ له «لماذا لا أعود أنا إلى فندقي ونلتقي أنا وأنت لاحقا . . عندما تنتهي هذه الأزمة؟»

– لا ، لا ، لا ابق حيث أنت! أريدك أن تكون هناك كي أصل إليك فورًا عندما أستطيع ذلك! ، كان خائفًا من مغادرتي . وبما أنني لم أدرك بعد سبب اهتمامه بي فقد بدأت أشعر بالذعر أيضًا .

– هل يمكنك أن توضح لي أية فكرة حول ماذا تريد رؤيتي؟ سألته

– ليس عبر الهاتف .

– هل هو شيء عن والدك؟

– إنه أمر حولك أنت .

– هل هو شيء ما **فعلتُه**؟

– هو شيء ما **ستفعله** .

سمعت نقيق دجاجة من حيث كان يكلمني فرانك بالهاتف سمعتُ باباً يفتح . وعزفًا لأكسليفون يأتي من إحدى الغرف . كانت المقطوعة مجددًا هي «When Day Is Done» من ثم أُغلق

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الباب . . ولم أتمكن من سماع الموسيقى بعد ذلك .

– سأقدِّر لك هذا جدًا لو أعطيتني ولو تلميحًا صغيرًا حول ما تتوقع مني أني سأفعله وهكذا سأستعد على الأقل للأمر .

– زاه ماه كي بو .

– ماذا؟

– إنها كلمة بوكونونية .

– أنا لا أفهم البوكونونية .

– هل جوليان كاستل هناك؟

– نعم .

– اسأله . قال فرانك «عليّ الذهاب الآن « . ومن ثم قفل الخط . وهكذا سألت جوليان كاستل عما تعني «زاه ماه كي بو»

«هل تريد إجابة بسيطة أم كاملة؟»

«دعنا نبدأ بالإجابة البسيطة»

«قضاءٌ وقدرٌ لا مفر منه»

٨٣. الدكتور شليتشر فون كوينجزفالد يقترب من نقطة التعادل

«إنه السرطان «قال لي جوليان على العشاء لما أخبرته أن بابا يحتضر وهو يتألم بشدة .

«سرطان ماذا؟»

«سرطان كل شيء . لقد قلتَ أنه انهار في باحة الاستقبال اليوم ، صح؟»

– هذا صحيح . قالت أنجيلا .

«كان هذا بسبب مضاعفات الأدوية» . . صرح كاستل «وهو الآن في مرحلة حيث الدواء والألم وصلا لنقطة التعادل ، المزيد من

الأدوية ستقتله» .

«كنت لأقتل نفسي . . أعتقد . .» قال نيوت وهو يجلس على كرسي مرتفع قابل للطي كان قد أخذه معه خلال رحلة الزيارة هذه . . كان مصنوعًا من أنابيب الألمنيوم ومغلفا بالقماش الكتاني «هو أفضل من الجلوس على قاموس أو أطلس أو على دليل الهاتف . .» قال نيوت وهو يرتقي الكرسي .

«وهذا ما فعله العريف مك كابي بالطبع . .» قال كاستل . «كان قد عيّن قيم المنزل كخليفة له في منصبه ثم أطلق على نفسه النار» .

- بسبب السرطان أيضًا؟ سألت .

«لست متأكدًا . . لكني لا أعتقد ذلك . . أعتقد أن ضميره تغلب عليه في النهاية . . وحدث هذا كله قبل أن آتي أنا إلى هنا . .»

- هذه بالتأكيد أحاديث ممتعة . . قالت أنجيلا .

- أعتقد أن الجميع يوافق على أن هذه الأوقات أوقات ممتعة وسعيدة . قال كاستل .

«حسنا» قلت له . «أعتقد أن لديك أكثر من سبب كي تكون أسعدنا الآن بما أنك تفعل ما تريده في حياتك» .

- امتلكت في أحد الأيام يختًا أنا أيضًا ، هل تعرف هذا؟

- لم أكن أتتبع أخبارك .

- امتلاك يخت هو سبب كافٍ كي تكون أكثر سعادة من الآخرين أيضا . .

- بما أنك لست طبيب بابا . . من هو طبيبهُ إذن؟

- إنه واحد من طاقمي . الدكتور شليتشر فون كوينجزفالد .

- ألماني؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- بشكل ما نعم . . كان ينتمي إلى قوات الـ SS[١٠] لمدة أربعة عشر عامًا وكان طبيب معسكر اوشفيتز لستِّ سنوات منها .

- والآن هو يكفر عن ذنبه في بيت الأمل والرحمة؟

- «نعم» قال كاستل . «وهو يبلي حسنا حقاً . . وينقذ الأرواح هنا وهناك»

- «هذا جميل منه»

- «نعم ، ولو استمر بهذا المعدل الذي يعمل به ليلاً ونهارًا ، فإن عدد الناس الذين سينقذهم سيساوي العدد الذي تسبب بمقتلهم بحلول العام ٣٠١٠»

وهكذا كان هناك عضو آخر في كاراسي . . : الدكتور شليتشر فون كوينجزفالد .

٨٤. انقطاع الكهرباء.

مرت ثلاث ساعات بعد العشاء وفرانك لم يعد بعد إلى المنزل . استأذن جوليان كاستل وعاد إلى بيت الأمل والرحمة في الغابة ، أما أنا وأنجيلا ونيوت فقد جلسنا في الشرفة الناتئة تلك حيث كانت أضواء بوليفار تشع بودّ هنالك في الأسفل وكان هناك صليب كبير مضيء أعلى قمة المبنى الإداري لمطار مونزانو ، وكان الصليب يدور ببطء عبر محرك كأنه بوصلة للتقوى والتدين المسيحي .

وكانت هناك أيضا أماكن أخرى مضيئة في الجزيرة ، شمالنا تماما ، لكن الجبال كانت تمنع رؤيتنا لها مباشرة ، لكن كان في

---

(١٠) وحدات إس إس (أو شوتزشتافل DeSchutzstaffel) منظمة تابعة للحزب النازي الألماني أُنشئت سنة ١٩٢٥ وكُلفت بمهمة حماية أدولف هتلر . (المترجم) .

مقدورنا رؤية هالات أضوائها على السماء ، سألت ستانلي . . قيم منزل فرانك هوينيكر أن يخبرني عن مصدر هذه الهالات الضوئية؟

أشار إليها وبترتيب عكس عقارب الساعة «بيت الأمل والرحمة في الغابة وقصر بابا وقلعة يسوع»

- قلعة يسوع؟

- المعسكر التدريبي لجنودنا .

- وهل سمي على اسم يسوع المسيح؟

- بالطبع . . لما لا؟

ثم رأينا هالة من الضوء تكبر بسرعة وهي تتقدم ناحية الشمال . . وقبل أن أتمكن من السؤال عنها ظهرت الأضواء الأمامية على قمم التلال ، وكانت هذه الأضواء تتجه نحونا . . كانت أضواء موكب ما .

كان الموكب مكونًا من خمس شاحنات عسكرية أمريكية الصنع ، فوقها رشاشات مدفعية آلية . توقف الموكب على طريق منزل فرانك . . ونزل الجنود دفعة واحدة وبدأوا يعملون على الأرض ، يحفرون أخاديد لتشكيل مصدات حماية ، ذهبت أنا وقيم المنزل لأسأل الضابط المسئول عما يجري .

- مهمتنا أن نحمي الرئيس القادم لسان لورنزو . قال الضابط بلهجة أهل الجزيرة .

- لكنه ليس هنا الآن . قلت له .

- لا أعرف أين هو الآن . أوامري تقول أن أحفر هنا . هذا كل ما أعرفه .

. أخبرت أنجيلا ونيوت عن الأمر

- هل تعتقد أن هناك أي خطر حقيقي . . سألتني أنجيلا

- أنا غريب هنا أيضًا . قلت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وفي تلك اللحظة انقطع التيار الكهربائي وبالتالي انطفأ كل ضوء في سان لورينزو .

٨٥. حزمة من الفوما

جلب لنا خدم فرانك مصابيح الغازولين وهم يخبروننا أن انقطاعات الكهرباء شيء معتاد في سان لورينزو . لهذا ينبغي أن لا نقلق أو ننزعج من حدوث شيء ما ، أما أنا فقد وجدت أنه من الصعب ألا أقلق فمهما يكن ومنذ حديث فرانك عن زاه ماه كي بو الخاصة بي ، جعلني أشعر كما لو أن إرادتي الحرة لا تزيد عن الإرادة الحرة لخنزير صغير وصل للتو إلى حظائر شيكاغو .

تذكرت مجددا التمثال الحجري في ايليوم . واستمعت إلى ضجيج الجنود في الخارج وهم يحفرون ويتذمرون ويغمغمون .

لم أتمكن من التركيز على المحادثة التي كانت تدور بين أنجيلا ونيوت ويبدو أنهما كانا يتحدثان عن موضوع مهم ، أخبروني أن والدهم كان لديه توأم مطابق لكنهم لم يلتقوا به قط . . كان اسمه رودولف ، وآخر شيء سمعوه عنه كان أنه قد أصبح مالك مصنع صناديق موسيقية في زوريخ بسويسرا .

قالت أنجيلا : نادرًا ما كان أبي يذكره .

بينما أوضح نيوت «أبي كان نادرًا ما يذكر أي أحد أصلا» .

كان هناك أخت لأبيهم العجوز أيضًا . . أخبروني عنها . . كان اسمها سيليا وكانت تربي كلبًا عملاقًا من نوع شناوزر في مدينة شاتر ايزلاند بنيويورك .

قالت أنجيلا : كانت دوما ما ترسل بطاقة معايدة لرأس السنة .

– مع صورة لكلب شناوزر عملاق على البطاقة ، قال الصغير نيوت .

– من المضحك فعلاً كيف يتغير مختلف الأشخاص في عائلات مختلفة . قالت أنجيلا

وافقتها قائلاً : «هذا صحيح للغاية وكلام جميل .» ومن ثم استأذنت بالانصراف من هذه الرفقة المتألقة ، وسألتُ ستانلي ، قيم المنزل إذا ما كانت هناك أية نسخة من أسفار بوكونون هنا في المنزل .

تظاهر ستانلي أنه لا يعرف عما أتحدث ، ثم قال متذمرًا أن أسفار بوكونون هي كتب قذرة وأصر أن أي أحد يقرأها يجب أن يُعدم على الشص .

من ثَم أعطاني نسخة جلبها من على طاولة سرير فرانك .

كان كتابا ثقيلاً من حجم القواميس الكبيرة المفصّلة . . وكان مكتوبًا بخط اليد . حملته بمشقة إلى غرفة نومي . إلى سرير المطاط على المصطبة الحجرية .

لم يكن هناك أي فهارس له ، لهذا فإن بحثي عن الفقرات التي تتكلم عن زاه ماه كي بو كان صعبًا جدًا . وكان بحثًا عقيمًا في هذه الليلة . لكني تعلمت الكثير من الأشياء والقليل منها فقط كان مفيدًا . . قرأت عن نشأة الكون حسب المنظور البوكونوني . . كمثال :

«**أحاطت بوراسيسي** ، التي هي الشمس ، **أحاطت البابو** ، الذي هو القمر بين ذراعيها ، وتمنت أن تحمل البابو لها طفلاً شمسيًا متوهجًا ، لكن بابو المسكينة ولدت أولادًا باردين لا يُحرقون فقام البوراسيسي برميهم بعيدًا باشمئزاز . وكانت هذه هي الكواكب التي كانت تدور حول والدها الرهيب على مسافة آمنة .

ثم إن حتى بابو المسكينة نفسها رُميت بعيدًا ، وهكذا ذهبت لتعيش برفقة ابنها المفضل . . الذي كان الأرض . . وكان الأرض

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هو المفضل لبابو لأنه كان يحوي بشرًا يعيشون فيه . وكان البشر ينظرون إلى أعلى لبابو ويحبونها ويتعاطفون معها»

والآن كيف علق بوكونون على فكرته عن نشأة الكون؟ .

«فوما! أكاذيب! . .» كَتَبَ بوكونون «حزمة من الأكاذيب!»

٨٦. قِنينتين صغيرتين

من الصعب أن أصدق أني نمت أصلا . . لكن أعتقد أنه يجب علي التصديق بذلك وإلا فكيف وجدت نفسي مستيقظًا بسبب أصوات سلسلة من الانفجارات وسيل من الأضواء؟

نهضت من سريري عند أول انفجار سمعته وعبرت بسرعة إلى بهو المنزل في نشوة بلهاء لإطفائي متطوع .

وجدت نفسي أندفع بتهور نحو أنجيلا ونيوت . والذين كانا قد قفزا للتو من سريريهما . .

توقفنا للحظة ونحن نرهف السمع للأصوات المرعبة من حولنا ، هذا صوت قادم من الراديو ، آخر من غسالة الصحون ، صوت من المضخة . . كانت قد عادت ضوضاء الحياة لهذه الأشياء بعودة الكهرباء .

ثلاثتنا كنا مستيقظين كفاية لندرك كم كانت حالتنا مضحكة هكذا . . لأننا تصرفنا بطريقة بشرية غريبة إزاء وضع ظنناه مصيريًا لكنه لم يكن كذلك ، وكي أثبت أني حر الإرادة ضد هذا القدر الوهمي . . أغلقتُ الراديو .

غرقنا في الضحك . . .

ولمداراة حرجنا أمام بعض . . ولإظهار كم هي مضحكة الطبيعة البشرية . . تنافسنا في إظهار حس الدعابة الذي نتمتع به . . وكان نيوت أسرعنا . . لأنه أشار إلى جواز سفري ومحفظتي

وساعة اليد التي كنت أحملها في يدي . . لم تكن لدي أية فكرة أنني كنت أحمل معي أي شيء في مواجهة الموت . .

رددت عليهما وأنا مبتهج بسؤال لماذا يحمل كلاهما ترمسًا صغيرًا ذو لون أحمر ورمادي؟ ، كل ترمس كان بحجمٍ يسع ثلاثة أكواب من القهوة تقريبا .

كانا أيضًا مذهولين لأنهما عرفا أنهما يحملان ترمسين معهما . وصُدِما بوجودهما بين أيديهما .

تملصا من تقديمهما تفسيرًا لسماعنا عدة تفجيرات أخرى في الخارج . . واتجهتُ لأعثر عن سبب هذه التفجيرات فورًا . . وبنفس هلعي غير المبرر والمذهول . . ذهبت لأجد فرانك هوينيكر خارجا يحاول إصلاح مولدات كهربائية كانت على أحد الشاحنات .

كان المولد الكهربائي هو مصدر الكهرباء الجديد ، ومولد الكهرباء الذي يعمل بالغازولين كان يشتعل ويدخن . . وكان فرانك يحاول إصلاحه . كانت برفقته الكائنة السماوية مونا . كانت تشاهده وكعادتها دائما بسحنة ملؤها حزن غامض .

«يا فتى . . لدي بعض الأخبار من أجلك .» صرخ علي من بعيد . . وقاد في اتجاه طريق العودة إلى المنزل .

كانت أنجيلا ونيوت لا يزالان في غرفة المعيشة . . لكن وبطريقة ما وفي مكان ما نجحا في إخفاء الترمسين اللذان كانا معهما .

أما محتويات تلك الأوعية فبالطبع كانت جزءاً من إرث الدكتور فيلكس هوينيكر . . الإرث الذي يمثل الوامبتر الخاص بكارّاسي ، كانت المحتويات هي شرائح من مادة الجليد-٩ .

أخذني فرانك جانبًا . . «هل أنت مستيقظ تمامًا؟»

- مستيقظ كما لم أكن من قبل .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- آمل فعلا أنك مستيقظ تمامًا لأننا سنتكلم حالاً .
- تفضل ابدأ بالكلام .
- دعينا لوحدنا الآن . . قال فرانك لمونا «سنستدعيكِ عندما نحتاجك» .

نظرتُ إلى مونا بهيام . . وفكرت أني لم أرد أي أحد من قبل كما أريدها هي الآن .

٨٧. طريقتي في التفكير

أما بخصوص هذا الفرانكلين هوينيكر ذو الوجه الطفولي المسطح ، والذي يتكلم بنغمة لعينة تشبه المزمار ، سمعته يتحدث في الجيش كذا وكذا ، كان رجل ثرثارًا ، كان هذا هو اللواء هوينيكر . . ولم يكن المسكين فرانك يملك بالكاد أي مهارة في التحدث لأي أحد بعد أن قضى طفولته كمخبر سري X-9 .

والآن ، وهو يأمل أن يكون كلامه وديًا ومقنعًا . . قال لي أشياءً مضحكة . . أشياء قالها بلغة سوقية مثل : «أحب الطريقة التي تمضي فيها!» و«أريد أن أتحدث دون مقدمات . . رجلاً لرجل!»

ثم أخذني أسفل إلى ما سماه «الوَكر» كي نتمكن من الحديث «عن الأشياء بأسمائها الحقيقية ونضع النقاط على الحروف . .»!

وهكذا نزلنا إلى الأسفل قاطعين منحدرًا صخريًا يفضي إلى كهف طبيعي تحت الشلال . كانت هناك طاولتي رسم هناك . وثلاثة كراسي اسكندنافية قديمة وشاحبة اللون .كانت هناك أيضًا خزانة كتب تحتوي كتبا في الهندسة المعمارية ، كتب بالألمانية والفرنسية والفنلندية والإيطالية والإنجليزية ، كان الكهف مضاءً بمصابيح تعمل بالكهرباء ، وكانت الأضواء تومض متقطعة بالتزامن

مع لُهاث المولد الكهربائي . .

أما الشيء المثير للاهتمام في الكهف فكانت اللوحات المرسومة على الجدران . . كانت مرسومة بصبيانية كرسومات الأطفال ، ورُسمت بالطين والتراب وألوان الفحم النباتي تماما كرجال الكهوف الأوائل . . لم أسأل فرانك عن عمر رسومات الكهف هذه . كنت أستطيع أن أعرف تاريخهم من خلال موضوع الرسومات فقط . لم تكن اللوحات رسومات للماموث أو النمر سيفيّ الأنياب أو دببة كهوف شبقة .

كانت اللوحات هنا تمثل وبشكل متكرر لا نهائي بورتوريهات مختلفة لمونا آمونس مونزانو عندما كانت طفلة صغيرة .

«هل . . هل هذا هو المكان الذي كان يعمل فيه والد مونا؟» سألته

«هذا صحيح . وهو نفسه الفنلندي الذي صمم بيت الأمل والرحمة في الغابة» .

- أعلم .

- لم آتي بك هنا كي نتحدث عن هذا الموضوع .

- هل هو أمر يتعلق بوالدك؟

- إنه أمر يتعلق بك ، قال فرانك وهو يضع يده على كتفي وينظر في عيني . كان مظهره مرعبًا . . كان فرانك يريد أن يوحي لي بالود والصداقة . . لكن رأسه بدا لي كأنه بومة صغيرة غريبة أعماها الضوء تجثم فوق عمود كهرباء أبيض طويل .

- ربما من المستحسن أن ندخل صلب الموضوع الآن .

تابع فرانك التحدث بلهجة سوقية : «لا فائدة طبعًا من اللف والدوران حول الموضوع . . وأنا لدي حدس صحيح عادة على شخصيات الناس . . وسأخبرك أن طريقة تفكيرك تعجبني» .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- شكرًا لك .
- أشكرك أنت وأعتقد أننا قد أصبحنا صديقين بهذه السرعة .
- ليس لدي شك في هذا .
- لدينا العديد من الأشياء التي تربطنا .

شعرت بالامتنان والراحة عندما رفع اللواء يده من على كتفي . ثم شبك أصابعه كمسننات تعشيق محرك . أحد يديه كانت تمثله -هكذا خمّنتُ- والأخرى كانت تمثلني . .

- نحن نحتاج بعضنا البعض . . ولوى أصابعه كي يريني كيف تعمل مسننات التعشيق تلك .

صمتّ لفترة لكني كنت أظهر له ودي بلطف .

«هل فهمت ما أقصده؟» سألني فرانك أخيرًا .

قلت له : «أنا وأنت . . سنقوم بشيء ما . . معاً؟»

«هذا صحيح!» صفق فرانك بيديه . «ستكون أنت رجل العلن . . ستقابل الناس علانية أما أنا فرجل التكنيك ، وسأعمل خلف الأضواء . . أسهر على سير الأمور قدما» .

- كيف بإمكانك أن تعرف أي نوع من الأشخاص أكونه؟ لقد تقابلنا للتو» .

- «ثيابك . . وطريقتك في الحديث . .» ووضع يده على كتفي مجددًا .

«تعجبني طريقتك في التفكير!» قالها بلهجة سوقيّة .

- إذن ماذا تقول؟ . . كان فرانك متوترا منتظرا أن أكمل أفكاره ، كي أرد عليه بحماس . . لكني لم أكن كذلك . .

- هل . . . هل أفهم أنك تعرض . . تعرض علي نوعا من العمل هنا؟ . . عملا في سان لورنزو؟

صفّق مجددا . . كان مسرورا . . «هذا صحيح! ، ماذا تقول في

مئة ألف دولار سنويا؟»

«إلهي الرحيم!» صرخت . «ما الذي سأقوم به؟»

«عمليًا : لا شيء ، وستقوم بشرب النبيذ في أقداح ذهبية كل ليلة وتأكل في صحون ذهبية وتمتلك قصرًا كاملاً لك»

– ما هو العمل؟

– رئيس جمهورية سان لورينزو .

٨٨. لماذا لا يستطيع فرانك أن يكون رئيسًا

– أنا؟ رئيس؟ قلتُ مندهشًا .

– من هناك غيرك؟

– مجنون!

– لا تقل «لا» حتى تفكر حول الموضوع . قال لي فرانك بقلق .

– لا!

– أنت لم تفكر حتى بالموضوع .

– يكفي أن أعرف أنها فكرة مجنونة .

شبك فرانك أصابعه مجددًا . . «سنعمل معًا . . سأدعمك وأكون معك طيلة الوقت»

– حسنًا ، وعندما أوتى من على المنصة ستأتي لتنقذني . . صح؟»

– تؤتى؟

– «إطلاق نار! أُغتال!»

– اندهش فرانك . . «لماذا سيغتالك أي أحد هنا؟»

– «لأنه يريد أن يصبح هو الرئيس»

هز فرانك رأسه وقال «لا أحد في سان لورينزو يريد أن يصبح

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الرئيس» . قال وهو يعدني . . «لأنه ضد معتقداتهم الدينية»

«هل هو ضد معتقداتك أنت أيضًا؟ كنت أظن أنك ستكون الرئيس القادم؟»

«أنا . . .» وكانت التكملة صعبة عليه . . وأصبح لونه شاحبًا

– أنت ماذا؟ سألته

التفت مستقبلا شلال الماء الذي يغطي مدخل الكهف .

«النضج . . كما أفهمه هو . . أن تعرف ما هي حدود قدراتك» .

لم يكن بعيدا عن التعريف البوكونوني للنضج . بوكونون أخبرنا . «هو خيبة الأمل المريرة التي لا علاج لها . . حتى يأتي الضحك ويعالج كل شيء» .

«أعلم جيدا أني وصلت إلى حدود قدراتي» . أكمل فرانك «وهي نفس الحدود التي كانت لوالدي» .

– أوه؟

«لقد كانت لدي العديد من الأفكار الجيدة . . بنفس الطريقة التي كانت لأبي» . قال لي فرانك وكأنه يقولها لي وللشلال .

«لكنه لم يكن جيدا في الحديث علنيا أمام الناس . . ولا أنا أيضًا»

٨٩. دَاقِل

– هل ستأخذ هذا العمل؟ سألني فرانك بتلهف .

– لا . . قلت له .

– هل تعرف أي شخص ربما يريد هذا العمل؟ كان فرانك يقولها لي بطريقة تقليدية لما يسميه البوكونون دَاقِل وهذا الأخير في المعنى البوكونوني هو حالة تصف أن يكون قَدَرُ ألوف مؤلفة من الأشخاص بين يدي ستاپا والتي تعني : طفل أخرق .

ضحكت . .

- «هل قلتُ ما يضحك؟»

- لا تلقي بالا عندما أضحك . . رجوته . . «أنا غريب الأطوار فعلاً في هذا الأمر» .

- هل كنت تضحك علي؟ هز رأسه .

- لا .

- كلمة شرف؟

-- كلمة شرف .

- لأن الناس اعتادوا أن يجعلوني مسخرة طيلة الوقت ، لك أن تتصور هذا . . لقد اعتادوا أن يصرخوا في وجهي . . لم أكن أتصور هذا . .

- أحيانًا يكون الناس مزعجين دون أن يقصدوا هذا . قلتُ له . لكنني لم أعطه طبعًا كلمة شرف بخصوص هذا الأمر .

- هل تعرف بماذا كانوا ينادونني؟

- لا .

كان ينادونني عادة «هاي . . x-9 إلى أين أنت ذاهب؟»

- لا يبدو هذا سيئـًا جدًا .

- هذا ما كانوا ينادونني به عادة . قال وهو يتذكر وملامح الحزن تعلو وجهه . «العميل السري x-9»

لم أخبره أني أعلم هذا من قبل .

- «إلى أين أنت ذاهب x-9؟» كرّر فرانك مجددًا .

يمكنني أن أتصور كيف كانت هذه المقولات المهينة تقع على نفسيته ، ويمكنني أن أتصور كيف أن القدر كان يدفعها ويقوم بدحضها . . أما السخفاء الذي كانوا يستهزئون بفرانك ، فبالتأكيد هم الآن في مناصب جيدة في الشركة العامة للتعدين والسباكة أو

https://telegram.me/maktabatbaghdad

في محطة الكهرباء في ايليوم أو في شركة اتصالات ما . .

وهنا الآن ، يا إلهي ، الأمر الذي يصعب تصوره هو أن هذا العميل السري x-9 يعرض عليّ الآن أن يجعلني ملكاً . . .وأين قدم عرضه؟ في كهف كان مدخله مغطى بستارة من مياه شلال استوائي .

«كانوا سيفاجئون حتما لو توقفت وأخبرتهم إلى أين أنا ذاهب»

«هل تعني أنه كان لديك حدس داخلي أن الأمور ستنتهي هنا؟» كان سؤالاً بوكونونيّ النبرة .

«كنت ذاهبا لمتجر جاك هوبي» . قال بلا أية ذرة ندم أو خيبة أمل .

– أوه .

– الجميع كان يعرف أني ذاهب هناك ، لكن ما لا يعرفونه حقا ، هو ما الذي يحدث هناك . كانوا ليندهشوا فعلاً (بالأخص الفتيات) إذا ما عرفوا ما الذي يجري **بالفعل** هناك ، النساء لا يعرفن أنني كنت أعرف كل شيء عنهن» .

– وما الذي كان يجري حقاً هناك؟

– لقد كنت أضاجع زوجة جاك كل يوم ، لهذا السبب كنت أنام طيلة الحصص في الثانوية العامة ، ولهذا السبب أيضًا لم أحقق كامل أهدافي ولم أصل إلى إمكانياتي الكاملة .

استعاد نفسه من هذه الذكريات البذيئة . . وقال «من فضلك . . كن رئيس سان لورينزو . . ستكون جيدًا في هذا المنصب بشخصيتك هذه . . أرجوك؟»

٩٠. خدعة واحدة فقط

وكانَ الوقتُ ليلاً . . وكان هناك كهفٌ وشلال .

وتمثال حجري في مدينة ايليوم . . .

و٢٥٠,٠٠٠ سيجارة و٣٠٠٠ ربعية خمر ، وزوجتان ثم لا زوجة .

ولم يكن هناك أي حب ينتظرني في أي مكان . . .

وكانت لديّ الحياة المملة لمهنة تلطّخ يديك بالحبر . . .

وپاپو ، القمر ، وبوراسيسي ، الشمس ، وذريتهما . .

كانت كل الأشياء تتضافر لتكون فين ديت كونيّ ، قوي بما يكفي لدفعي إلى الإيمان أن الرب كان يسيّر حياتي وأن لدي مهمة أقوم بها . وفي داخلي ، استسلمتُ لهذا . وهو ما يعني أني أذعنت أخيرا لمطالب الفِين ديت خاصتي .

باطنيًا . . وافقت على أن أكون الرئيس القادم لسان لورينزو .

أما ظاهريًا . . فما زلت رافضًا ومتشككًا . . «لا بد وأن هناك خدعة ما» قلت حذرًا .

- لا توجد .

- هل ستكون هناك انتخابات؟

- لم تكن هناك انتخابات من قبل . يكفي فقط أن نعلن من سيكون الرئيس الجديد»

- ولن يعترض أي شخص؟

- لا أحد يعارض شيئًا هنا ، وهم غير مهتمين بالموضوع ، لا يبالون .

- لا بد وأن هناك خدعة ما!

- هناك خدعة من نوع ما . . وافقني فرانك .

- لقد عرفت ذلك! هتفتُ وأنا أتغلب على الفين ديت خاصتي .

ما هي؟ أخبرني؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- حسنا . . هي ليست خدعة فعلاً . . لأنك لست مجبرًا على القيام بها لو لم تكن تريد ذلك ، لكن أعتقد أنها فكرة جيدة .

- دعني أسمع هذه الفكرة العظيمة .

- حسنا . . لو وافقت أن تكون الرئيس ، سيتوجب عليك الزواج بمونا . لكنك لست مجبرًا على ذلك لو لم تكن تريده . فأنت على أية حال ستكون الزعيم وقتها .

- وهل هي ستقبل بي؟ .

- بما أنها قبلت بي ستقبل بك . . كل ما علينا فعله هو أن نسألها .

- ولماذا عليها أن توافق علي؟

- إنها نبوءة في أسفار بوكونون ، تقول النبوءة أنها ستتزوج من الرئيس القادم لسان لورينزو . قال فرانك .

٩١. مونا

أتى فرانك بمونا إلى كهف والدها وتركنا بمفردنا ، ووجدنا صعوبة في بدء الحديث مع بعضنا البعض . كنتُ خجلا ، وكان فستانها رقيقا بلون أزرق سماوي ، كان فستانًا بسيطًا مشدودًا من ناحية الخصر قليلا بحزام ذهبي اللون أما البقية فكان مفصلاً حسب جسد مونا نفسها ، كانا نهديها حبتا رمان أو أية فاكهة شئت . .

قدميها كانتا رائعتين ،وأظافرها كانت مشذبة بعناية . وحذاؤها الصغير كان ذهبي اللون .

«كيف . . كيف حالك؟»

سألتها وقلبي يدق بشدة وأذناي محمرتان .

«من المستحيل أن ترتكب خطأ ما» قالت لي . . لم أكن أعلم

أن هذه هي التحية المتعارف عليها لدى كل البوكونونيين عندما يلتقون شخصا خجولا . . لهذا رددت بفتح نقاش ثري حول ما إذا كان من الممكن أن نرتكب الأخطاء أم لا :

– يا إلهي! ، ليس لديك أدنى فكرة عن الأخطاء التي اقترفتُها . . أنت تنظرين الآن إلى البطل العالمي لاقتراف الأخطاء .

بادرتها بهذه الجملة وما إلى ذلك . . ثم قلت «هل لديك فكرة عما أخبرني فرانك للتو؟»

– عني أنا؟

– عن كل شيء . لكن بالأخص عنك أنت .

– لقد أخبرني أنه يمكنك أن تأخذني لو أردتَ ذلك .

– نعم

– هذا صحيح .

– أنا . . أنا . . أنا . . .

– نعم؟

– لا أدري ما أقوله

– بوكو–مارو ستساعد في هذا الأمر .

– ماذا؟

– انزع حذائك . أمرتني

ونزعت صندلها بمنتهى العذوبة .

وأنا ، كرجل من هذا العالم . . ضاجعت الكثير من النساء ويمكنني القول أني رأيتهن يخلعن ملابسهن بأكثر من طريقة ممكنة لفعل ذلك . . ورأيت كل ما يمكن رؤيته من ذلك ، بمختلف الزوايا والأوجه . . والآن فالمرأة التي جعلتني أتأوه لا إراديا حقا ومن قلبي ، لم تفعل أكثر من خلع صندلها .

حاولت أن أفك حذائي . . لم يكن هناك عريس أسوأ حظا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مني . . خلعت فردة لكن الأخرى كانت محكمة الربط . . آذيت ظفر إبهامي وأخيرا خلعت فردة الحذاء دون أن أحل الخيوط .

ثم نزعت جواربي .

كانت مونا قد جلست على الأرض ، ومدت رجليها مستندة إلى ذراعيها وراءها ، كان رأسها ملقى في وضعية استرخاء وعيناها مغلقتان .

والآن كان علي أن أقوم بـ أول . . . أول . . . أول . . . يا إلهي الرحيم!! . . بوكو-مارو لي .

٩٢. حول احتفال الشاعر بأول بوكو-مارو

ما يلي ، ليست كلمات بوكونون بل هي كلماتي :

«طيفٌ جميل
ضباب لا مرئي لـ . . .
أنا . . .
روحي . . .
طيف عاشق ينادي حزينًا
حزيناً ينادي :
هل من روح أخرى جميلة تلاقيني؟
مضت فترة طويلة
أنا أسألك
هل يمكن لروحان أن تجتمعا
وجداني! ، وجداني!
روحي ، روحي
ادخلي هناك
الروح الحلوة

ستُقَبّل .
امممممم .»

٩٣. كيف كدتُ أن أفقد مونا

– هل سَهُل عليك التحدث معي الآن؟ . سألتني مونا .
– كـمـا لو أنني أعـرفك منذ ألف سنة . قلت وأنا على حـافـة البكاء : أنا أحبك مونا .
– أنا أحبك . . قالتها ببساطة .
– أي أحمق هو فرانك!
– أوه؟
– كي يتخلى عنك .
– هو لـم يحـبني . كـان سـيـتـزوجني فـقط لأن بابا كـان يريد ذلك . هو يحب شخصا آخر .
– من هيْ؟
– امرأة عرفها في ايليوم .
كان يبدو أن صاحبة الحظ تلك هي زوجة مالك متجر جاك هوبي . سألتها «هل أخبرك بذلك؟»
– الليلة ، لما تركني كي أتزوجك .
– مونا؟
– نعم؟
– هل . . هل هناك أي شخص آخر في حياتك؟
– كانت متحيرة . . «العديد» قالت أخيرًا .
– «وتحبينهم؟»
– أنا أحب كل الناس .
– مثلما . . مثلما تحبينني؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«نعم» . . لم يبدو أن لديها أدنى فكرة أن هذا الأمر قد يزعجني .

نهضتُ من على الأرض ، وجلست على كرسي وبدأت أرتدي جواربي وحذائي .

– أعتقد . . أعتقد أنكِ قمت بما قمنا به الآن مع العديد من الأشخاص الآخرين؟

– بوكومارو؟

– نعم بوكومارو .

– بالتأكيد .

– لا أريدك أن تفعلي هذا مع أي أحد آخر من غيري . من الآن وصاعدًا . .

ملأت الدموع عيناها ، كانت تحب انفلاتها ومجونها . . وكانت تشعر بالغضب لأني أحاول أن أجعلها تشعر بالعار لذلك . . «أنا أجعل الناس سعداء . . الحب شيء جيد وليس سيئا» .

– بما أنني زوجك الآن ، فأنا أريد أن يكون كل حبك من أجلي أنا فقط .

حدقت في وجهي بعينين متسعتان . . «هذا سِين وات!»

– ما معنى هذا؟

صرخت «سين وات!» «الإنسان الذي يريد أن يحتكر حب شخص ما . . هذا سيء جدًا» .

«في حالة الزواج أعتقد أنه أمر جيد جدًا . . إنه معنى الزواج أصلاً» .

كانت لا تزال على الأرض وأنا . . الآن مرتديًا حذائي وقفت على قدمي ، شعرت بأني طويل جدًا بالرغم من أني لست كذلك وشعرت بأني قوي جدًا . . مع أني لست كذلك . . كما أنني

لاحظتُ أن هناك نغمة مهيبة في صوتي كانت توحي بالثقة وبالإقناع والاستحواذ . . . كان هذا جديدًا عليّ . .

ومضيت أتحدثُ بتلك النغمة العميقة والقوية ، ثم تبين لي أنا نفسي ما الذي يحدث . . أما ما الذي كان يحدث بالفعل فهو أنني قد بدأت أحكم .

أخبرتُ مونا أنني رأيتها تقوم بنوع من البوكو مارو الأفقي مع طيار في منصة الاستقبال بعد وصولي . «لا يجدر بك أن تفعلي أي شيء معه مجددًا» ما اسمه؟

- لا أدري حتى ما اسمه . همست وكانت تنظر إلى الأسفل .
- وماذا عن الشاب فيليب كاستل؟
- هل تقصد بوكو مارو؟
- أقصد أي شيء وكل شيء . . وكما علمتُ . . فقد نشأتما معًا .
- نعم
- بوكونون قام بتعليمكما؟
- نعم . وهذه الذكرى أعادت لها الإشراق مجددًا .
- أعتقد أنه كان هناك الكثير من البوكومارو تلك الأيام .
- أوه . . نعم! قالت بسعادة .
- لن تريه مجددًا بعد الآن ، هل هذا واضح؟
- لا
- لا؟
- لن أتزوج سين وات نهضت وقالت «وداعًا»
- وداعًا؟؟ كنتُ مصدومًا . .
- بوكونون قال لنا أنه من الخطأ تمامًا ألا تحب كل الناس سواء . ماذا يقول دينك على أية حال؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- أنا . . لا أعتنق واحدًا . .
- أنا لي ديني إذن .
حينها توقف إحساسي بالحُكم . قلتُ لها «أرى هذا فعلاً» .
- وداعًا . . أيها الرجل بلا دين ، وسارت نحو مدخل الكهف .
- مونا .
توقفت وقالت : نعم؟
- هل يمكن أن أعتنق دينك . . لو أردتُ ذلك؟
- بالطبع .
- أنا أريد ذلك .
- حسنٌ . أنا أحبك .
- وأنا أحبك . وتنفستُ الصعداء .

٩٤. أعلى جبل

وبحلول الفجر ، أصبحت مخطوبًا لأجمل امرأة في العالم ، ووافقت أن أكون الرئيس القادم لسان لورينزو .

لم يكن بابا قد توفي بعد ، وكانت فكرة فرانك أنه ينبغي علي أن آخذ مباركة بابا لو أردت ذلك ؛ وهكذا . . لما ظهرت بوراسيسي ، الشمس . . ركبنا أنا وفرانك إلى قلعة بابا في سيارة جيب أخذناها من الكتيبة التي كانت تحرس الرئيس القادم .

أما مونا فمكثت في منزل فرانك . . قبّلتها وكأنني أتعبّد . ثم مضت هي للنوم تتهادى بعذوبة قُدسية .

وعبرنا الجبال خلال أجمات واسعة لأشجار البن ، وكانت أمامنا مباشرة الشمس المتوهجة .

كان شروق الشمس ينثر أشعته على القمة المهيبة والرائعة لأعلى جبل في الجزيرة ، قمة جبل مك كابي ،وكأنه يستعرض

نفسه لي . كان جبلا مخيفًا ، حوتٌ أزرق عملاق يحمل صخرة على ظهره تمثل قمة الجبل . وبالنسبة لحجم حوت . . فتلك الصخرة يمكن أن تكون نصلاً لحربة حجريّة ، ويبدو أنني قد خرجت عن الموضوع عندما سألت فرانك ماذا لو كان جزء من هذا الجبل قد بناه البشر فعلا بهذا الشكل؟

أخبرني أنه تكوين طبيعي . «إضافة إلى ذلك . .» كما قال لي لا أحد -حسب علمه- قد تسلق قمة جبل مك كابي .

- لا تبدو قمته صعبة التسلق . علقتُ على الأمر . . وللوصول إلى القمة ، عليك المرور على عدة منحنيات لن تكون صعبة الارتقاء إن تمت بخطوات محكمة ، أما القمة بحد ذاتها ومن هذه المسافة على أية حال فتبدو لي أنها تتكون بشكل جيد من صخور متدرجة العلو ، تشبه السلالم .

- هل هو مقدس أو شيء من هذا القبيل؟ سألتُه

- ربما كان كذلك من قبل لكنه ليس كذلك لدى بوكونون .

- لماذا لم يتسلقه أحد إذن؟

- لم يفكر بذلك أحد بعد .

- ربما سأتسلقه أنا .

- امض قدمًا . . لن يوقفك أحد .

وهكذا تابعنا الصعود في صمت .

- ما هو الشيء المقدس لدى البوكونونيين؟ سألتُ بعد هنيهة .

- لا شيء ، ولا حتى الرب حسب ما يمكنني القول .

- لا شيء؟ .

- شيء واحد فقط .

قدمت بعض التخمينات «المحيط؟ ، الشمس؟»

«الإنسان» قال فرانك «هذا كل شيء ، فقط الإنسان» .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

٩٥. لقد رأيتُ الشص

وصلنا أخيرا إلى القلعة . كانت منخفضة وسوداء وموحشة المنظر .

وكانت المدافع القديمة لا تزال متدلية على أبراج القلعة بينما عرائش الكروم وأعشاش الطيور قد غطت فوهاتها ، وسدّت فتحات إلقاء الحجارة من على السور والتفّت حول منصات إطلاق السهام .

كانت شرفاتها من ناحية الشمال تنتهي بجرف سحيق ينزل إلى أسفل حتى ستمائة قدم مباشرة حيث مياه البحر الهادئة .

وهذا ما يجعلنا نطرح السؤال المعتاد الذي ينتابنا أمام أي بناء حجريّ كبير : كيف لرجال عاديين أن يحركوا كل هذه الحجارة الضخمة؟ وأيضا وكما في أي بناية حجرية أيضًا يجيب السؤال على نفسه : إنه الخوف الساذج هو من حرك كل هذه الحجارة الضخمة .

كانت القلعة قد بنيت بأمر من تم بام وا ، إمبراطور سان لورينزو ، ذلك الرجل المتطلّب ، العبد الآبق ، قال بم بام وا أنه استلهم تصميمها من كتاب أطفال مصور ، ومن الواضح أنه كان كتابا سيئا على أية حال .

وقبل أن نصل إلى بوابة القصر قادنا الطريق عبر قوس بدائي التركيب ، شُكّل بعمودي هاتف ،وعارضة ممتدة بينهما .

وكان يتدلى من وسط العارضة شص حديدي ضخم ، وكانت هناك علامة مكتوبة على الشص : «هذا الشص» قالت الكتابة : «خاص لبوكونون نفسه» .

استدرتُ كي ألقي نظرة أخرى على الشص ، وكأن هذا الشيء الحديدي الحاد اتصل بي وأخبرني أني سأحكم هذه البلاد فعلاً . .

ولو حدث هذا ، فأنا سأنزل هذا الشص . .

حدثت نفسي بزهوٍ أنني سأكون حكيمًا وعادلاً وحاكمًا فاضلاً . . وسيزدهر شعبي .

فاتا مورغانا .

سراب!

٩٦. جرس، ودجاجة وعلبة اسطوانية

لم أتمكن أنا وفرانك من رؤية بابا مباشرة . فالدكتور شلشتر فون كوينغزفالد ، والطبيب المكلف بالعناية به ، أخبرنا أنه ينبغي علينا أن ننتظر لنصف ساعة . وهكذا انتظرت أنا وفرانك في غرفة الانتظار بجناح بابا . كانت غرفة بلا نوافذ ومساحتها ثلاثون قدما مربعًا ، مؤثثة بعدة مقاعد صلبة وطاولة مربعة ، وفوق الطاولة هناك مروحة كهربائية ، كانت جدران الغرفة حجرية ، ولم تكن هناك أي لوحات ، ولا أي ديكور من أي نوع يزين هذه الغرفة .

كانت هناك حلقات حديدية مثبتة على الجدار ، كانت مثبتة على طول سبع أقدام من الأرض وتفصل بين الحلقتين ست أقدام ، سألت فرانك إن كانت هذه غرفة تعذيب من قبل؟

أخبرني أنها كانت كذلك فعلا وقال لي أن باب القبو الذي أقف عليه كان باب زنزانة .

كان هناك حارس يبدو عليه الضجر في حجرة الانتظار معنا . . وكان هناك أيضا رجل دين مسيحي والذي كان السبب في وجوده هنا هو كي يهتم بمتطلبات بابا الروحية عندما يحين الوقت ، كان لديه جرس نحاسي وعلبة اسطوانية بها ثقوب ، والكتاب المقدس ، وسكين ، وكل هذه الأشياء كانت موضوعة على الكرسي بجانبه .

أخبرني أن هناك دجاجة حية داخل تلك العلبة الاسطوانية ،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وكانت الدجاجة هادئة لأنه أطعمها المهدئات ، وككل أهالي سان لورينزو الذين تجاوزوا الخامسة والعشرين كان الرجل يبدو على الأقل في عمر الستين . أخبرني أن اسمه هو دكتور فوكس هيومانا على اسم عازف أورغن أوقف عندما اغتصبت أمه خلال الأحداث التي فُجرت فيها كاتدرائية سان لورينزو العام ١٩٢٣ ، أبوه -وكما أخبرني دون خجل- كان مجهولاً .

سألته أي طائفة مسيحية بالتحديد يمثلها ، لأني كنت أنظر بشيء من الوقاحة إلى الدجاجة وسكين الجزار الذين كانا جديدين بالنسبة للطقوس الأخيرة حسب فهمي للمسيحية من قبل .

«الجرس» قلت له «يمكنني أن أفهم جيدا فيما يستعمل»

هكذا ، وفجأةً تحول إلى رجل لامع وذكي ، وأراني شهادة الدكتوراه كي أتفحصها والتي كان قد حصل عليها في جامعة النصف الغربي من الكرة الأرضية للكتاب المقدس . بليتل روك ، اركانساس .

كان قد اتصل بالجامعة عبر إعلان مبوب في مجلة **بوبلر ميكانيكس** ، أخبرني عما كتبته الجامعة كإعلان أصبح شعارًا له في حياته وهذا ما يشرح وجود الدجاجة والسكين . كانت الكلمة الإعلانية كالآتي :

«أحيُوا الدين!»

وقال لي أنه يشعر بنفس الطريقة تجاه المسيحية ، بما أن الكاثوليكية والبروتستانتية مجرد هرطقات مثلها مثل البوكونونية .

وقال بلهجة سان لورينزو هكذا ، «لو أردتُ أن أصبح مسيحيا تحت هذا الشعار ، فعلي أن أبتكر العديد من الأشياء الجديدة»

وهنا خرج الدكتور شليشتر فون كوينجزفالد من جناح بابا . كان يبدو جرمانياً جدا ، متعبًا جدًا .

- يمكنكم أن تروا بابا الآن
- سنكون على حذر ولن نرهقه . قال فرانك
- لو كنت تود قتله . . قال فون كوينجزفالد «أعتقد أنه سيكون ممتنا لك»

٩٧. المسيحي العفِن

كان بابا مونزانو ومرضه الذي لا يرحم في سريره الذي كان زورقا ذهبي اللون بدفة توجيه ، وحبل وثاق للمركب ، وعروتين للمجاديف وكل ما يلزم القارب . كانت كلها ذهبية اللون ، وسريره هذا هو زورق النجاة الذي كان في سفينة بوكونون الشراعية . اللايدي سليبر ، وهو أيضا زورق نجاة السفينة الذي أوصلت بوكونون والعريف مك كابي إلى سان لورينزو منذ زمن طويل .

كانت جدران الغرفة بيضاء . لكن بابا كان يتوهج ألماً انعكس على الجدران مما جعلها تبدو حمراء قانية ، كان عاريا من خصره فما أعلى ، وبطنه التي بدت تلمع ظهر بوضوح أثر الخياطة عليها ، وكانت ترتجف كأنها شراع سفينة يرفرف ، وحول عنقه كانت هناك سلسلة تنتهي باسطوانة بحجم خرطوشة بندقية تمثل قلادة لتلك السلسلة ، وخمنتُ أن تلك الخرطوشة تحتوي سحرا ما ، وكنتُ مخطئا . . لأنها في الحقيقة كانت تحتوي قطعة من الجليد-٩,

وبالكاد كان بابا يستطيع التحدث ، كانت أسنانه تصطك ويجد صعوبة في التنفس .

أما رأس بابا المعذب فكان ملقى إلى الخلف على حافة الزورق ، واكسيليفون مونا كانت بالقرب من السرير ، وبدا من الواضح أنها كانت تحاول التخفيف من ألم بابا بموسيقاها ليلة أمس ، همس فرانك «بابا؟»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– وداعًا . قال بابا وهو يلهث ، كانت عيناه تطرف وكأنه كان ينظر إلى سراب .

– لقد . . لقد جلبت معي صديقًا .

– وداعًا .

– سيصبح الرئيس القادم لسان لورينزو ، هو كفء لهذا المنصب أكثر مني .

– الجليد! أجهش بابا . .

قال فون كوينجزفالد : «إنه يطلب الثلج ، لكن لما نأتي به لا يريده»

أدار بابا عينيه وأراح عنقه مزيحًا ثقل جسده من مقدمة رأسه إلى عنقه ، «لا يهم من هو رئيس . . .»

لم يكمل الجملة ، فأكملتها : سان لورينزو؟

وافقني «سان لورينزو . .» وابتسم ابتسامة شاحبة «حظًا موفقًا!» صرخَ .

– شكرًا لك سيدي .

– لا يهم! بوكونون . . أمسك بوكونون .

حاولت أن أجيب إجابة مقنعة على كلامه ، متذكرا أنه من أجل سعادة الشعب يجب أن يبقى بوكونون مطاردًا دومًا وألا نمسك به أبدًا .

– سألقي عليه القبض . قلت له .

– أخبره . .

وهكذا انحنيت نحوه أكثر كي أسمع رسالة بابا إلى بوكونون :

– أخبره أني آسف لأني لم أتمكن من قتله .

– سأفعل .

– وأنتَ اقتله

- نعم سيدي .

وعندما استعاد بابا بعض أنفاسه كي يجعل صوته آمرًا «أقصدُ فعلاً أن تقتله»

لم أرد عليه بشيء لأني لم أكن توّاقا لقتل أي أحد . واصل بابا كلامه «هو يخبر الناس بالأكاذيب ، والأكاذيب ، والأكاذيب . اقتله وأخبر الناس الحقيقة» .

- نعم سيدي

- وأنت هوينيكر . . درسهم العلوم .

- نعم سيدي سأفعل .

- العلم هو سحر يعمل .

ثم صمت ، وأغلق عيناه ، ثم همس «الطقوسُ الأخيرة»

استدعى الدكتور كوينجزفالد الدكتور فوكس هيومانا ، أخرج الدكتور هيومانا دجاجته الهادئة خارج العلبة الاسطوانية مهيئاً نفسه للقيام بالطقوس المسيحية الأخيرة كما يفهمها هو .

فتح بابا عينا واحدة «ليس أنت» قالها بازدراء للدكتور هيومانا «أخرج»

- سيدي؟ سأل الدكتور هيومانا .

«أنا مؤمن بالإيمان البوكونوني» قال وهو يتنفس بصعوبة .

«أخرج من هنا . . أيها المسيحي العفن»

٩٨. الطقوس الأخيرة

وهكذا حظيتُ بشرف أن أحضر وأرى الطقوس الأخيرة حسب الإيمان البوكونوني . وبذلنا جهدًا في البحث عن شخص من بين الجنود وخدم المنزل يعرف الطقوس الأخيرة ويتطوع بالقيام بها لبابا .

لم نجد أي متطوع ولم يكن هذا مفاجئًا بوجود الشص العملاق

https://telegram.me/maktabatbaghdad

والزنزانة على مقربة .

وهكذا تطوع دكتور فون كوينجزفالد للقيام بها ، لم يكن قد قام بها من قبل لكنه كان قد رأى جوليان كاستل يقوم بها مئات المرات .

– هل أنت بوكونوني؟ سألته .

– أنا أوافق على فكرة واحدة من البوكونونية ، أوافق أن كل الأديان بما فيها البوكونونية هي مجرد أكاذيب .

– هل هذا يزعجك مع كونك عالمًا؟ سألته «أن تقوم بطقوس كهذه؟»

– «أنا عالم سيء للغاية ، وسأفعل أي شيء يجعل أي إنسان يشعر بالتحسن ، حتى لو كان هذا الشيء ليس علمياً ، وحقيقةً لن تجد عالما يستحق هذا اللقب فعلا يقول أمر كهذا»

صعد إلى الزورق الذهبي حيث كان بابا وجلس في مؤخرة الزورق ، اضطره ضيق المكان أن يجعل الدفة الذهبية تحت أحد ذراعيه .

كان يرتدي صندلاً دون جوارب . . نزعهما . ومن ثم أزاح الغطاء حيث القدمين وأخرج قدمي بابا الحافيتين ، ووضع باطن قدمه على باطن قدم بابا متخذا قدر الإمكان الوضع التقليدي للبوكو مارو .

Dyot meet mat .٩٩

دندن الدكتور فون كوينجزفالد «Gott mate mutt»

كرّر بابا مونزانو : «Dyot meet mat»

كان الاثنين يقولان «الرب خلق الطين «وكنت أنا أيضًا سأتخلى عن لهجة الترنم الدينية .

«أصبح الرب وحيدا .» قال فون كوينجزفالد .
«أصبح الرب وحيدا»
«وقال الرب لبعض هذا الطين : قم!»
«انظر إلى كل ما خلقته ، التلال ، البحر ، السماء النجوم»
«انظر إلى كل ما خلقته ، التلال ، البحر ، السماء النجوم»
«وأنا كنتُ بعض ذلك الطين الذي نهضَ ونظر من حوله»
«وأنا كنتُ بعض ذلك الطين الذي نهضَ ونظر من حوله»
«يا لحظيّ! طين محظوظ» .
«يا لحظيّ! طين محظوظ» .
وانسابت الدموع على خديّ بابا .
«وأنا ، الطين نهضتُ ورأيت الصنع الحسن الذي قام به الرب» .
«وأنا ، الطين نهضتُ ورأيت الصنع الحسن الذي قام به الرب» .
«عمل حسن أيها الرب!»
«عمل حسن أيها الرب!» قالها بابا بكل قلبه .
«لا أحد إلاك يستطيع القيام بهذا! بالتأكيد أنا لا أستطيع»
«لا أحد إلاك يستطيع القيام بهذا! بالتأكيد أنا لا أستطيع»
«أشعر بأني ضئيل جدًا بالمقارنة معك»
«أشعر بأني ضئيل جدًا بالمقارنة معك»
«الشيء الوحيد الذي يشعرني بقدر قليل من أهميتي هو أن أفكر في الطين المتبقي الذي لم ينهض ويرى كل هذا» .
«الشيء الوحيد الذي يشعرني بقدر قليل من أهميتي هو أن أفكر في الطين المتبقي الذي لم ينهض ويرى كل هذا» .
«لقد حظيت بالكثير جدًا ، بينما بقية الطين حصل على

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القليل جدًا»
«لقد حظيت بالكثير جدًا ، بينما بقية الطين حصل على القليل جدًا»
«الحمد لك لتكريمي!»
«الحمد لك لتكريمي!»
«والآن سيعود الطين إلى الأرض مجددًا وينام»
«والآن سيعود الطين إلى الأرض مجددًا وينام»
«أي ذكريات حظي بها هذا الطين!»
«أي ذكريات حظي بها هذا الطين!»
«وأي أنواع أخرى ممتعة من الطين الذي نهض ، قابلتُها!»
«وأي أنواعٍ أخرى ممتعة من الطين الذي نهض ، قابلتُها!»
«لقد أحببتُ كل شيء رأيته!»
«لقد أحببتُ كل شيء رأيته!»
«ليلة سعيدة»
«ليلة سعيدة»
«سأذهب إلى الجنة الآن»
«سأذهب إلى الجنة الآن»
«لا يسعني الانتظار . .»
«لا يسعني الانتظار . .»
«كي أعرف يقينًا ماذا كان الوامبتر خاصتي . .»
«كي أعرف يقينًا ماذا كان الوامبتر خاصتي . .»
«ومن كان ضمن أعضاء كاراسي . .»
«ومن كان ضمن أعضاء كاراسي . .»
«وكل تلك الأشياء الجيدة التي قام بها كاراسنا من أجلك»
«وكل تلك الأشياء الجيدة التي قام بها كاراسنا من أجلك»

«آمين»

«آمين»

١٠٠. أسفل إلى الزنزانة، نزل فرانك

لكن بابا لم يمت ويذهب إلى الجنة . . لا . . ليس بعد .

وسألت فرانك كيف بإمكاننا أن نعرف الوقت الأمثل لإعلاني رئيساً ، لم يكن لديه أدنى فكرة . وترك كل هذا الأمر عليّ .

- اعتقدت أنك ستدعمني ، اشتكيت .

- ذلك فيما لو كان هناك أي أمر تقني يستجد . كان متزمتاً بالنسبة لهذه النقطة .

لكن لم يكن لدي شك في نزاهته كرجل تقنيّ ولم أجرؤ على دفعه لتجاوز حدود اختصاصه .

- فهمت .

- وأيا كانت الطريقة التي ستعامل بها الناس . . لن أعترض . . لأنها مسؤوليتك أنت .

صدمني هذا التخلي المفاجئ عن كل الشؤون البشرية وجعلني أغضب ، قلت له وأنا أقصد السخرية «هل تمانع أن تخبرني بشكل تقني بحت ، ماذا خططت لهذا اليوم؟»

وتلقيت إجابة تقنية صارمة : «أن أصلح محطة توليد الكهرباء ، وأحضّر لعرض جوي»

«حسن! وهكذا فإن أول إنجازاتي كرئيس هي أن أعيد الكهرباء لشعبي» .

لم يكن فرانك يرى أي حس دعابة في قولي هذا ، وأدى لي تحية عسكرية قائلاً «سأحاول سيدي ، سأبذل كل ما في وسعي من أجلك سيدي ، لكن لا يمكنني أن أضمن كم سنستغرق من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الوقت حتى تعود الأمور لمجاريها»

«هذا ما أريده . . بلدًا مثمرًا»

«سأفعل ما بوسعي «قال فرانك وهو يحييني مجددًا .

«والعرض الجوي؟ «سألت . .» ما هو؟»

وتلقيت إجابة ميتة أخرى «اليوم ، على الساعة الواحدة بعد الزوال ، سيدي ، ست طائرات من القوات الجوية لسان لورينزو ستطير خلف القصر هنا وتطلق على أهداف في المياه وهو جزء من احتفالية يوم شهداء الديمقراطية المائة وستحضر السفارة الأمريكية لتكريم ذكراهم برمي إكليل من الزهور في البحر» .

وهكذا قررتُ مبدئيًا أن أخبر فرانك أن يعلن تنصيبي المجيد فور انتهاء مراسم تكريم الشهداء والعرض الجوي .

«ما رأيك بهذا؟» قلت لفرانك

«أنت الزعيم هنا ، سيدي»

«أعتقد أنه من الأفضل أن أحضّر لخطابي ، وأعتقد أنه يجب أن يكون هناك نوع من القَسَم ، لجعل الأمر أكثر هيبة وأكثر رسمية»

«أنت الزعيم هنا ، سيدي»

وكل مرة كان يقول لي فيها هذه الكلمات ، كان يزداد ابتعادًا ، كما لو كان فرانك ينزلُ درجات سلم نحو قبو عميق جدًا بينما أنا مجبر على البقاء في الأعلى .

وأدركتُ بقلق أن قبولي لأكون الرئيس ، قد حرر فرانك ليقوم بما يريد القيام به أكثر من أي شيء آخر وأن يقوم بما قام به والده من قبل : أن يكسبوا الأمجاد ويحظوا بالراحة بينما رموا وراء ظهورهم كل المسؤوليات الإنسانية . كان فرانك يفعل هذا الآن . . . . كان ينزلُ تحت ، إلى تلك الزنزانة المعتمة .

١٠١. مِثل أسلافي، أُعلنُ البوكونون مطلوبا للعدالة

كتبتُ خطابي في غرفة مستديرة فارغة أسفل أحد أبراج القلعة ، كان هناك طاولة وكرسي ، وكان الخطاب الذي كتبته فارغا ومستديرا أيضا وبالكاد يحتوي على أي تأثيث .

كان واعدًا . ومتواضعًا .

ووجدت أنه من المستحيل ألا أستند فيه إلى الرب ، لم أكن أحتاج مثل هذه المساعدة من قبل ،لأني لم أكن أؤمن أنها كانت موجودة .

والآن وجدت نفسي مضطرًا أن أؤمن بها وهذا ما فعلته . وكنتُ أيضا أحتاج إلى مساعدة الناس ، طلبت قائمة الضيوف الذين سيحضرون الاحتفال ، ولم أجد فيها جوليان كاستل وابنه ، لهذا أرسلت من يستدعيهما معا بما أنهما يعرفان عن شعبي أكثر من أي أحد آخر باستثناء البوكونون .

أما بالنسبة إلى بوكونون ، ففكرتُ مليا ثم قررتُ أن أطلب منه الانضمام إلى الحكومة لإضفاء نوع من الاحتفال بالألفية الجديدة لشعبي وفكرت أن آمر أن ينزلوا ذلك الشص الفظيع خارج بوابة القصر في نفس وقت انضمام البوكونون إلينا خلال احتفال مهيب على شرفه .

لكني أدركت فيما بعد أن احتفال الألفية هذا سيكون أكثر من مجرد دمج رجل دين في السلطة ، بل سيكون هناك الكثير من أطايب الطعام كي يأكل جميع الناس وأماكن كثيرة جميلة ليعيش فيها الجميع ومدارس جيدة وصحة جيدة وأوقات طيبة يقضيها الجميع وعمل لكل من يريد العمل ، وأشياء لا نختلف عليها أنا وبوكونون .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وهكذا يبقى الخير والشر منفصلان . الخير في الغابة والشر في القصر ومهما كانت هذه الوضعية تشي بالسخرية فإن كل ما علينا هو أن نخدم الشعب .

سمعت طرقا على بابي ، أخبرني أحد الخدم أن الضيوف قد بدأوا بالوصول ، وهكذا وضعت خطابي في جيبي وارتقيت الدرج الحلزوني للبرج ووصلت إلى أعلى برج قلعتي وألقيت نظرة على ضيوفي ، وخدمي وعبيدي وبحري الهادئ .

١٠٢. أعداء الحرية

عندما أفكر في كل هؤلاء الناس أسفل برج القلعة ، أفكر في الكاليبسو المائة وتسعة عشر الذي ألفه البوكونون ودعانا لنغني معه :

«ماذا فعلت الأيام برفقتي القديمة الطيبة؟
سمعتُ رجلاً حزينًا يقول
همست في أذن هذا الرجل الحزين :
رفقتك الطيبة القديمة ، ذهبت بعيدًا» .

كان من بين الحضور السفير هورليك مينتون وامرأته ، اتش .لاو كروسبي مالك مصنع الدراجات الهوائية وزوجته هازيل والدكتور جوليان كاستل ، الإنسانيُّ المحسن ، وابنه فيليب كاستل الكاتب وصاحب الفندق ، والصغير نيوتن هوينيكر رسام اللوحات وشقيقته عازفة الموسيقى السيدة هاريسون سي كونرز وفتاتي السماوية : مونا ، واللواء فرانكلين هوينيكر وعشرين من موظفي الإدارة وضباط عسكريون . . .

والآن هم موتى . . أو أغلبهم مات .

وكما أخبرنا بوكونون «ليس من الخطأ أبدا أن تقول وداعاً»

كان هناك بوفيه في سطح القلعة ، بوفيه دسم بأطباق محلية شهية ، طيور مشوية بريشها الملون ، سرطان البحر الأرجواني استخرج من صدفاته وفُرم وقلي في زيت جوز الهند وأعيد إلى أصدافه ، شرائح سمك الباراكودا محشوة بمعجون الموز ، وفطيرة رقائق الذرة جُنيت قبل موسمها ، ومكعبات صغيرة مغلية من لحم طيور القطرس .

طيور القطرس - كما كنت أحكي - كانت قد اصطيدت بالقرب من البوفيه نفسه ، بالتحديد من على شرفة سور القلعة . وقُدّم نوعان من المشروبات كلاهما لم تكن مثلجة ، بيبسي كولا ونبيذ محلى ، قدمت البيبسي كولا في أكواب بلاستيكية ، أما النبيذ ففي قشور جوز الهند . لم أستطع التعرف على النكهة الحلوة للنبيذ مع أنها ذكرّتني بشكل ضبابي بأيام طفولتي ، لكن فرانك سمى لي تلك النكهة قائلا «الأسيتون» .

- الأسيتون؟

- يستعمل كغراء في بناء نموذج الطائرة .

ومن هناك لم أكمل شرب النبيذ .

أما السفير مينتون فقد قام بالكثير من التحيات بكأس جوز الهند مشجعا الآخرين لشرب أنخابهم ، لكني لم أره يشرب منه ، وبالمناسبة فقد كانت بقربه حقيبة من نوع لم أره من قبل ، وكانت تبدو لي كحقيبة البوق الفرنسية وتبين فيما بعد أنها تحتوي إكليل الزهور التذكاري الذي سيرمى في البحر .

أما الشخص الوحيد الذي رأيته يشرب النبيذ فقد كان اتش لاو كروسبي والذي كان من الواضح جدا أنه لا يملك أي حاسة للشم ، كان يقضي وقتا ممتعا في شرب الأسيتون من جوزة الهند ويجلس على مدفع مغطيا ثقب الإشعال بمؤخرته الكبيرة ، كان ينظر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إلى البحر عبر مناظير يابانية إلى الأهداف التي وضعت فوق العوامات التي كانت تطفو بتمايل قبالة الشاطئ .

كانت الأهداف نماذج ورقية على شكل رجال ، والمفترض أنه سيطلق عليها النار ثم تقصف في استعراض للقوة تؤديه ست طائرات حربية من القوات الجوية لسان لورينزو .

وكان كل هدف عبارة عن رسم كاريكاتيري لشخصية حقيقية ، وكل شخصية منها كتب اسمها من أمام ومن خلف ، وسألتُ من هو فنان الكاريكاتير الذي أنجز هذا؟ وأخبروني أنه الدكتور فوكس هيومانا القس المسيحي والذي كان بجانبي .

- لم أكن أعلم أنك موهوب في هذا المجال .

- أوه ، أجل ، عندما كنت شابًا أمضيت وقتًا عصيبًا كي أقرر ما سأكونه .

- أعتقد أن القرار الذي اتخذته كان الخيار الصحيح .

- لقد صليت من أجل أن يهديني الرب .

- ولقد هداك .

سلم اتش لاو كروسبي المناظير لزوجته .

«هناك العجوز جو ستالين ، الأقرب إلينا ، وإلى جانبه العجوز فيدال كاسترو»

«وهناك العجوز هتلر «ضحكت هازيل مبتهجة» هناك أيضا العجوز موسوليني وأحد اليابانيين»

«والعجوز كارل ماركس ، والعجوز قيصر بِل بقبعته المدببة وما إلى ذلك «واصلت هازيل» لم أتوقع أن أراه مجددا»

«وهناك العجوز ماو أيضا ، هل رأيت العجوز ماو؟»

سألت هازيل «ألن يحصل الآن على مفاجأة حياته؟ . . هذه بالتأكيد فكرة لطيفة»

«لقد أتوا بكل أعداء الحرية هناك» صرح اتش لاو كروسبي .

١٠٣. رأيٌ طبي حول الآثار المترتبة عن إضراب الكاتب

لم يكن أحد من المدعوين يعلم بعد أنني سأصبح الرئيس ، ولم يكن أحد يعرف كم كان بابا قريبًا من الموت ، تكلم فرانك برسمية أن بابا كان يرتاح من المرض وأنه يرسل تحياته القلبية للجميع .

أما ترتيب الحفل كما أعلنه فرانك فكان كالآتي : أن يلقي السفير إكليل الزهور في البحر على شرف ذكرى الشهداء المائة من ثَم ستحلق الطائرات وتصوب على الأهداف في البحر ، ثم ، هو ، أي فرانك سيلقي بعض الكلمات لكنه لم يخبرهم أنه وبعد كلماته ، سيكون هناك خطابي أنا .

وهكذا لم أُعامل أكثر من كوني صحفيا زائرا وانسبتُ بهدوء بين هذه المجموعة وتلك .

قلت لهازيل كروسبي «مرحبًا . أمي . هتفت لي من إذن؟ ، إن لم يكن ابني!» وعانقتني بحُضن معطر وأخبرت الجميع «هذا الولد هاوزر!»

أما كاستل الابن والأب فكانا يقفان بعيدًا عن البقية وبما أنهما كانا ضيوفًا غير مرحب بهم لمدة طويلة في قصر بابا فقد كانا متشوقين لمعرفة لماذا تم استدعائهما إليه الآن . .

ناداني كاستل الشاب بـ'السبق الصحفي' «صباح الخير ، سيّد سابق ، ما الجديد في لعبة الكلمات؟»

«يمكن أن أسألك نفس السؤال .» رددت عليه .

– أفكر في الدعوة إلى إضراب عام لجميع الكتّاب حتى تثوب البشرية إلى رشدها ، هل ستدعم هذا الإضراب؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- هل للكتّاب الحق في الإضراب؟ كما لو أنهم شرطة أو رجال إطفاء مثلاً؟

- أو أساتذة الجامعة؟

وافقته : «أو أساتذة الجامعة .» ثم أومأت برأسي نافيا : «لا . لا أعتقد أن ضميري سيسمح لي بالاشتراك بإضراب كهذا . عندما يصبح المرء كاتبًا ، أعتقد أنه يأخذ على نفسه عهدا مقدسًا ليقدم الجمال والتنوير والراحة بأقصى قدر ممكن من السرعة»

- لا أستطيع التوقف عن التفكير في صدمة الناس لو حدث فجأة ولم يعد هناك أي كتب جديدة أو مسرحيات أو أية قصص أو قصائد جديدة . .»

- وأي فخر ستحصل عليه حين يبدأ الناس بالموت كالذباب؟ سألته .

- إنهم يموتون على ما أعتقد بشكل يشبه أكثر الكلاب المسعورة ، يزمجرون وينبحون على بعضهم البعض ويعضّون ذيولهم .

التفتُ إلى كاستل الكبير وسألته : «سيدي ، كيف يموت الإنسان عندما يحرم من عزاءِ الأدب؟»

«بواحدة من الاثنين ،

تحجّر القلب أو ضمور الجهاز العصبي»

- وأعتقد أنا أيضا أنهما ليستا طريقتين جميلتين للموت .

- لا . قال كاستل الكبير وتابع : «حبًا بالله . . كلاكما . . واصلا الكتابة! .»

١٠٤. سولفاثيازول

أما فتاتي السماوية مونا فلم تقترب مني ولم تشجعني بنظراتها على أن آتي بجانبها ، كانت قد جعلت نفسها مضيفة وقدمت

أنجيلا والصغير نيوت إلى أهالي سان لورينزو ، وبينما أتأمل الآن طبيعة وحقيقة هذه الفتاة . . أتذكر لا مبالاتها عندما انهار بابا من شدة المرض ، وبخطبتها لي ، كنت أفكر في كل هذا وتقييمي لها يتأرجح بين السلب والإيجاب .

هل هي تمثل الشكل الأسمى للروحانية الأنثوية؟ أو أنها مجرد فتاة متبلدة الحس وميتة المشاعر؟ ، هناك أمر آخر وهو أنها تعزف بشكل مذهل على الاكسليفون وتحب كل ما هو جميل والبوكو-مارو أيضا . .

أعتقد أني لن أتمكن من الحكم الصحيح عليها أبدا .

أخبرنا بوكونون :

«العاشق كاذب
على نفسه يكذب
الصادق لا يحب
عيناه ميتتان كالمحار!»

وهكذا خرجتُ بنتيجة واضحة لنفسي ، فعلى ما أعتقد ، فإني سأتذكر فتاتي مونا كإنسانة راقية .

سألت فيليب كاستل الشاب في يوم شهداء الديمقراطية المائة هذا : هل تحدثت إلى صديقك والمعجب بك اتش لاو كروسبي اليوم؟

- لم يتعرف علي بالبذلة والأحذية وربطة العنق . رد كاستل الشاب وتابع كلامه «وهكذا ، تحدثنا بالفعل حديثا ممتعا حول الدراجات الهوائية وربما نحظى بمحادثة أخرى قريبا» .

ولهذا السبب ، لم أعد أرى أن رغبة كروسبي ببناء مصنع للدراجات الهوائية هنا هي أمر مضحك أو سخيف ، وكمدير تنفيذي لهذه الجزيرة فأنا أيضا أريد بشدة مصنع الدراجات الهوائية

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذا . . وفجأةً أصبحت أكن احتراما لما فعله اتش لاو كروسبي وما يستطيع أن يفعله . سألتهما معا : كاستل الابن والأب :

– في رأيكما ، كيف ترون أن أهالي سان لورينزو سيتعاملون مع التصنيع؟

«أهالي سان لورينزو . . «أجاب الأب .» مهتمون بثلاثة أشياء فقط : صيد الأسماك ، الزنا ، والبوكونونية»

– ألا تعتقد أنه من الممكن أن يهتموا بالتطور؟

– لقد رأوا جزءا منه ، لكن هناك جانب واحد فقط من التطور يثير اهتمامهم .

– ما هو؟

– القيثارة الكهربائية .

وهكذا استأذنتهما وانضممت إلى الكروسبي حيث كان فرانك معهم يشرح من هو بوكونون وما الذي يحاربه «إنه يحارب العلم ، كيف يمكن لأي إنسان عاقل أن يحارب العلم؟» كان يسأل كروسبي .

– كنت سأكون ميتة منذ دهر لولا البنسلين «قالت هازيل و«كذلك أمي»

– كم عمر أمك؟ سألتها

– مئة وستة ، أليس هذا رائعًا؟

– بالتأكيد هو كذلك . وافقتها .

– وكنت لأكون أرملة أيضا لولا أن الطب قدم العلاج لزوجي في الوقت المناسب . قالت هازيل وسألت زوجها عن اسم الدواء الذي أنقذ حياته .

عزيزي ، ما اسم تلك المادة التي أنقذت حياتك في تلك الأيام؟

- سلفاثيازول .[11]

وهكذا أدركت أنني ارتكبت خطأ فادحًا لتناولي من صينية طيور القطر التي مُررت علينا .

١٠٥. مُسكّن فعّال

«لقد حدث كما كان ينبغي له أن يحدث» ، كان بوكونون ليقول . فلحم طيور القطر أضر بصحتي ، حيث أني شعرت بالمرض بمجرد أن ابتلعت -وبصعوبة- القطعة الأولى منه .

واضطررت لأهرول عبر الدرج الحلزوني إلى الأسفل باحثًا عن حمام ، ووجدت نفسي أمام أحدها قرب جناح بابا ، وعندما انتهيت وارتحت نوعًا ما ، قابلت الدكتور شليشتر فون كوينجزفالد الذي خرج مسرعا من غرفة نوم بابا ، يبدو عليه الفزع والهلع ، وأخذني من ذراعي وهتف : «ما هذا الشيء؟ ما هو الشيء المعلق حول عنقه؟»

- عفوًا؟

- لقد شربه . . أيًا كان هذا الشيء في تلك الاسطوانة . . بابا شربه والآن هو ميت .

تذكرت اسطوانة بابا المعلقة حول عنقه ، وقدمت تخمينًا واضحًا حول محتواها :

- سيانيد؟

- سيانيد؟ وهل يحول السيانيد رجلاً إلى أسمنت في ثانية؟

---

١١ مسحوق بلوري أبيض لا طعم له ولا رائحة ، شحيح الذوبان في الماء ، قليل الذوبان في الكحول ويذوب في الأسيتون ، يستعمل مضادا للبكتريا ، ويستعمل في علاج مرض السيلان (الجنسيّ) . (المترجم)

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- أسمنت؟

- رخام! حديد! لم أر من قبل جثة متصلبة كهذه ، جرب أن تنقر على أي مكان منها وستسمع نغمة كالماريبا[١٢] . . تعال وانظر!

واندفع فون كوينجزفالد إلى غرفة نوم بابا .

على السرير ، في الزورق الذهبي ، كان هناك شيء فظيع لأراه . . كان بابا ميتا لكنه لم يكن جثة بالضبط .

«استراح أخيراً»

كان رأس بابا ملقى إلى الخلف قدر ما يمكن له ذلك ،وكان ثقل جسده على مقدمة رأسه وأخمص قدميه ، بينما شكل بقية جسده جسرًا كالقوس متوجها نحو السقف .

وكان سبب تحوله هكذا واضحا ، تناوله محتويات الأسطوانة التي تتدلى من سلسلة على عنقه ، كان متصلبا على تلك الوضعية التي توضح الأمر ، كانت يد تحمل الاسطوانة التي كانت مفتوحة من الأعلى بينما كانت سبابة وإبهام اليد الأخرى وكأنها تتناول شيئا علق بين أسنانه .

حرك الدكتور فون كوينجزفالد المجداف عبر عروته في الزورق الذهبي وبهذه الحركة ضربت العروة بطن بابا الحديدية مصدرة صوتا يبدو فعلا كنغمة الماريبا .

---

(١٢) الماريبا : الماريبا هي آلة موسيقية ضمن عائلة الآلات النقرية . تتكون من المفاتيح أو القضبان (عادة تكون مصنوعة من الخشب) ويتم العزف بنقرهم بمطارق لتوليد نغمات موسيقية . المفاتيح مرتبة كترتيب البيانو ، وبشكل يساعد العازف بصريا وطبيعيا . (المترجم)

أما شفتا بابا وأنفه ومقلتا عينه فكانت تلمع ببريق أبيض مائل للزرقة .

هذه الأعراض - يعلم الله- ليست بالأمر الجديد الآن ، لكنها كانت جديدة تمامًا وقتها . وكان بابا مونزانو أول إنسان في التاريخ يموت بسبب الجليد-٩

أنا أسجل هذه الحقيقة لعلها تكون مفيدة بشكل ما . «اكتبوا كل شيء» كما أخبرنا بوكونون ، وبالطبع كان قد أخبرنا من قبل أنه من العبث تماما أن نكتب أو نقرأ التاريخ .

وأضاف بوكونون «أنه وبدون التسجيل الدقيق للماضي ، فكيف يمكن للرجال والنساء أن يتجنبوا ارتكاب أخطاء جسيمة في المستقبل؟» كان يتساءل بسخرية . .

لهذا أكرر : بابا مونزانو هو أول إنسان في التاريخ يموت بسبب الجليد-٩ .

١٠٦. ما الذي يقوله البوكونونيون عند الانتحار؟.

أما الدكتور كوينجزفالد ، الإنسانيّ المثقل بتاريخ فظيع لمعسكر اوشفيتز ، فقد كان ثاني شخص يموت بسبب الجليد-٩

كان يتكلم عن التخشب الموتي ، وهو موضوع فتحته أنا .

- التخشب الموتي لا يتم في لحظة . . قال لي . . «لأن هذا حدث لمجرد أني أدرت للحظة ظهري لبابا . . كان يهذي وقتها . .»

- وعن ماذا كان يهذي؟

- الألم ، الجليد ، مونا . . كل شيء . . ثم قال بابا «الآن سأدمّر العالَم كلّه»

- ما الذي كان يقصده بهذا؟

- هي عبارة يقولها البوكونونيون عندما يريدون الانتحار .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وسار فون كوينجزفالد إلى حوض الماء يريد أن يغسل يديه .

وعندما استدرت كي أراه . . قال لي ويداه فوق الماء مباشرة . «ألفيتهُ ميتا . . صلبا كتمثال . . كما رأيته أنت الآن . . أدخلت أصابعي بين شفتيه كانتا تبدوان غريبتان جدا» . ووضع يديه في الماء .

- أي مركب كيميائي يمكن أن . . .؟ . وتوقف سؤاله .

رفع فون كوينجزفالد يديه وصعد الماء من الحوض معها . . لم يعد ماء ، بل نصف كرة من الجليد-٩ .

مس فون كوينجزفالد بطرف لسانه هذا السر الغامض الأبيض-الأزرق .

تابع الصقيع طريقه إلى شفتيه ، تجمد كليا وترنح ثم سقط على الأرض .

تناثرت نصف الكرة البيضاء -الزرقاء إلى أجزاء على الأرضية منتشرة عليها بسرعة هائلة .

هرعت إلى الباب وصرخت طالبًا المساعدة . . أتى الجنود والخدم يجرون ، أمرتهم أن يأتوا بفرانك ونيوت وأنجيلا إلى غرفة بابا كلهم مع بعض . . .

وأخيرا رأيتُ بنفسي الْجليد-٩!

١٠٧. متّعوا عيونكم!

سمحت لأولاد الدكتور فيلكس هوينيكر بالدخول إلى غرفة نوم بابا مونزانو . أغلقت الباب واستندت إليه بظهري ، كانت قد انتابتني وقتها حالة مزاج ساخرة ولاذعة ورائعة . لقد عرفت أخيرًا ماذا كان الجليد٩ ، لقد رأيت هذا كثيرا في أحلامي .

لم يكن هناك شك أن فرانك أعطى بابا الجليد-٩ ، وبدا من

الواضح بما أن فرانك أعطى الجليد -٩ لبابا ، فلا بد وأن أنجيلا ونيوت قاما بإعطائه هما أيضًا لآخرين .

هكذا صرخت في ثلاثتهم . واصفا إياهم بالوحوش المجرمين ، أخبرتهم أن أمرهم افتضح أخيرًا وأني أعلم عنهم وعن الجليد-٩ .

حاولت تحذيرهم أن الجليد-٩ يعني نهاية الحياة على الأرض . كانوا مذهولين للأمر لدرجة أنهم لم يفكروا أن يسألوا كيف عرفت عن الجليد -٩ .

- متّعوا عيونكم!

حسنا ، وكما قال لنا بوكونون «فإن الرب لم يكتب مسرحية جيدة في حياته» ، لم يكن مشهد غرفة بابا يفتقر إلى الإثارة ، كل هذه الأشياء والمعطيات وخطابي الافتتاحي لهم ، والذي كان رائعًا جدًا .

لكن أول رد من أحد الهوينيكر دمر كل هذه الروعة .

الصغيرُ نيوت تقيأ .

١٠٨. فرانك يخبرنا ما الذي سنفعله

وأردنا جميعنا أن نتقيأ . كان نيوت بالطبع قد أبدى رأيه بهذا . . «لا يمكنني أن أعترض» أخبرتُ نيوت وصرخت في أنجيلا وفرانك «بودّي الآن بعد أن حصلت على رأي نيوت أن أسمع رأيكما؟»

«اعمع» قالت أنجيلا مخرجة لسانها ، كان أبيض شاحبًا .

- «هل هذه هي مشاعرك أنتِ أيضا؟» ثم سألتُ فرانك . . «اعمع؟» . . «أيها اللواء هل هذا ما ستقوله أيضا؟»

كشّر فرانك عن أسنانه ، كانت مطبقة على بعضها ، وكان يتنفس بصوت مسموع وبطيء .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

غمغم الصغير نيوت ناظرا أسفل إلى كوينجزفالد : «مثل الكلب» .

«أي كلب؟»

همس نيوت بإجابته ، بالكاد خرجت تلك الهمسة لكن ومهما كان ما عرقل خروجها فإننا جميعنا سمعناها بوضوح كما لو أننا نسمع رنة جرس كريستالي .

«ليلة عيد الميلاد ، عندما توفي الوالد .»

كان نيوت يتحدث إلى نفسه ، وأنا عندما سألته أن يخبرني عن الكلب في الليلة التي توفي فيها والده ، نظر إلى فوق ، إليّ كأنني دخيل على حلمه ، بدوت له وكأني غير موجود .

كانت أخته وأخوه ينتميان إلى هذا الحلم لهذا تحدث إلى أخيه في هذا الكابوس قائلا «أنت من أعطيته؟»

– إذن ، كيف حصلت على منصب مهم كهذا ، صح؟ سأل نيوت فرانك متعجبا . «بماذا أخبرته؟ أنك تملك شيئا أفضل من القنبلة الهيدروجينية؟»

لم يستوعب فرانك السؤال ، كان يلقي نظره على كامل أنحاء الغرفة باهتمام وكأنه يحاول استيعاب كل ما جرى هنا ، أرخى أسنانه وجعل يصدر بها صريرًا سريعًا ، ويطرف بعينيه خلال كل صرة ، ثم بدأ لونه يعود إلى وجهه ، وهذا ما قاله أخيراً :

– اسمعوني جيدا . . علينا أن ننظف كل هذه الفوضى .

١٠٩. فرانك يدافع عن نفسه

«أيها اللواء» قلت لفرانك ، «أعتقد أن هذا من أصدق التصريحات التي قالها اللواء في هذا العام ، وكمستشاري التقني بماذا تنصحنا بما أنك وضعت كلمة «نحن» في مكانها المناسب . أن

ننظف هذه الفوضى؟»

رد علي فرانك بإجابة مباشرة ، فرقع بأصابعه ، وكان بإمكاني رؤيته يُخرج نفسه من آثار هذه الفوضى . . يتعرف على نفسه ، يعود إليه اعتزازه وطاقته ، مع المُطهرّات ، حُماة العالم ، والمنظفين .

«مكانس ، مجارف ، موقد اللّحام ، موقد كهربائي ، دلاء»

قالها وهو يفرقع ، يفرقع ، يفرقع أصابعه .

– هل تنوي استخدام موقد اللحام على الجثث؟ . سألته

كان فرانك مشغولاً بالتفكير التقني الآن بحيث كان يرقص مع إيقاع فرقعة أصابعه .

– أولا سنكنس القطع الكبيرة على الأرضية ونذوبها في الدلاء فوق مواقد التسخين ، من ثم سوف نمر بلهب اللحام فوق كل إنش مربع من الأرضية لتفادي وجود أي بلورات مجهرية ، أما السؤال فهو ما الذي سنفعله مع الجثث . . والسرير . . .؟»

توقف ليفكر أكثر . .

«محرقة جنائزية!» هتف أخيرًا ، معجبًا بنفسه بشدة . «سأبني محرقة جنائزية كبيرة خارجًا قرب الشص ، ونأخذ الجثث والسرير إليها ونلقي بهم هناك» .

ونهض كي يغادرنا ليأمر ببناء المحرقة وكي يجلبوا الأشياء التي نحتاجها لتنظيف الغرفة .

أوقفته أنجيلا «كيف يمكن أن . .؟» كانت تريد أن تعرف . .

ابتسم لها فرانك ابتسامة باهتة «سيكون كل شيء على ما يرام»

– كيف سمحت لنفسك أن تعطيه لرجل مثل بابا مونزانو؟ سألته أنجيلا .

– دعينا ننظف الفوضى أولاً ثم سنتحدث في الموضوع . أمسكته أنجيلا من ذراعه ولم تتركه يمضي «كيف استطعت أن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تفعل ذلك!» هزته بعنف .

انتزع فرانك يد أخته وتلاشت ابتسامته الباهتة وتحول لبرهة من الزمن إلى كائن مخيف وشرّير وأخبرها بكل ازدراء «لقد اشتريت لنفسي عملاً ، تمامًا كما اشتريت لنفسك زوجًا ، وتمامًا كما اشترى نيوت أسبوع عسل في كابي كود مع تلك القزمة الروسية» .

وعادت ابتسامته الباهتة إلى وجهه .

غادر فرانك ، وصفق الباب .

١١٠. السِفر الرابع عشر

أحيانا فإن الپول-پاه أخبرنا بوكونون ، «يتجاوز قدرة البشر على وصفه» وهكذا ترجم بوكونون الپول-پاه في أحد المواضع في **أسفار بوكونون بـ'عاصفة الخراء'** وفي أخرى بـ«غضب الرب» .

وعرفت مما قاله فرانك قبل أن يصفق الباب وراءه أن جمهورية سان لورينزو والهوينيكر الثلاثة ليسوا الوحيدين الذين يملكون الجليد-٩ .

فمن الواضح الآن ، أن الولايات المتحدة الأمريكية وجمهوريات الإتحاد السوفييتي الاشتراكية تملكه أيضا ، الولايات المتحدة الأمريكية امتلكته عبر زوج أنجيلا وهذا ما يوضح لماذا منشأته في إنديانا بوليس محاطة بالأسلاك الكهربائية الشائكة وكلاب الرعاة الألمانية المدربة ، أما روسيا السوفيتية فقد حصلت عليه عبر نيوت بواسطة زينكا القزمة الصغيرة ، تلك الراقصة الجميلة الفاتنة من الباليه الأوكراني .

«لا تعليق» بالنسبة لي على هذا .

أحنيت رأسي وأغمضت عيناي وانتظرت عودة فرانك بهذه الأدوات المتواضعة كي ننظف هذه الغرفة . . غرفة واحدة من بين

كل غرف النوم في العالم . . غرفة نوم موبوءة بالجليد-٩ .

ومن مكان ما في شرودي البنفسجي المخملي هذا ، سمعت أنجيلا تقول شيئا ما لي ، لم تكن تدافع عن نفسها كانت تدافع عن الصغير نيوت «نيوت لم يعطِها ذلك . . هي من سرقته» .

ولم أجد أن هذا التبرير كان مهما .

«أي أمل للإنسانية الآن؟ «فكرت» عندما يكون هناك رجال مثل فيليكس هوينيكر يقدم مثل هذه الأشياء العجيبة كالجليد-٩ لمثل هؤلاء الأطفال ساذجي التفكير من بين كل النساء والرجال في العالم؟»

وتذكرت السفر الرابع عشر من **أسفار بوكونون** والذي قرأته كله ليلة أمس ، كان السفر الرابع عشر معنونا بـ«ما الذي يمكن أن يأمل به إنسان مثقف لمستقبل الإنسانية على الأرض بالنظر إلى التجربة التاريخية لآخر مليون سنة؟»

لم أستغرق وقتاً طويلاً في قراءة السفر الرابع عشر لأنه كان يحتوي على كلمة واحدة تنتهي بنقطة وكانت :

«لا شيء .»

١١١. انقضاء المهلة

عاد فرانك وهو يحمل المكانس والمجارف ومواقد اللحام ومواقد تسخين تعمل بالكيروسين ، ودلواً قديماً لكنه يبدو جيدا ، وقفازات مطاطية .

لبسنا القفازات كي لا تتلوث أيدينا بالجليد-٩ ، وضع فرانك موقد التسخين على اكسليفون مونا السماوية والأصلية : القديم فوقه . التقط فرانك من الأرضية قطع الجليد -٩ الكبيرة ووضعناهم في الدلو وبدأت بالذوبان وعادت إلى طبيعتها الأصلية : ماءً عاديا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عذبا ، وغير مؤذي .

وبينما أنا وأنجيلا نكنس الأرضية ، كان نيوت ينظر أسفل الأثاث باحثا عن قطع الجليد-٩ الصغيرة التي ربما أغفلناها . وكان فرانك يتتبع كنسنا بلهب موقد اللحام .

أحسسنا بالسكينة التي تشعر بها خادمات الغرف وعمال النظافة الذين يعملون في وقت متأخر من الليل . . وفي هذا العالم الفوضوي ،على الأقل نحن ننظف مكاننا الصغير .

وخلال هذا الشعور المطمئِن ، سمعت نفسي أسأل نيوت وأنجيلا وفرانك بنبرة ودية أن يخبروني عن ليلة عيد الميلاد التي توفي فيها الرجل العجوز وأن يخبروني عن الكلب .

وبفرح أطفال يعتقدون أن كل شيء سيكون على ما يرام لأنهم يقومون بالتنظيف . . حكى لي الهوينيكر الحكاية .

والحكاية كانت كالتالي :

في ليلة عيد الميلاد المصيرية تلك ، ذهبت أنجيلا إلى المدينة لشراء مصابيح شجرة عيد الميلاد ، أما نيوت وفرانك فذهبا للتمشية على الشاطئ الشتوي المهجور أين التقيا بكلب لابردور أسود ، كان الكلب ودودا . . كما هي كل كلاب فصيلة اللابرادور ، وهكذا فقد تبع نيوت وفرانك عندما رجعا للمنزل .

أما فيلكس هوينيكر فقد مات ، مات على الكرسي الخيزراني الأبيض ناظرا إلى الخارج ، إلى البحر بعدما غادر أبناؤه .

وطيلة اليوم ، كان العجوز يغيظ أولاده بكلمات تلمح عن الجليد-٩ عارضا لهم إياه في زجاجة تحمل شعار الجمجمة وعظمتين متقاطعتين ، في ذلك الشعار كتب : «خطر! الجليد-٩! يحفظ بعيدا عن الرطوبة!»

وطيلة ذلك اليوم أيضًا ، كان العجوز يزعج أولاده بعبارات مثل

هذه ، كان يقولها بلهجة مرحة : «هيا . . شغّلوا عقولكم قليلا . . لقد أخبرتكم أن نقطة انصهاره هي مئة وأربعة عشر فاصل أربع درجة فهرنهايت . وأخبرتكم أنه ليس مكونًا من شيء عدا الهيدروجين والأكسجين . إذن ما تفسير كل هذا؟ فكروا قليلاً! لا تخافوا من فتح أذهانكم قليلا فلن تتحطم . .»

قال فرانك متذكرًا تلك الأيام الماضية «كان دائمًا ما يقول لنا أن نفتّح عقولنا»

«لقد استسلمت في محاولتي لإجهاد ذهني منذ طفولتي «اعترفت أنجيلا وهي تستند إلى مكنستها» لم أكن أستطيع حتى الإصغاء إليه عندما يبدأ بالحديث عن العلم . وكنت أومئ له وأتظاهر أني أحاول فتح ذهني ، لكن هذا الدماغ المسكين . . كما هو العلم . . لم يكن ليمتد أكثر من رباط حذاء قديم» .

ومن الواضح أنه قبل أن يجلس في مقعده الخيزراني ويموت . . قام العجوز ببعض الألعاب القذرة في المطبخ بالماء وأواني الطعام والمقالي والجليد-٩ . كان -لا وبد- يحوّل الماء إلى الجليد-٩ ويعيده إلى الماء مجددا ، وكان قد جرب ذلك في كل آنية ومقلاة كانت في المطبخ ، وكان قد أخرج محرار اللحوم أيضًا كي يقيس به الحرارة .

ويبدو أن الرجل العجوز لم يبقى في كرسيه إلا لفترة قصيرة ، لأنه ترك فوضى عارمة في المطبخ ، وجزء من هذه الفوضى كان قِدرا صغيرًا مليئًا بالجليد-٩ الصلب . كان ولا ريب ينوي أن يذيبه ، كي يقلل من كمية الجليد-٩ الموجودة في العالم ككل ، كان ينوي أن يجزّئه إلى قطع صغيرة ليجعلها في زجاجة بعد انقضاء بعض الوقت .

لكن وكما أخبرنا بوكونون «أي إنسان يمكن أن يتحدث عن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

'بعض الوقت' ، لكن لا أحد يمكنه أبداً أن يخبرنا كم بالضبط سيستغرق ذلك 'البعض من الوقت' .»

١١٢. حقيبة يد والدة نيوت

«كان عليّ أن أعرف أنه كان ميتًا منذ لحظة وصولي . «قالت أنجيلا وهي تستند إلى مكنستها مجددًا .» كرسي البامبو ذاك . . لم يكن يصدر أي صوت . . كان دائمًا ما يصدر الصرير عندما يجلس عليه والدي ، وكان يصدر الصرير حتى لو كان والدي نائمًا» .

لكن أنجيلا اعتقدت أن والدها كان نائمًا . . لهذا مضت في تزيين شجرة عيد الميلاد .

عاد فرانك ونيوت مع كلب اللامبردور الودود ، ودخلا إلى المطبخ كي يقدما شيئا يأكله الكلب . ووجدا ما تركه الرجل العجوز .

كانت هناك مياه على الأرضية فأخذ نيوت منشفة وبدأ بتجفيفها . ثم ألقى المنشفة على كاونتر المطبخ . وكما هو متوقع سقطت المنشفة في القدر الذي يحتوي الجليد-٩ .

ظن فرانك أن القدر تحتوي مخفوقًا لنوع من الكعك ، وأنزل القدر كي يُري نيوت ماذا فعل بلامبالاته لرميه المنشفة هكذا ، نظر إليها نيوت من السطح ووجد أن المنشفة أصبحت بشكل غريب ، كانت معدنية ملتوية كما لو أن نسيجها حيك من خيوط ذهبية رفيعة .

«السبب الذي جعلني أصفها بنسيج ذهبي» قال الصغير نيوت . . هنا في غرفة نوم بابا . «لأنها ذكرتني فوراً بحقيبة يد والدتي ، وكيف كانت تلك الحقيبة» .

شرحت أنجيلا بعاطفية أنه لما كان نيوت صغيرًا خبأ حقيبة يد

والدته الذهبية والتي كان يعتقد أنها حقيبة سهرة صغيرة .

«لقد كانت شيئًا مسليًا بالنسبة لي ، لم تبدو كأي شيء آخر ألمسه «قال نيوت وهو يسترجع شغفه بحقيبة اليد» أتساءل ما الذي حصل لها الآن»

قالت أنجيلا «وأنا أتساءل ما الذي حصل للكثير من الأشياء» . . وتردد هذا السؤال عبر الزمن بشكل محزن وضائع .

أما ما الذي حصل للمنشفة التي تبدو كحقيبة يد صغيرة على أية حال فهو أن نيوت أخذها ورمى بها إلى الكلب . لعقها الكلب وتجمد ميتًا .

هرع نيوت إلى والده كي يخبره عن الكلب المتجمد ووجد أباه ميتا أيضا .

١١٣. تاريخ

وأخيرا انتهى عملنا في غرفة نوم بابا .

لكن لا تزال هناك الجثث التي لا بد من نقلها إلى المحرقة الجنائزية . والتي قررنا أن تظهر بأبهة كاملة . وهكذا أجّلناها إلى أن ينتهي الاحتفال بذكرى شهداء الديمقراطية المائة .

وآخر شيء فعلناه كان رفع فون كوينجزفالد على قدميه بغرض تنقية المكان الذي كان فيه ،ومن ثم خبأناه كما هو واقفا على قدميه في خزانة ثياب بابا .

لا أدري حتى لماذا خبأناه . . ربما لنحسن صورة الغرفة وحسب .

وبعدها حكوا لي عن كيفية تقسيمهم لتركة العجوز من الجليد-٩ ، وكانت تفاصيل الجريمة كالتالي : لم يهتم الهوينيكر ماذا سيقول أي أحد ، أي شيء حول شرعية امتلاكهم للجليد-٩

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كملكية شخصية لهم . لكنهم بدأوا يتكلمون حول ماذا يتذكرون مما قاله والدهم مُفتّح العقول . . ولم يتطرقوا أصلاً إلى أخلاقيات هذا الفعل .

– من قام بالقسمة؟ سألت .

كان الهوينيكر قد طمسوا ذكرياتهم عن ذلك الحادث لدرجة أنه كان من الصعب أن يتذكروا هذا التفصيل الصغير .

– لم يكن نيوت . قالت أنجيلا أخيرًا . «أنا متأكدة من هذا»

وفكر فرانك بصعوبة «إذن سيكون إما أنا أو أنت»

– أنت أخذت ثلاثة برطمانات من على رف المطبخ . قالت أنجيلا . «لأننا لم نحصل إلا في اليوم التالي على ترموس لكل واحد منا» .

– هذا صحيح «وافق فرانك . . ثم أخذتُ لقاطة الجليد والتقطت الجليد–٩ من القدر» .

– هذا صحيح قالت أنجيلا «فعلت . . ثم أحضر أحدٌ ما ملاقط من الحمام»

رفع نيوت يده الصغيرة «أنا من قمت بذلك»

كان فرانك وأنجيلا مندهشان وهما يتذكران كيف كان نيوت الصغير جريئًا .

«كنت أنا من التقط القطع ووضعتهم في البرطمانات» حكى نيوت دون أن يحاول حتى أن يخفي فخره بهذا .

– وما الذي فعلتموه بالكلب؟ سألتُهم ببرود

«وضعناه في الفرن» قال لي فرانك . «كان الشيء الوحيد الذي يمكن فعله» .

«التاريخ!» كتب بوكونون «اقرأه وأَجْهِش بالبكاء!»

١١٤. عندما أحسست بالرصاصة تخترقُ قلبي

وهكذا ، ومرة أخرى صعدت عبر الدرج الحلزوني في برجي ، ومرة أخرى وصلت إلى سطح قلعتي ، ومرة أخرى نظرت إلى ضيوفي ، خدمي وعبيدي وبحري الهادئ .

كان الهوينيكر معي . أغلقوا غرفة بابا . وأخبروا خدم المنزل أن بابا يشعر بتحسن .

كان الجنود يبنون المحرقة بجانب الشص ، ولم يكونوا يعرفون لأي غرض ستستعمل .

كانت هناك الكثير جدا من الأسرار ذلك اليوم .

معقد ، معقد ، معقد .

وبما أنني رأيت أن الاحتفال قد بدأ بالفعل أخبرت فرانك أن يقترح على السفير هورليك مينتون أن يقدم خطابه .

تقدم السفير إلى حافة الشرفة حاملاً إكليل الزهور التذكاري في حقيبته ، وقدم خطابًا رائعًا عن شرف ومجد شهداء الديمقراطية المائة . وليظهر تقديره العميق لتضحيتهم ولبلادهم ، نطق هورليك هذا المقطع بلهجة أهل لورينزو . وكان هذا المقطع من الخطاب رشيقًا وسهلاً على شفتيه .

أما باقي الخطاب فكان بالإنجليزية الأمريكية وكان الخطاب مكتوبًا معه ، رنانا ومنمقًا كما أتصور . ولم أدرك أنه سيتحدث فقط بهذا الخطاب إلى القلة من مواطنيه الأمريكيين الذين سيفهمونه ، وضع الخطاب الرسمي جانبًا ،

داعَبَت نسمة البحر شعره الخفيف ، «أنا على وشك أن أفعل شيئا غير دبلوماسي بالمرة» صرح . . «أنا بصدد أن أخبركم عن شعوري الحقيقي»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ربما كان مينتون قد استنشق الكثير من الأسيتون ، أو ربما كان لديه فكرة عما يوشك أن يحدث للجميع باستثنائي وعلى أية حال فقد قدم خطابا بوكونونيا بشكل مثير للدهشة .

«لقد اجتمعنا هنا ، يا أصدقائي ، على شرف شهداء الديمقراطية المائة ، أطفال ميتون . . كلهم ماتوا . . قتلوا في الحرب ، ومن المعتاد جدا في أيامنا هذه أن نسمي الأطفال رجالاً ، لكني لا أستطيع أن أقول عنهم أنهم رجال لسبب بسيط : لأنه في نفس هذه الحرب التي قُتل فيها شهداء الديمقراطية المائة . . مات فيها ولدي أيضًا .

روحي تصرّ أنها كانت تبكي طفلاً لا رجلاً .

أنا لا أقول أن الأطفال في الحرب لا تموت كالرجال . . لو أنهم ماتوا فذلك شرف أبدي لهم وعار أبدي علينا . لقد ماتوا كالرجال . . وهذا ما يجعل من الابتهاج العميق في الأعياد الوطنية ممكنًا .

رغم ذلك . فإنهم قتلوا أطفالاً .

وأقترح عليكم لو كنا نريد فعلا تقديم احترامنا الخالص لهؤلاء المائة من أطفال سان لورينزو الضائعين ، فعلينا أن نقضي هذا اليوم نُدين الشيء الذي تسبب بقتلهم . . والذي هو بالأحرى غباء ووحشية البشرية جمعاء .

ربما . . عندما نتذكر الحروب ، يجب علينا أن نخلع ملابسنا ونطلي أنفسنا باللون الأزرق ونمشي على أربع طيلة اليوم ونقبع كما الخنازير . هذا بالطبع سيكون أكثر مناسبة من الخطابات الممتازة واستعراضات الأعلام والأسلحة الجيدة .

لا أقصد أن أنكر العرض الدفاعي الجميل الذي نحن على وشك رؤيته والذي سيكون بالتأكيد مثيرًا . .»

ثم نظر إلى كل واحد منا في عينيه ، وواصل بهدوء ولطف - ملقٍ بهما بعيدا «وكما أقول ، مرحى للعروض المثيرة»

وكان علينا أن نرهف سمعنا للغاية كي نسمع ما الذي قاله مينتون بعد هذا :

«لكن بما أن اليوم هو يوم تشريف الأطفال المائة الذي قتلوا في الحرب ، فهل هو يوم مناسب للعروض المثيرة؟

الإجابة هي نعم بشرط واحد : هي أن نعمل نحن المحتفلون بوعي وبلا كلل على الحد من غباء ووحشية أنفسنا وكافة البشرية»

«هل ترون ما الذي جلبته معي؟» سألنا .

فتح الحقيبة وظهر لنا القماش القرمزي الداخلي للحقيبة وإكليل الزهور الذهبي ، كان الإكليل مصنوعًا من الأسلاك وأوراق غار اصطناعية وكلاهما كان مطليًا برذاذ ملون .

كان الإكليل مغلفا بشريط حريري قشدي اللون طبعت عليه كلمة «PRO PATRIA»

وتلا مينتون قصيدة من كتاب «مختارات شعرية من سبون ريفير» لإدجار لي ماسترز ، قصيدة كانت- ولا بد- غير مفهومة بالنسبة لأهالي سان لورينزو وبالنسبة أيضًا لـ اتش لاو كروسبي وهازيل ولأنجيلا وفرانك .

«لقد كنتُ أول قطوف معركة ميسونيري ريدج .
وعندما شعرت بالرصاصة تخترق قلبي
تمنيت لو أني بقيت في المنزل وذهبت للسجن
بسبب سرقة خنازير كرول ترينارى .
وبدل الذهاب بعيدا للالتحاق بالجيش .
وبدل ألف مرة من سجن المقاطعة
أتكئ تحت التمثال الرخامي المجنح .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أمام قاعدته الغرانيتية
التي تحمل كلمات «برو بارتيا»
«ما الذي تعنيه هذه الكلمات على أي حال؟»
كرر السفير هورليك مينتون «ما الذي تعنيه هذه الكلمات على أي حال؟»
إنها تعني «من أجل وطن المرء» وتابع جملته «أي وطن كان» .
هذا الإكليل الذي أقدمه هو هدية من شعب أحد البلدان إلى شعب بلد آخر . لا يهم أي بلد يكون . . فكروا في الشعب . . .
وفي الأطفال التي قتلت في الحرب .
وفي أي بلد مهما كان .
فكروا في السلام
فكروا في المحبة الأخوية .
فكروا في الرخاء .
فكروا كيف سيكون هذا العالم فردوسا لو أن الرجال كانوا لطفاء وحكماء .
وبقدر حمق ووحشية البشر . . فإن هذا اليوم ، يوم جميل
ثم قال السفير هورليك مينتون «أنا ، وباسم قلبي وكممثل لمحبي السلام في الولايات المتحدة الأمريكية أتأسف على أرواح شهداء الديمقراطية المائة لموتهم في مثل هذا اليوم الجميل»
ثم رمى الإكليل من على الشرفة .
ثم سمعنا صوت أزيز في الهواء ، كانت الطائرات الست لسلاح جو سان لورينزو قادمة ، محلقة فوق المياه الهادئة كانت آتية لتصوب على الدُمى التي سماها اتش لاو كروسبي «بالتحديد ، جميع أعداء الحرية»

١١٥. كما ينبغي أن يحدث

اقتربنا من سور القلعة المطل على البحر لرؤية العرض ، لم تكن الطائرات أكبر من حبات فلفل أسود ، وقد تمكنا من رؤيتها لسبب واحد وكما هو مخطط له ، أن الدخان كان يتصاعد منها .

كنا نعتقد أن الدخان كان جزءاً من العرض .

كنت أقف بجانب اتش لاو كروسبي والذي كما هو متوقع كان يتناول بين فترة وأخرى قطع لحم طيور القطرس ويشرب النبيذ المحلى ، كان يزفر برائحة غِراء نماذج الطائرات «الأسيتون» زفيرا يخرج من بين شفتيه اللامعتين من دهون لحم القطرس ، عاودني الشعور بالغثيان .

انسحبت إلى السور الذي يقابل البر أحاول عبّ الهواء في رئتي . . كانت هناك ستون قدمًا من الحجارة القديمة المرصوفة بيني وبين البقية .

في موضعي ذلك ، حجبت القلعة عني رؤية العرض لأن الطائرات كانت تطير على مستوى منخفض . . . لكن شعوري بالغثيان جعلني غير مهتم بذلك .

أدرت رأسي في الاتجاه الذي سمعت منه أصوات الطائرات تزمجر . . ولحظة بدأت تطلق الرصاص ، ظهرت أحد تلك الطائرات التي كان الدخان يتصاعد منها فجأة وهي تحترق .

اختفت من مجال رؤيتي مجدداً وتحطمت على أحد المنحدرات أسفل القلعة . وانفجرت قنابلها ووقودها .

أما الطائرات التي بقيت فواصلت التحليق بزهو . . كان صوتها ينخفض ويبتعد حتى أصبح كأزيز البعوضة .

ثم سمعنا صوت انهيار صخري . كان أحد الأبراج الكبيرة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لقلعة بابا قد تقوّض . . وانهار إلى البحر .

والناس الذين كانوا على السور جهة البحر نظروا بذهول إلى التجويف الفارغ أين كان ينتصب البرج . ثم سمعت انهيارات صخرية من كل الأحجام في تناغم يكاد يكون موسيقيًا .

كان اللحن سريعا جدا . . ثم دخلت أصوات جديدة . . كانت أصوات تحطّم الدعامات الخشبية للقلعة وكأنها تعرب عن أسفها لعدم تمكنها من حمل ثقل القلعة .

من ثم ظهر شقّ كالبرق على بعد عشرة أقدام مني . فصلني الشق عن البقية .

كانت القلعة تبكي وتتأوه بصوت عالٍ .

أدرك الآخرون الخطر الجسيم المحدقَ بهم . . فهم فوق أطنان من الحجارة المبنية والتي كانت تترنح على وشك السقوط .

وعلى الرغم من الشق الذي كان بعرض قدم فقط ، فقد بدأ الناس يعبرونه بقفزات بطوليّة .

كانت عزيزتي مونا هي الوحيدة التي عبرت الشق بقفزة بسيطة .

صرّ الشق وانغلق للحظة ثم اتسع أكثر وكأنه يغمز لنا بوحشية ، وكان البعض لا يزال محاصرا فوق هذا الفخ المائل ، اتش لاو كروسبي وهازيل والسفير هورلينك مينتون وكلير .

أما أنا وفيليب كاستل فقد قفزنا عبر الهوة وسحبنا كروسبي وزوجته لبر الأمان . وكانت أيدينا تمتد الآن بتوسل إلى مينتون وزوجته .

بدت ملامحهم هادئة . . لم أستطع حتى أن أخمّن فيما كانا يفكران . . لكني أعتقد أنهما كانا يفكران بعزة النفس ،هذا الشعور الذي كان يطغى على أي مشاعر أخرى لديهما .

لم يكن الهلع من طبيعتهما ، لكني لا أعتقد أن الانتحار كان طريقتهم في فعل الأمور أيضًا ، ومهما يكن فهذا الأسلوب في التصرف قد أدى إلى حتفهما ، انجرفت بهما القطعة التي كانا عليها بعيدًا عنا كما لو كانت سفينة تبحر بعيدًا عن مينائها .

لم أكن الوحيد الذي تخيل مثل هذه الصورة لهما ، بل يبدو أنهما أيضا كانا يفكران أنها نزهة ، لهذا لوحا لنا بأيديهما ببالغ اللطف .

أمسكا بأيدي بعض .

وواجها البحر .

تقدما إلى الأمام ثم قفزا إلى الأسفل بسرعة . . قُضي الأمر!

١١٦. - آه-هووووم كبيرة

كانت الحافة المنهارة للهوة على بعد إنشات من قدمي . نظرت إلى أسفل . . كان البحر ذو المياه الهادئة قد ابتلع كل شيء . . وبزغت منه سحابة كثيفة بطيئة من الغبار . . وكان هذا هو الأثر الوحيد لكل ما سقط هناك .

فقد القصر قناعه الكبير الذي كان مواجهًا للبحر . . وأضحى الآن يحيّي الشمال بابتسامة مجذوم بأسنان ناتئة وحادة .

كان شَعره يمثل النهايات المنقسمة للدعامات الخشبية . وأسفلي مباشرة كانت هناك غرفة مفتوحة ، وأرضية تلك الغرفة - وبلا أي شيء يدعمها- اخترقت الهواء كمنصة سباحة .

حلمت للحظة أني أسقط على تلك المنصة لأقفز فاردًا ذراعيّ على أقصاهما كبجعة سماوية من ثم أضم ذراعيّ للغوص أسفل في تلك الأبدية العميقة الدافئة دون حتى أن أُحدث صوت ارتطام .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

انتبهتُ من حلم اليقظة هذا بنعيق طائر مندفع فوقي ، كان يبدو وكأنه يسألني ما الذي حصل؟ «بو تويت؟» هكذا سألني .

نظرنا جميعا إلى ذلك الطائر ثم إلى طائر آخر ثم انسحبنا مبتعدين عن حافة الهاوية ، مفزوعين ، وعندما خطوت على الصخرة التي كنت أستند عليها بدأت بالانهيار . لم تكن ثابتة أكثر من ثبات لوحة القفز في المسبح . . والآن كنتُ أتأرجح فوقها .

سقطت بعض الصخور على الغرفة في الأسفل مشكِّلة ما يشبه النهر . وأسفل ذلك النهر كان لا يزال أثاث الغرفة موجودًا .

سقط الاكسليفون أولاً بسرعة . . كان مسرع بسبب عجلاته الصغيرة . . ثم لحقت به طاولة سرير في سباق مجنون مع موقد اللحام ، وتبعتهم الكراسي في مطاردة ساخنة .

وفي مكان ما ، في قعر الغرفة ، خارج مجال رؤيتي ، كان هناك شيء ما . كان يهتز بقوة وعلى وشك السقوط إلى أسفل عبر هذا الشلال الصخري . .

وأخيرا ظهر الزورق الذهبي . الزورق الذي يحمل جثة بابا .

ووصل أخيرًا إلى نهاية الشلال ، اهتزت جثة بابا المقوسة ، وسقط من الحافة . . إلى أسفل سقطت الجثة ، كان بابا يسقطُ بلا نهاية ، كان يسقط وحده . أغلقتُ عيناي .

ثم سمعت صوت إغلاق لطيف لبوابة بحجم السماء . كان باب السموات قد أُغلق بلطف . .

كان صوتَ آه-هووووم كبير .

فتحتُ عيني وكان البحر كله قد أصبح الجليد-٩ .

الأرض الخضراء الرطبة أصبحت بيضاء زرقاء متلألئة . كانت السماء مظلمة ، وبوراسيسي أو الشمس . . أصبحت كرة صفراء باهتة ، صغيرة وشاحبة .

امتلأت السماء بالديدان . كانت تلك الديدان أعاصير في الحقيقة .

١١٧. ملاذ

نظرت أعلى ، إلى السماء أين كان الطائر من قبل . كان هناك إعصار عملاق بفوهة بنفسجية فوق رؤوسنا تمامًا . كان يئز كسرب من النحل ، كان يتمايل . يتلوى بفحش ، وهو يلتهم الهواء .

بدأ اتش لاو كروسبي وهازيل بالصراخ «أمريكيون! أمريكيون!» وكأن الأعاصير كانت مهتمة بالغرانفالون الذي ينتمي إليه ضحاياها .

لم أكن أستطيع رؤية كروسبي وزوجته لأنهما نزلا من درج آخر . . كان صراخهم وأصوات الآخرين ولهاثهم إثر الجري تصلني عبر ممرات القلعة .

لم يكن برفقتي أحد سوى مونا السماوية . والتي كانت تتبعني بصمت .

وعندما ترددت ، عبرت أمامي وفتحت باب غرفة الانتظار في جناح بابا . كانت الجدران والأسقف قد اختفت ، لكن الأرضية بقيت ، وفي وسطها كان باب القبو المفضي للزنزانة وتحت السماء المليئة بالأعاصير ، وتحت وميض الضوء البنفسجي لأفواه الأعاصير التي تريد التهامنا . رفعتُ باب القبو ، ووجدنا درجا حديديا يفضي إلى الأسفل . أغلقتُ باب القبو من الداخل . ونزلنا .

وأسفل الدرج وجدنا سرًا من أسرار الدولة . كان بابا مونزانو قد بنى هنالك ملجأ مريحًا مضادًا للقصف .

كان يحتوي فتحة تهوية ومروحة تعمل بدراجة ثابتة ، وخزان مياه مثبت على أحد الجدران ، كان الماء عذبا وطازجا ، ولم يتلوث

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بعد بالجليد-٩ .

وكان هناك أيضًا مرحاض كيميائي ، وجهاز راديو قصير الموجة ، كاتالوغ تجاري لشركة سيرز ، وكانت هناك صناديق للصحون ، والمشروبات الكحولية والشموع ، وكانت هناك مجلدات مجلة ناشيونال جيوغرافيك تعود إلى عشرين سنة .

وكانت هناك نسخة من كتاب **أسفار بوكونون** . وسرير مزدوج . .

أشعلت شمعة وفتحت علبة من حساء البامية بالدجاج من مصبرات كامبل ، ووضعتها على موقد ستيرنو ، وسكبت كأسين من روم فريجين ايزلاندز .

جلست مونا على سرير وجلست على الآخر . «أنا على وشك قول شيء لا بد وأن الرجال قالوه للنساء ألوف المرات من قبل»

قلت لها ، وتابعت كلامي «ومع ذلك ، أعتقد أن كلماتي هذه تحمل معاني أعمق من أي كلمات مثلها قيلت من قبل» .

- أوه؟

فتحت ذراعي وقلت : «تعالِ إليّ»

١١٨. الآنسة الحديدية والزنزانة

كان السفر السادس من أسفار بوكونون مخصصا للألم . بالتحديد عن التعذيب الذي يجريه البشر على البشر . «ما لم أمت على الشص» قال لنا بوكونون «فأنا أتوقع أن أُعامل بطيبة بالغة»

ثم تكلم عن مخلعة الأظافر وأدوات التعذيب والآنسة الحديدية ، وال فيجيلا[١٣] والزنزانة .

(١٣(طريقة تعذيب ايطالية بشعة . (المترجم)

«في كل حالة تعذيب منها ، سيكون هناك الكثير من الصراخ والبكاء .

لكن الزنزانة وحـــدها . . هي من تدعك تفكّر وأنت تموت ببطء .»

وهكذا كنت أنا ومـونا في هذا الرّحِم الحـجـري ، على الأقل نستطيع التـفكير ، وأحـد الأشيـاء التي كنت أفكر فيـهـا هي أن أسباب الراحة في هذه الزنزانة لم تخفف من الشعور أنك محتجز- على أي حال- في زنزانة .

خلال يومنا الأول وليلتنا الأولى تحت الأرض كانت الأعاصير تهز بابا الزنزانة عدة مرات في الساعة .

وفي كل مـرة ينخـفض الضـغط فـجـأة في حـفـرتنا هذه ، تبـدأ آذاننا في الطنين ورؤوسنا في الرنين .

أمـا بالنسـبـة للراديو . . فكان يطقطق ويصـدر ضـوضـاء بشكل ثابت ، لم يكن هناك أي كـلام يصـدر عنه . . لم تصـدر أي إشـارة عن أحد يبث شيئًا ما لو كانت لا تزال هناك حياة في مكان ما هنا أو هناك . . إلا أن أحدا لم يبث أي رسالة .

لا حياة تبث هذا اليوم .

ثم فكرت ، بينـمـا الأعاصير تنثر هنا وهناك صـقيعها الأبيض الأزرق السام من الجليد-٩ في كل مكان ، مدمرة كل شخص وكل شيء فوق الأرض شذر مذر .

كـان كل شيء لا يزال حيًا هناك سيموت قريبـا من العطش أو الجوع أو الغضب أو اللامبالاة .

عدتُ إلى أسفار بوكونون ، وأنا أشعر بأنها لا تزال غير مألوفة بشكل مـا كي تحوي عزاءً روحيا في مكان ما فيها . مـررت سريعًا إلى ما بعد التحذير الذي يوجد في صفحة عنوان السفر الأول :

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«لا تكن أحمقا! أغلق هذا الكتاب فوراً! فهو لا يحتوي شيئا غير الفوما!»

والفوما بالطبع تعني : الأكاذيب .

ثم قرأت التالي :

«في البداية ، خلق الرب الأرض ثم تطلّع إليها في وحدته الكونية ، ثم قال الرب :

ليكن هناك مخلوقات حية من الطين ، وهكذا يمكن للطين أن يرى ما الذي خلقتُه «وكان الرب قد خلق كل دابة تدب على الأرض الآن ، ومن بينها كان الإنسان ، لكن الطين الوحيد الذي كان يتكلم هو الإنسان ، انحنى الرب مقتربًا من الإنسان الطين والذي نهض على قدميه ، ونظر حوله وتكلم . . طرفت عين الإنسان» ما **الهدف** من كل هذا؟» كان يسأل بلطف .

«هل يجب أن يكون كل شيء بسبب؟» سأل الرب .

«بالتأكيد .» قال الإنسان .

«إذن سأترك لك هذا الأمر ، كي تفكر في سبب كل هذا «قال الرب . وذهب بعيدا» .

فكرتُ في أن هذا هراء .

«بالطبع إنه هراء!» يقول بوكونون .

ثم التفتُ إلى مونا السماوية من أجل أن أهتم بأسرار مريحة تبدو لي صفقة جيدة أكثر عمقا من هذا الكتاب .

كنت أستطيع وأنا أتفرس في محياها عبر المسافة التي تفصل السريرين أن أتخيل أسرارًا مرصودة قديمة قدم حواء ذاتها تكمن وراء هذين العينين الجميلتين .

ولن أتكلم الآن عما فعلناه من جنس دنيء بعد هذا . وأعتقد أنه يكفي أن نقول أنه كان كريهًا ومثيرًا للاشمئزاز .

لم تكن الفتاة مهتمة بالتناسل . . كانت تكره الفكرة .

وقبل أن ينتهي هذا الصراع . . كنا ممتنين وقتها أنا وهي لمن اخترع هذا الفعل العجيب من النخير والتعرّق والذي يتم عبره خلق أطفال جدد .

وعائدا إلى سريري ، وأسناني ترتجف . . كنت أظن فعلاً أنها لا تملك أي فكرة عن ممارسة الحب . لكنها قالت لي بلطف : «سيكون من المؤسف للغاية أن ألد طفلا في هذه الأوقات . . ألا توافقني؟»

«نعم» وافقتها

«حسنا . . هكذا يأتي الأطفال الصغار . . في حال لم تكن تعرف هذا» .

١١٩. مونا تشكرني

«اليوم سأكون وزير التعليم البلغاري» أخبرنا بوكونون «وغدًا سأكون هيلين طروادة» . . كان يقصد بمعنى أوضح : أن كل واحد منا يكون ما ينبغي عليه أن يكونه . وأسفل في الزنزانة كان هذا ما فكرت فيه بالضبط بمساعدة أسفار بوكونون .

دعاني بوكونون كي أغني معه :

«نحن نقوم ، بروعة ، بروعة ، بروعة

ما ينبغي علينا ، بشكل غامض ، غامض ، غامض

أن نفعله ، متحيرين ، متحيرين ، متحيرين . متحيرين

حتى نتلاشى ، نتلاشى ، نتلاشى .»

حاولت أن أترنم بهذا وأنا ألهث بينما أقود الدراجة التي تدير المروحة التي تعطينا الهواء . . الهواء المنعش الجميل .

– يتنفس الإنسان الأكسجين ، ويطلق ثاني أكسيد الكربون

«قلت لمونا .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- ماذا؟
- العلم
- أوه
- أحد أسرار الحياة التي تعلمها الإنسان منذ مدة طويلة . هي أن الحيوانات تتنفس ما تطلقه كائنات أخرى ، والعكس صحيح .
- لم أكن أعلم هذا .
- أنت تعلمين الآن .
- شكرًا لك .
- على الرحب .

ولما كنتُ أدير الدواسات لأجعل الهواء أكثر إنعاشًا ولطفًا ، كنت أنزل أحيانًا من على الدراجة وأصعد الدرجات الحديدية لرؤية حال الطقس في الأعلى . كنت أفعل هذا عدة مرات في اليوم .

وفي أحد الأيام . اليوم الرابع . رأيت من خلال شق صغير من باب القبو أن الجو أصبح مستقرًا إلى حد ما .

كان هذا الاستقرار من النوع الديناميكي العنيف . كانت الأعاصير أكثر مما كانت عليه وكانت الأعاصير كثيرة هذا اليوم أيضا لكن أفواهها لم تكن تبتلع الأشياء أو تصل إلى الأرض .

كانت كل الأفواه في كل الاتجاهات قد تراجعت بهدوء إلى ارتفاع نصف ميل تقريبا . كان هذا الارتفاع يتغير بشكل طفيف من لحظة لأخرى كما لو أن جزيرة سان لورينزو كانت مغطاة بقبة زجاجية لا مرئية مضادة للأعاصير .

مكثنا لثلاثة أيام أخرى كي نتأكد أن الأعاصير فعلا مستقرة كما تبدو ، من ثم ملأنا بعض العبوات من خزان المياه وصعدنا إلى أعلى .

كان الهواء جافًا وساخنًا ومفعمًا بالموت .

سمعت أحدا يقترح ذات مرة أن الفصول في منطقة معتدلة يجب أن تكون ستة بدل أربعة : الصيف ، الخريف ، فصل القفل ، الشتاء ، فصل فتح القفل والربيع ، كنت أتذكر هذا لما نهضتُ على قدمي فوق بقرب باب قبو زنزانتنا . كنت أحدق وأرهف السمع وأتشمم .

لم تكن هناك أية روائح ولا أية حركة . وكل خطوة كنت أقوم بها كانت تصدر صريرًا خشنًا ، وكل صرير كان يتردد كصدى ، كان فصل القفل قد انتهى ، وكانت الأرض قد أغلق عليها بإحكام .

كان هذا الشتاء ، الآن وللأبد .

ساعدت مونا في الخروج من الحفرة ، وحذرتها أن تبقي يديها بعيدة عن الصقيع الأبيض الأزرق ، وأن تبقى يديها بعيدًا عن فمها أيضا «من السهل جدًا الآن أن نلقى حتفنا» . قلتُ لها «يكفي أن تلمسي الأرض ثم تلمسي شفتيك لينتهي كل شيء» .

هزت رأسها وتنهدت : أمٌّ سيئة للغاية .

- ماذا؟

«أمنا الأرض . . لم تعد أُمًا طيبة كما كانت من قبل»

«مرحبًا؟ مرحبًا؟ . .» ناديتُ عبر أنقاض القصر .

كانت الرياح الرهيبة قد شكلت أخاديد عبر تلك الكومة من الحجارة ، بدأت أنا ومونا بحثا غير متحمس عن الناجين . غير متحمسين لأننا لم نشعر بوجود أية حياة . . ولا حتى حس فأر ناجٍ يحرك أنفه ويقضم شيئا ما .

أما قوس بوابة القصر فقد كان الشكل الإنساني الوحيد الذي لم يمس . ذهبت إليه أنا ومونا . كان قد كتب على قاعدته كاليبسو بوكونوني كانت الحروف مكتوبة بخط جيد ، وكانت جديدة وهذا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

دليل على أن أحدًا ما نجا من هذه الأعاصير المهولة .

كان الكاليبسو كالتالي :

«يومًا ما ، يومًا ما . . هذا العالم المجنون يجب أن ينتهي .

وسيستعيد ربنا الأشياء التي أعارنا إياها .

ولو أنك في هذا اليوم الحزين أردت أن توبخ ربنا ، لماذا كل هذا؟

امضِ قُدما ووبخه ، سيبتسم فقط ويومئ موافقًا .»

١٢٠. إلى من يهمه الأمر

تذكرت إعلانًا عن مجموعة من كتب للأطفال يدعى كتاب المعرفة . وفي هذا الإعلان . كان هناك بنت وولد مفعمين بالثقة ينظران إلى أبيهما «أبي» سأل أحدهما «ما الذي يجعل السماء زرقاء؟» والإجابة كما هو متوقع توجد في كتاب المعرفة .

لو كان أبي برفقتي بدل مونا وكنت أسير أسفل نحو طريق القصر . . لكان لدي العديد من الأسئلة التي سأسألها وأنا متشبث بيده .

«أبي ، لماذا كل الأشجار متكسرة؟ أبي ، لماذا كل الطيور ميتة؟ أبي ، لماذا السماء مظلمة ومليئة بالثقوب؟ أبي ، ما الذي يجعل البحر قاسيا وصلبا؟»

فكرت أني الأجدر بالإجابة على هذه الأسئلة الصعبة من أي إنسان آخر ، هذا لو كان هناك أي بشر آخرون لا يزالون على قيد الحياة . وفي حال كان أحدهم مهتما . فأنا أعلم ما الذي سبّب كل هذا . . أين وكيف؟

وماذا بعد؟

أتساءل أين يمكن أن تكون جثث الذين ماتوا هنا ، غامرنا أنا

ومونا لأكثر من ميل من زنزانتنا دون أن نرى ولا جثة إنسان واحدة .

كان ينتابني الفضول بالنسبة للناجين . . ومن بقي على قيد الحياة . ربما لأني أحسست أني سأرى العديد من القتلى ، لم أر أي أعمدة من الدخان ربما كانت تصدر من مخيم ما . . لكن حتى لو كانت ، فمن الصعب رؤيتها عبر هذا الأفق المضطرب .

شيء واحد لفت انتباهي : الإكليل الأرجواني الغريب حول قمة جبل مك كابي ، كان يبدو وكأنه يدعوني ، وخطرت لي فكرة سينمائية سخيفة لتسلق هذه القمة مع مونا . . لكن ما الذي يعنيه هذا؟

كنا نسير الآن عبر التضاريس عند سفح جبل مك كابي . أنا ومونا وكأننا بلا هدف . . تركت مونا جانبي وتركت الطريق وتسلّقت أحد تلك التضاريس وأنا تبعتها .

انضممتُ لها أعلى قمة هذا التل ، كانت تنظر إلى أسفل إلى حوض طبيعي واسع ، كانت تنظر بخشوع . . لكنها لم تكن تبكي . .

لكني أعتقد أنه كان من الأفضل لها أن تبكي .

كان هناك في هذا الحوض الآلاف المؤلفة من الموتى . . وعلى شفتي كل واحد منهم كان هناك ذلك الصقيع الأبيض الأزرق للجليد-٩ .

وبما أن الجثث لم تكن متناثرة أو مبعثرة كان من الواضح أن أصحابها قد تجمعوا بعد انحسار الرياح المخيفة .

ولاحظت أن الأصابع في كل جثة كانت قريبة من الفم ، وفهمت أن كل شخص قد أتى بنفسه إلى هذا المكان الكئيب ثم سمم نفسه بالجليد-٩ .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان هناك رجال ونساء وأطفال أيضا ، وكلهم في وضعية البوكو-مارو . كانوا كلهم ملتفين حول مركز الحوض كما لو كانوا مشاهدين في مدرج مسرحي .

تأملتُ أنا ومونا في كل هذه العيون المتجمدة ، ونظرنا إلى مركز الحوض . كانت هناك بقعة خالية في الوسط يبدو أن خطيبًا ما كان يقف عليها هناك .

اقتربت أنا ومونا من تلك البقعة بحذر شديد ، وجدنا صخرة هناك . وتحت الصخرة وجدنا ملاحظة كُتبت بقلم الرصاص وكانت تقول :

«إلى كل من يهمه الأمر : هؤلاء الناس حولكم هم غالبية الناجين في سان لورينزو من الرياح التي أعقبت تجمد البحر . هؤلاء الناس أسروا رجل دين دجّال يدعى بوكونون . وأتوا به إلى هنا وثبتوه في الوسط وأمروه أن يقول لهم بالضبط ما الذي يريده الرب القدير وما الذي عليهم فعله الآن . وأخبرهم هذا الدجال أن الرب بالتأكيد يحاول قتلهم . وربما يريد ذلك عن طريقهم هم . . وهكذا فينبغي عليهم أن يحسنوا التصرف وأن يقتلوا أنفسهم . وكما ترون ، لقد فعلوا» .

كانت الملاحظة موقعة باسم بوكونون .

١٢١. كنتُ بطيئا في إجابتي

«يا للسخرية!» قلت وأنا أرفع عيني من الملاحظة إلى الحوض الطبيعي الذي مُلئ بالموتى .

«هل هو في مكان ما هنا؟»

«لم أره هنا» قالت مونا بلطف . لم تكن متوترة أو غاضبة . في الحقيقة ، كانت تبدو وكأنها على وشك الضحك .

«لقد كان يقول دومًا أنه لن يطبّق نصائحه . لأنها غير مجدية» .

«من الأفضل له أن يكون قريبًا من هنا!» قلت بمرارة «يا لوقاحة الرجل . . أن ينصح كل هؤلاء الناس بقتل أنفسهم!»

ضحكت مونا . . لم أسمعها تضحك من قبل ،كانت ضحكة خرقاء كبيرة .

– هل يبدو لك هذا مضحكا؟

رفعت ذراعيها بكسل «الأمر بسيط جدًا . كل هذا . . إنه يحل كل شيء للجميع . . بسيط جدًا»

ومشت عبر هذه الألوف المتحجرة وهي لا تزال تضحك . وتوقفت في منتصف الطريق إلى أعلى المنحدر والتفتت قبالتي وسألتني «هل تتمنى أن يكون كل هؤلاء أحياء مجددًا لو استطعت أن تفعل ذلك؟ أجبني بسرعة؟»

«أنتَ لست سريعا بما يكفي لإجابتي» أضافت بسخرية .

وبعد نصف دقيقة . . وهي لا تزال تضحك قليلا . . لامست الأرض بأصبعها ثم استقامت ومست شفتيها بإصبعها . وماتت .

هل بكيت؟ هم يقولون نعم . اتش لاو كروسبي وهازيل والصغير نيوتن هوينيكر الذي أتى ليساعدني عندما تعثرتُ أسفل الطريق . كانوا في أحد سيارات أجرة مدينة بوليفار . والتي كانت قد نجت من العاصفة . أخبروني أنني كنت أبكي . . هازيل بكت أيضا ، بكت من الفرحة لأني كنت لا أزال حيا .

استقبلوني في تلك السيارة وأحاطتني هازيل بذراعيها وقالت «أنت مع أمك الآن ، لا تقلق أبدا» .

أصبح قلبي فارغًا ، أغلقت عيني وتركت نفسي أنساب مستندا إلى هذا الذراع الأحمق السمين الرطب .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

١٢٢. عائلة روبنسون السويسرية

أخـذوني لما تبـقى من منزل فـرانكلين هوينيكر على رأس الشلال ، وما تبقى منه كان الكهف الذي أسفل الشلال ، والذي أصبح يشبه كوخ الإسكيمو الجليدي بقبة بيضاء زرقاء شفافة من الجليد-٩ .

كان يدير هذا المكان فرانك والصغير نيوت وعائلة كروسبي ، كانوا قد نجو بفضل زنزانة في القصر . . زنزانة أخرى أعمق بكثير وأسـوأ من زنزانتي ، ثم تحـركـوا خـارجًـا عندمـا بدأت الرياح بالانحسار . . . بينمـا بقيت أنا ومونا تحت الأرض لمدة ثلاثة أيام أخرى وقتها .

وكـمـا حـدث . . وجـدوا السيـارة المعجـزة تنتظرهم تحت قوس بوابة القصر ووجدوا علبة من الطلاء الأبيض وعلى أبواب سيارة الأجـرة رسم فـرانك نجـومًـا بيـضـاء وعلى السـقف رسم حـروف الغرانفالون : و . م . أ

- وهل كتبت شيئا ما تحت القوس؟ قلت .

سألني كروسبي «وكيف عرفت هذا؟»

«أحدهم كتب قصيدة هناك»

لم أسـأل بالمرة كـيف لقت أنجـيـلا هوينيكر كـونرز وفـيليب وجوليان كاستل حتفهم ، كنت أريد أن أتحدث عن كيف كانت نهاية مونا . . لكني لم أكن مستعدا لهذا بعد .

وتأكدت من عدم رغبتي أن أناقش موت مونا عندما صعدت إلى سيارة الأجرة . . بدت لي عائلة كروسبي والصغير نيوت أناسا مبتهجين بشكل ما بهذه الحوادث . . مبتهجين بشكل غير لائق .

وقدمت لي هازيل دليلا على البهجة بقولها : «انتظر حتى ترى

كيف نعيش الآن ، لقد أتينا بكل أطايب الطعام ، وعندما نريد الماء . . نشعل النار ونذوب بعضه ، عائلة روبنسون السويسرية[١٤] ، هذا ما نسمي به أنفسنا الآن» .

١٢٣. عن الفئران والرجال

مرّت ست أشهر مثيرة ، الست أشهر التي كتبت فيها هذا الكتاب ، كانت هازيل محقة بشأن تسميتها لمجموعتنا هذه بعائلة روبنسون السويسرية . لأننا بعد أن نجونا من العاصفة عشنا منعزلين ،وأصبحت الحياة أسهل بكثير فعلا ولم تكن كذلك لولا فتنة وسحر فيلم ديزني والت .

لم تنجو أي نباتات أو حيوانات . هذا صحيح ، لكن الجليد-٩ حفظ الخنازير والبقر والأيائل الصغيرة وعناقيد من الطيور والتوت البري نحتاج إليها لتذويبها وطهيها . علاوة على هذا كان هناك الكثير جدا من الطعام المعلّب الذي يمكن استخراجه من أنقاض

---

١٤ عائلة روبنسون السويسرية هو فلم أمريكي صدر العام ١٩٦٠ ، استلهم الفلم رواية جوهان دافيد ويس التي كان عنوانها الأصلي «روبنسون السويسري» وصدرت العام ١٨١٢ ، أخرج الفلم كين أناكين وحقق نجاحا تجاريا كبيرا وتتحدث الرواية عن مغامرات أسرة لجأت إلى جزيرة بعد أن تحطمت السفينة ثم غرقت ، ونجحت العائلة في النجاة والعيش بموارد الجزيرة ، وهذه الرواية ، وإن كانت تحاكي رائعة دانيال ديفو : «روبنسون كروزو» ، إلا أنها تتميز بخصائص مهمة عن رائعة دانيال ديفو وتتفوق عليها في بعض الجوانب ، تُرجمت الرواية إلى اللغة الإنكليزية بعد صدورها العام ١٨١٢ بعامين ، وأصبحت في عام واحد فقط من الكتب الأكثر شعبية ومن أشهر قصص الأطفال الكلاسيكية . (المترجم)

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بوليفار ، يبدو أننا الناجين المتبقين في سان لورينزو .

لم يكن الغذاء مشكلة ولا حتى الملابس والمأوى . وبالنسبة للطقس الذي كان جافًا ومميتًا وساخنًا . . كانت صحتنا جيدة بشكل يبعث على الملل . ومن الواضح أن كل الجراثيم كانت ميتة أيضًا أو في حالة سبات .

تكيَّفنا مع الوضع بشكل رائع جدًا ، كنا مرتاحين وراضين عن أنفسنا ، لدرجة أنه لا أحد سيعترض أو يتعجب لما تقول هازيل فجأة : «شيء جيد آخر ، لا يوجد أي بعوض!»

كانت تجلس على كرسي بثلاث أرجل في المكان الخالي حيث كان بيت فرانك موجودًا . كانت تحيك شرائط من الثياب من الأحمر والأبيض والأزرق مع بعضها مثل بيستي روس[١٥] ، كان تحيك العَلَم الأمريكي ، لكن لم يخبرها أحد أن الأحمر الذي تستعمله كان في الحقيقة لونًا قرنفليًا ، وأن الأزرق كان بالتقريب أخضر غامقًا ، وأن الخمسين نجمة التي شكلتها كانت نجومًا بستّ رؤوس كنجمة داود ، بدل نجوم الخمس رؤوس الأمريكية .

أما زوجها والذي كان طاهيًا ماهرًا . فقد كان يطهو الآن حساءً في وعاء حديدي على نار أوقدت بالخشب بالقرب من هنا ، كان يقوم بكل أعمال الطهي لنا ، هو يحب الطبخ .

«يبدو طيبًا ، ورائحته شهية» علقت على هذا .

---

(١٥) الزابيث فويبي «بيتسي» روس (جانفي ١٧٥٢ - جانفي ١٨٣٦) تُعرف أيضا باسمها الزوجي الثاني والثالث : آشبورن ، كلاي بول ، وهي معروفة على نطاق واسع لنيلها التقدير الوطني الأسمى لخياطتها وتصميمها العلم الأمريكي الأول العام ١٧٧٦ ، كما تروي أسرتها ، وذلك بعد أن زارها الجنرال جورج واشنطون القائد العام لقوات المشاة في الجيش القارّي .

طرفت عيناه وقال «لا تزعجوه ، لا تفسدوا الطبيخ ، فهو يقوم بأفضل ما لديه» .

أما الخلفية الصوتية لمحادثتي أنا وكروسبي فكانت أصوات ضوضاء الدا دا والديت ديت ديت لجهاز الإنقاذ S.O.S ذي الإرسال الأوتوماتيكي الذي صنعه فرانك . كان يرسل نداء استغاثة ليل نهار .

«أنقذوا أرواااااااااحنا» رددت هازيل مغنية مع المرسِل بينما كانت تخيط ، «أنقذوا أرواااااااااحنا» .

«كيف هي الكتابة معك؟» سألتني هازيل .

«جيدة أمي . . جيدة وحسب»

«متى ستعرض علينا بعضا منها؟»

«عندما يحين الوقت ، أمي ، عندما يحين الوقت»

«العديد من الكتّاب المشهورين كانوا من الهوزر»

«أعلم»

«ستكون واحدًا من طابور طويل ، طويل جدًا» . ابتسمت بأمل .

«هو كتاب فكاهي صح؟»

«آمل ذلك أمي .»

«أحب الضحك»

«أعلم هذا»

«كل فرد هنا لديه تخصص ما ، شيء ما يقدمه للبقية ، أنت تكتب الكتب التي تجعلنا نضحك ، وفرانك يهتم بالأمور العلمية ، والصغير نيوت يرسم لنا اللوحات ، وأنا أخيط ولُوي يطبخ»

«العديد من الأيدي تجعل العمل سهلاً ، كما يقول مثل صيني قديم»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

«هؤلاء الصينيون أذكياء في العديد من الأمور»

«نعم ، دعينا نبقي ذاكرتنا نشطة»

«أتمنى الآن لو كنت قد قرأت عنهم أكثر»

«حسنا . سيكون من الصعب فعل ذلك حتى لو كنا في ظروف جيدة»

«أتمنى الآن أني درست كل شيء أكثر»

«جميعنا لدينا ما نتأسف عليه ، أمي .»

«لا فائدة من البكاء على الحليب المسكوب» .

«كما قال الشاعر ، أمي : من بين كل كلام الفئران والرجال ، أكثرها حزنا هي : «لو أنني . .»

«هذا جميل جدًا ، وصحيح جدًا»

١٢٤. مزرعة فرانك للنمل.

لم أتحمل أن أرى هازيل تنتهي من العلم ، لأنني كنت أصلاً ضمن خططها لهذا العلم ، كانت لديها فكرة أنني وافقت أن أضع هذا الشيء السخيف على قمة جبل مك كابي .

«لو كنَّا أنا ولاو شابين لفعلنا ذلك بأنفسنا . والآن كل ما يمكن أن نفعله هو أن نعطيك العلم ونتمنى لك التوفيق»

«أمي أتساءل حقًا ما إذا كانت القمة هي مكان جيد للعلم»

«أي مكان من غيره إذن؟»

«سأفكر في ذلك جديا» ثم استأذنت وذهبت إلى أسفل ، إلى الكهف كي أرى ما الجديد مع فرانك .

لم يكن لديه أي جديد ، كان يراقب مزرعة نمل قام ببنائها ، كان قد حفر وأنقذ بعض النملات اللائي وجدهن في العالم الثلاثي الأبعاد لأنقاض بوليفار وخفض الأبعاد إلى اثنين بوضع

تراب مع النمل بين لوحين زجاجيين .

لن يستطيع النمل فعل أي شيء دون أن يحتجزه فرانك هنا ويغلق عليها .

وحلّت هذه التجربة في وقت قصير السر في كيفية أن النمل نجا في عالم دون ماء . وعلى حد علمي . فهي الحشرات الوحيدة التي نجت وفعلوا هذا بتشكيل أجسادهم ككريّات صغيرة حول حبيبات الجليد-٩ بالتالي تصدر أجسادهم حرارة كافية في وسط تلك الكرة الصغيرة تكفي لقتل نصف عددهم وإنتاج قُطيرة ندى واحدة . كانت القطيرة صالحة للشرب . أما جثث النمل الميت فكانت صالحة للأكل .

«كل واشرب واستمتع ، فربما تموت غدًا» قلتُ متمثلاً لفرانك ولآكلي اللحوم الصغار .

كانت إجابته كالعادة ، وكانت عبارة عن درس مل حول كل الأشياء التي يمكن أن يتعلمها البشر من النمل .

أما ردّي فكان شكليًا أيضًا : «الطبيعة شيء مذهل يا فرانك ، الطبيعة شيء مذهل»

«هل تعلم لماذا النمل ناجح جدًا؟»

سألني للمرة الألف . «لأنهم يتعاونون»

«إنها كلمة جميلة جدا : التعاون»

«من علمهم كيف يحصلون على الماء؟»

«من علمني كيف أحصل على الماء؟»

«هذه إجابة سخيفة كما تعلم»

«آسف»

– لقد مر زمن كنت آخذ إجابات الناس السخيفة بجدية . . تجاوزت ذلك الآن .

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- إنجاز مهم .
- نضوج على ما أعتقد .
- كلفني هذا مدة من الزمن في هذا العالم . .

كنت أستطيع أن أقول أشياء كهذه لفرانك دون أن أتأكد من أنه كان يصغي إليّ حقًا .

«ومر زمن كان الناس يمكن أن يخدعونني بكل سهولة لأني لم أكن أملك ثقة كبيرة في نفسي»

«هناك عدد قليل جدا من البشر على الأرض يمكن أن يمضي بعيدا في حل مشاكلك الاجتماعية» قلتُ له مجددًا لكني كنت أتكلم إلى رجل أصم . .

«أخبرني ، أخبرني . . من علّم النمل كيف يحصل على الماء؟» تحداني بالسؤال مجددًا .

وفي عدة مرات اقترحت الرأي الواضح الذي يقول أن الرب هو من علمهم ذلك . ولكني أعلم من سابق خبرتي المتعبة معه أنه لا يرفض ولا يقبل هذه الفرضية . بل استمر بإصرار وعناد يطرح السؤال مرارًا وتكرارًا .

وهكذا انصرفتُ عنه . . تماما كما تنصحني أسفار بوكونون أن أفعل . «كن حذرًا من الإنسان الذي يعمل جاهدًا على تعلم شيء ما ، فهو يتعلمه ، لكنه يجد نفسه جاهلاً كما كان من قبل» . أخبرنا بوكونون «وسيصيبه استياء قاتل من الناس الذين هم جهلاء دون أن يصلوا إلى جهلهم هذا عبر طريق طويل شاقّ» .

ذهبت كي أبحث عن رسامنا . . عن الصغير نيوت .

١٢٥. التَسمانيون

عندما وجدتُ الصغير نيوت ، كان يرسم المنظر الطبيعي الفظيع

على بعد ربع ميل من الكهف ، وسألني ما إن كنت سأوصله إلى بوليفار ليأتي بمواد طلاء للوحات . لم يكن يستطيع القيادة لأنه لم يكن يصل إلى الدواسات .

وهكذا انطلقنا . . وفي الطريق سألته إذا ما كان يشعر بأي اشتياق للجنس ، وتحسرتُ أني لا أشعر بشيء من ذلك ولا حتى مجرد أحلام ، لا شيء .

«من قبل كنت أحلم بامرأة . . بطول عشرين ، ثلاثين أو أربعين قدما» أخبرني . «لكن الآن ، يا إلهي لم أعد حتى أذكر كيف كانت تبدو قزمتي الأوكرانية» .

وتذكرت في الحين شيئا قرأته عن السكان الأصليين لتسمانيا . الذين كانوا عراة في العادة ، عندما تقابلوا لأول مرة مع البيض في القرن السابع عشر ، كانوا لا يعرفون أي زراعة ولا تربية حيوانات ولا أي بناء منازل من أي نوع وربما حتى النار لا يعرفونها . كانوا كائنات جد متدنية في نظر البيض بسبب جهلهم ، وهكذا قام المستوطنون الأوائل الذين كانوا مجرمين منفيين من إنجلترا باصطيادهم كنوع من الرياضة ، وهكذا فهؤلاء السكان الأصليين لم يجدوا بعدها الحياة جذابة أو ذات قيمة . . فتخلوا عن التناسل .

قلت لنيوت الآن أن يأسًا مشابها لهذا هو ما أخصانا .

وقدم نيوت ملاحظة ذكية «أعتقد أن الإثارة التي تتم في السرير ، أهم من الإثارة الحاصلة لحفظ النوع البشري . . أهم بكثير مما يتخيل الناس» .

«بالطبع لو كان بيننا امرأة قادرة على التناسل ، ستتغير الوضعية بشكل جذري . . المسكينة العجوز هازيل كبيرة بسنوات حتى على أن تحمل بمنغولي متخلف عقليًا»

وظهر أن نيوت كان يعرف بعض المعلومات عن المنغوليين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المتخلفين عقليا ، لأنه ارتاد في الماضي مدرسة خاصة للأطفال المشوهين ، وكان العديد من زملاء صفه من المنغوليين ، «أفضل كاتب في الصف كانت منغولية اسمها ميرنا أعني بالكتابة طريقة رسم الحروف لا ما تكتبه من كلمات . . يا إلهي لم أفكر فيها طيلة سنوات . . .»

– هل كانت مدرسة جيدة؟

– كل ما أتذكره هو ما كان المدير يقوله دائما كل وقت ، كان دوما ما يصرخ علينا لأجل الفوضى التي نفتعلها ثم يبدأ بجملته الرتيبة المعادة دائمًا : «أنا مريض ومتعب . . .»

– هذا يصف بدقة ما أشعر به معظم الوقت .

– ربما هذا ما ينبغي عليك أن تشعر به .

– أنت تتكلم مثل البوكونونيين يا نيوت .

– لم لا؟ . . حسب علمي فإن البوكونونية هي الدين الوحيد الذي لا يملك أي تحفظ على الأقزام .

في الأوقات التي لم أكن أكتب فيها . كنت أقرأ بتمعن أسفار بوكونون ، لكن فكرة الأقزام هذه فاتتني ، وكنت ممتنا لنيوت أنه ذكرني بها ، ذكرني بالاقتباس المكون من بيتي شعر يصف مفارقة بوكونونية قاسية تتحدث عن الضرورة المؤلمة للكذب بشأن الحقيقة والاستحالة المؤلمة للكذب بشأنها .

«القزم ، القزم ، القزم ، يمشي متبخترًا ويغمز
لأنه يعرف أن الإنسان أكبر مما يأمل ويفكر!»

١٢٦. ألحاناً شجيّةً، عزفتْ عليها

«يا له من دين بائس! «هتفتُ . وبدلت حديثنا إلى الحديث عن اليوتوبيا ، كيفَ ينبغي أن تكون ، أو ماذا ينبغي أن تكون ، أو

ماذا ستكون ، عندما يذوب الجليد في هذا العالم .

لكن كان هناك هذا البوكونون أيضا . . كان قد كتب سِفرا كاملا حول اليوتوبيا . . السفر السابع والذي عنونه بجمهورية بوكونون ، ومن هذا السِفر إليكم هذه الاقتباسات المروعة :

«اليد التي تمتلك مستودعات الأدوية هي من تحكم العالم .

دعنا نبدأ جمهوريتنا بسلسلة متاجر لبيع الأدوية ، سلسلة متاجر بقالة ، سلسلة من غرف الغاز ، والمباريات الوطنية ، وبعد هذا يمكن أن نكتب دستورنا» .

دعوت بوكونون بالزنجي اللقيط ، وغيّرت الموضوع مجددا ، وتحدثت عن الأفعال البطولية الفردية التي تحمل معنى ، وأشدت على وجه الخصوص بالطريقة التي اختارها جوليان كاستل وابنه كي يموتا .

فبينما كانت الأعاصير لا تزال محتدمة . . سارا على الأقدام إلى بيت الأمل والرحمة في الغابة وقدما كل أمل ورحمة كان بوسعهما أن يقدماها .

وأشدت بإجلال الطريقة التي ماتت بها المسكينة أنجيلا ، فقد حملت الكلارينت خاصتها من أنقاض بوليفار وبدأت بالعزف عليه دون أن تنتبه إلى نفسها أنه يمكن أن يكون فم الكلارينت ملوثا بالجليد-٩ .

«ألحانًا شجية ، عزفتْ عليها . . .» تمتمتُ بصوت مبحوح .

«حسنا ، يمكنك أنت أيضا أن تعثر على طريقة رائعة للموت» قال نيوت .

كانت هذه عبارة بوكونونية أخرى قالها . .

بادرت بإخباره عن حلمي في تسلق قمة جبل مك كابي وأنا أحمل معي رمزا ذا معنى هناك . . ثم رفعت يدي لوهلة عن عجلة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القيادة لأريه كم هي خاوية . . تمامًا كعدم وجود رموز لها معنى كي أموت من أجلها . . .

«لكن بحق الجحيم ما الذي سيكون هذا الرمزُ الحقيقي الذي أبحث عنه؟ يا نيوت . . وفي أي جحيم سأجده؟»

وأمسكت بعجلة القيادة مجددًا .

«ها هُنا ، في نهاية العالم ، وها أنا ذا ، تقريبا آخر رجل ، وهناك ، أعلى جبل على مرمى البصر ، أنا أعلم الآن ما الذي سيفعله الكاراس الخاص بي يا نيوت . . لقد كان يعمل ليل نهار ، ربما منذ نصف مليون عام كي يجعلني أصعد إلى قمة ذلك الجبل»

هززت رأسي وأنا أكاد أجهش بالبكاء «لكن حبا بالله ، ما الذي يمكن أن أحمله معي في يدي؟»

كنت أنظر عبر نافذة السيارة بشرود لما كنت أطرح هذا السؤال ، وهكذا قدت بشرود أيضًا لمسافة ميل قبل أن أدرك أني لمحتُ عيني عجوز زنجي ، رجل ملّون حيّ ، كان يجلس بجانب الطريق .

ثم أبطأت السرعة وتوقفت ، غطيت عيني .

«ما الأمر؟» سأل نيوت .

«لقد رأيت بوكونون ، هناك» .

١٢٧ النهاية

كان يجلس على صخرة ، حافي القدمين ، كانت قدماه قد تجمدتا بفعل الجليد-٩ ، لم يكن يرتدي سوى غطاء سرير أبيض اللون مزينًا بخطوط زرقاء ، لم يلاحظ أننا قد وصلنا إليه ، كان يحمل في يده قلم رصاص وفي الأخرى ورقة .

- بوكونون .

- نعم؟

- هل يمكن أن أسألك فيما تفكر؟

- أنا أفكر أيها الشاب ، في الجملة الأخيرة من كتاب أسفار بوكونون ، لقد حان وقت الجملة الأخيرة .

- هل وجدتها؟

هز رأسه وسلمني قطعة من الورق . . وهذا ما قرأته :

«لو كنتُ شابًا ، كنتُ سأكتب تاريخ الحماقة البشرية ، وكنت سأتسلق قمة جبل مك-كابي ، وأستلقي على ظهري واضعًا كتابي التاريخي كوسادة ، وكنت سآخذ من الأرض بعض السم الأزرق-الأبيض الذي يجعل البشر تماثيل ، وأحول نفسي تمثالاً ، مستلقيًا على ظهري مبتسمًا بجلال! ، واضعًا إبهامي على أنفي في استهزاء وازدراء واضح لذلك الذي تعرفه!»

https://telegram.me/maktabatbaghdad

kurt
vonnegut

مهد القطة

لو كنتُ شاباً، كنتُ سأكتب تاريخ الحماقة البشرية، وكنت سأتسلق قمة جبل مك-كابي، وأستلقي على ظهري واضعاً كتابي التاريخي كوسادة، وكنت سآخذ من الأرض بعض السم الأزرق-الأبيض الذي يجعل البشر تماثيلاً، وأحول نفسي تمثالاً، مستلقياً على ظهري مبتسماً بجلال!، واضعاً ابهامي على أنفي في استهزاء وازدراء واضح لذلك الذي تعرفه!

مكتبة بغداد

ISBN-13: 978-9996-92-54-3
9 789996 692543
KALEMAT

https://telegram.me/maktabatbaghdad